

ليون دوديه
كليمنصو
وحياته العاصفة
دار الكاتب المصري

٦ — عدد ٢٤

سبتمبر ١٩٤٧

هيروشيما

بقلم ...



الكاتب المصري

مجلة أدبية شهرية

رئيس التحرير : طه حسين

تحت الطبع

كتاب البخــلاء للجاحظ

تحقيق وشرح الاستاذ طه الحاجرى

تأريخ قضاة الأندلس

نشره وعلق عليه إ. ليڤى پروڤنسال

قطوف

كتاب فى جزأين يجمع عدة مقالات و بحوث

بقلم عبد العزيز البشرى

البيت السبكى

بيت علم فى دولتى المماليك

تأليف محمد الصادق حسين بك

تربية سلامه موسى

بقلم سلامه موسى

النفس فى الصحة والمرض

تأليف الدكتور محمد زكى الشافعى بك

هيروشيما

الكاتب المصرى

مجلة أدبية شهرية

رئيس التحرير : طه حسين

سكرتير التحرير : حسن محمود

تصدر مجلة الكاتب المصرى فى أول كل شهر عن دار الكاتب المصرى ، شركة مساهمة مصرية ، وتطبع بمطبعتها .

الاشتراك

١٠٠ قرش فى السنة لمصر والسودان .

١٢٠ قرشاً فى السنة للخارج أو ما يعادلها .

يدفع الاشتراك مقدماً باسم دار الكاتب المصرى . لا تقبل الاشتراكات لأقل من سنة كاملة .

ثمن العدد بمصر : ١٠ قروش

مجلة الكاتب المصرى تعنى بكل ما يرد إليها من المقالات والرسائل ولكنها لا تلتزم نشرها ولا ردها

ادارة الكاتب المصرى

٥ شارع قنطرة الدكة بالقاهرة

تليفون التحرير : ٤٩٢٥٤

الادارة : ٤٥٠٣٤-٤٧٨١٥-٥٤٢٧٣



AL KATEB EL MASRI

Monthly literary magazine published by LE SCRIBE EGYPTIEN S.A.E.
5 Kantaret el Dekka Street
Cairo (Egypt)

Editor-in-chief : Taha Hussein

الصور التى يحتويها هذا العدد مهداة من مكتب الولايات المتحدة للاستعلامات بالسفارة الأمريكية بمصر

جون هرسي

هيروشيما

تعريب حسن محمود



دار الكاتب المصري

العنوان الأصلى للقصة
بالانجليزية

HIROSHIMA

By

JOHN HERSEY



شـوال ١٣٦٦



سـبتمبر ١٩٤٧

السنة الثانيـة

مجلد ٦ — عدد ٢٤

تقـــــــدمة

١

من أقدم العصور كان العنصر الأساسى الذى تتكون منه المادة موضوعاً لتفكير العلماء وبحوثهم ، بقدر وسائلهم فى تلك العصور القديمة . وكان العلماء فى تلك العصور يسعون وراء شئ خلب بريقه عقولهم ، فأرادوا الاستزادة منه؛ هذا الشئ هو المادة البراقة التى تعرف بالذهب . فكان العلماء من القدماء يجرون وراء خيال ، ولكنه خيال ظريف ، هو تحويل المعادن إلى ذلك المعدن الشريف فى نظرهم الذى يمنح الانسان أكبر متعة إذا زادت كميته لديه .

كانت طبيعة هذا البحث تفترض أن كل المعادن التى كانت معروفة عندئذ هى من مادة واحدة ؛ وإنما تشوبها عكارة وشوائب تبعد بينها وبين أصلها الشريف ؛ وأنه إذا وجد أصل يمكن به إعادة هذه المعادن إلى نقائها وصفائها الأصلى فهى تتحول إلى ذهب .

هكذا جرى خيال هؤلاء العلماء فى الأزمان القديمة ، وما عرف بالأزمان الوسطى ، وراء هذا الحلم الذهبى . وكانت الغرفة المظلمة التى يعمل فيها العالم سرا فى سبيل تحقيق علمه : يوقد فيها النار وينفخ فيها بمنفاخه ، إلى أن تسود لحيته البيضاء المتدلية بما يتصاعد منها من دخان ، وتلك البوتقة

التى تغلى فيها مواد غريبة ، هى كل أمله فى الحياة . وكان الاخفاق مرة بعد مرة لا يزيده إلا إيماناً وعناداً . وهو يتطلع دائماً إلى استكشاف ذلك الأصل الذى يمكنه من تحويل المعادن إلى معدن الذهب الشريف ، وكان يلوح له دائماً أنه على قاب قوسين من النجاح ، حتى يأتى اليوم الذى يمسكه فيه القدر فيقذف به إلى عالم آخر ، قد لا يكون أقل خيالا من حلمه ، أو يهجم عليه الناس بفضولهم ، وكثيراً مايهجمون ، فيساق إلى المحاكمة والموت على أنه ساحر، بسبب تلك الغرفة المظلمة .

كان هؤلاء العلماء فى بحثهم يعتقدون اعتقاداً جازماً بأن هنالك مادة إن اهتدوا إليها يسَّرت لهم غرضهم على أهون سبيل ؛ إذ أن مقداراً قليلا منها يوضع فوق معدن من المعادن الخسيسة يكفى لإزالة ما به من شوائب ولتحويله إلى ذهب صاف ؛ وهذه المادة التى كانوا يحلمون بها ليلا ونهاراً ويعتقدون فيها اعتقاداً جازماً لا يتحول ، هى التى أسموها بحجر الفيلسوف .

ثم مضت الأيام والقرون ، والعلماء فى هذا البحث المضنى الذى يلوح لهم كالسراب يكون بعيداً كلما ظنوا أنهم على قيد خطوات منه . ولعلهم فى هذا البحث المضنى قد غابت عنهم أشياء واتجاهات ، كان يمكن أن يصلوا إليها فكان فى ذلك تأخر العلم ، بالرغم من التقدم فى مجالات أخرى من مجالات الحياة .

ثم برزت العصور الحديثة بمعالمها المعروفة فى السياسة ، والنهضة الأدبية ، والنظرة الفاحصة الناقدة التى أدت إلى إعادة تنظيم قيم الحياة . وجاء على أثر هذه النهضة نهضة أخرى اتجهت إلى الصناعة ، والبحث العملى المفيد . وأخذت الكشوف العملية تظهر تترى . وشغل العلماء عن الاهتمام بالذهب، فقد وجدوا أن نيل الذهب باختراع أو كشف عملى مفيد أسهل من أن ينال بالبوتقة والمنفاخ .

ثم كانت النهضة الحديثة فى علمى الطبيعة والكيمياء ، وعاد البحث عن العناصر التى تتألف منها المادة . وكان هذا البحث يسير حثيثاً فى ضوء الكشوف العلمية الجديدة ، والآلات التى ابتدعتها أذهان المخترعين . وصارت التجربة و إعادة التجربة وتحقيقها مرات هى الأساس الذى يبنى عليه الاستنتاج العلمى الصحيح . وكل خطوة جديدة تؤدى إلى خطوة أخرى فى سبيل الوقوف على أسرار الطبيعة التى نعيش فيها والتى تقوم من حولنا .

٣

اتجه العلماء المحدثون فى شأن تكوين المادة اتجاهاً جديداً قائماً على البحث والاستنتاج ، وهو أن هنالك عناصر أصلية من المادة تتألف منها أنواع أخرى نتيجة للتركيب الكيميائى أو للامتزاج . وهذه العناصر الأساسية لا علاقة لبعضها ببعض ؛ فالنحاس عنصر ، والذهب عنصر ، والكربون عنصر، والراديوم عنصر ، كل له مميزاته وخواصه . وتبلغ هذه العناصر نحو التسعين عنصراً ؛ هذا هو الرأى الذى كان سائداً فى القرن التاسع عشر .

وأدت بعض الاستنتاجات إلى القول بأن هذه العناصر متجمدة كانت أو سائلة أو غازية ، تتألف من دقيقات أطلق عليها اسم الذرة .فالذرة هى أساس العناصر. ولم يكن من المستطاع معرفة كنه هذه الذرة ، بل هى مجرد استنتاج نشأ عن التجارب الواسعة التى أجريت فى العناصر وعن الوقوف على الكثير من أسرار الكيمياء الحديثة .

ودخلت هذه المسألة فى طور آخر عندما حاول العلماء بالتجربة معرفة حقيقة هذه الذرة الفرضية . وأدت تجارب فى غاية من الدقة إلى رؤية الذرة على الأقل فى حركتها . وكان ذلك إثباتا عظيما لما ظل حتى أواخر القرن الماضى مجرد فرض من الفروض .

لا نريد بهذا القول التبسط فى شرح البحوث العلمية الدقيقة التى أدت الى ذلك ، ففى الكتب العلمية الأوربية الكثيرة وفى بعض الكتب العربية والبحوث التى نشرت ، غنى لمن يريد الاطلاع على ذلك ، وكان لديه الصبر على بحث هذه المسائل العلمية . ولكن كل ما نريد أن نشير إليه ثبوت تكوّن هذه الذرة من وحدات كهربائية . ومعنى ذلك أنه لو أمكن انفلاق هذه الذرة لأخرجت لنا قوة ، أو كما اصطلح العلماء طاقة ، يمكن الاستفادة بها فى ماذا ؟ ذلك ما لم يفكر فيه العلماء الباحثون فى مبدأ الأمر .

فعندما تمكن روترفورد العالم الانجليزى فى سنة ١٩١٩ من تحطيم الذرة بعد أن ابتدع جهازاً كان غاية فى الدقة ، لم يكن يبغى إلا زيادة الوقوف على تركيب المادة . ولا ريب فى أن تجربته أثبتت تماماً ما كان يحلم به

القدماء من تحويل المعادن الخسيسة إلى الذهب . فقد أثبت أن كل العناصر فى أساسها هى نوع واحد ، وأنه بانفلاق ذراتها قد تتحول من عنصر إلى عنصر . ولكن بريق الذهب فى العصر الحاضر لم يكن ليخاب العقول . فالعلماء اليوم يرمون إلى أغراض أخرى غير ما كان يرمى إليه القدماء . ولذلك تجدهم لا يحاولون إخفاء ما وفقوا له بل هم يعمدون فى الحال إلى إذاعته لكى يعمل العلماء الآخرون على التقدم خطوة أخرى .

وهكذا أكب العلماء فى سائر الامم على متابعة بحوث روترفورد واستجلاء كنه الذرة .

وكانت مدام كورى وزوجها جوليو ومساعدوها ممن اتجهوا إلى هذه البحوث ملتفتين بنوع خاص إلى العناصر ذات الإشعاع . فقد كان لها ولأمها من قبل بحوث كبيرة فى الراديوم الذى وجد فى إشعاعه نفع للإنسانية فى معالجة مرض من أخبث الأمراض الفتاكة بالانسان ، وهو مرض السرطان . وكانت تؤمل أن البحوث الجديدة ربما أدت إلى علاج أشد نفعاً وتأثيراً . وكان من نتيجة بحوثها أنه يمكن تحويل بعض العناصر غير المشعة إلى عناصر ذات إشعاع .

وكان بوهر العالم الدانمركى يسعى فى تحقيق هذه البحوث ويساعده فريتش .

وفى ألمانيا كان العالم أوتو ياهن يعمل فى بحوث الذرة ، ووفق لنتائج عظيمة ، يساعده شترازمان والآنسة مايتنر .

وفى أمريكا طائفة أخرى تعمل .

كل هؤلاء يعملون لفتح آفاق جديدة فى العلم ؛ فهم أولاً غزاة أرض جديدة ، ويحدوهم الأمل ثانياً فى أن تؤدى بحوثهم إلى خير الانسانية .

ولكن الزمن كانت تدور دورته ، والعالم — ويا للأسف — لا يطمع فى البحوث العلمية بل هو يطمع فيما يمسه من قريب من أمور اقتصادية وسياسية .

٣

كانت ألمانيا المترنحة من هزيمة الحرب العالمية الأولى تحاول أن تشق طريقاً جديداً فى الحياة ، وأن تصل إلى مركز معترف به بعض الشئ ، ولكنها وجدت من يعدها ، لا بمجرد أن تشغل مركزاً معترفاً به بعض الشئ ، بل بأن تصير ذات مكان رفيع بين الأمم . ووثقت ألمانيا فى ضيقها بهذا الوعد ، فاذا هى فى ثقتها تصبح بين الأمس واليوم ذات مركز عال فى الحياة الأوربية ؛ فزادت ثقتها فى نفسها وفى زعيمها . وأخذت ألمانيا الطموح التى شبت الحرب العالمية الأولى تسير فى ركاب الرجل الذى أخذ يرفعها من كبوتها ، وتحولت ألمانيا فى اقتصادياتها تحولا كبيراً ، فاختفت العطلة ووجد أبناؤها العمل ، وتيسرت لهم الحياة ، فأخذوا يفكرون فى أنهم جديرون بأن يسيطروا على أوربا ثم على العالم .

كان كاهن الوحى يعد الوعود فتصدق ، فتزداد ثقة الشعب به وبجماعته ولكنه كان يتجه اتجاهاً خطيراً فيما يتعلق بما ألفه الناس من حرية الحياة ، وما ألفه بوجه خاص الأدباء والعلماء من هذه الحرية ، وأراد أن يسخر كل شئ لخدمة الدولة وللوصول إلى غرضه الذى كان حلمه العظيم .

وجد هتلر معاونة من جميع عناصر الأمة الألمانية تقريباً ما عدا شرذمة قليلة من العلماء والأدباء . وكلما زادت قبضته شدة فى توجيه شعبه إلى الغرض الذى يرمى إليه ، زاد عناد هؤلاء العلماء والأدباء . وكان يعلم تمام العلم قيمة ما قد يسدونه إذا خدموا أغراضه .

وانتهى الأمر إلى أن فر من العلماء فريق . وبقى له فريق وكان من بين الذين فروا الآنسة مايتنر التى اشتهرت ببحوثها فى الذرة .

وتمكن هتلر من البلوغ بقوة ألمانيا إلى درجة عظيمة ، حتى لم تعد ألمانيا ، بعد خمس وعشرين سنة من هزيمتها ، الدولة التى تحاول أن تتخلص من آثار الهزيمة ، بل صارت بلا شك أقوى دولة فى العالم ، تستطيع أن تتحدى أية دولة أخرى ، وتستطيع أن تتغلب على أية دولة أخرى ، وربما ظن أنها تستطيع أن تتغلب على الدول متألبة عليها جميعاً .

واشتعلت شرارة الحرب ، وكان الزعيم الألمانى يعلم تمام العلم ما هو قادم عليه . وقد أعلن أكثر من مرة أن النصر حليف لمن يوفق لكشوف علمية هى بلا شك كشوف تدمير وخراب .

وما اشتعلت هذه الحرب حتى تبين للناس أنها ليست كالحروب الأخرى. فلقد وقفت الدول بعضها تجاه بعض نحو سبعة أشهر ، ألمانيا فى جانب وفرنسا وانجلترا فى جانب آخر لا يفعلون شيئاً . ثم ما أهل ربيع سنة ١٩٤٠ حتى هجم الألمان هجوماً عاصفاً ، فاذا هم يحتلون كل سواحل أوربا من شمال النرويج إلى جنوب فرنسا ، وإذا فرنسا جاثية تطلب التسليم ؛ كل ذلك كان بفعل التقدم العظيم الذى بدا فى الطيارات الألمانية والقنابل الألمانية .

وجاء دور تلك الجزر الصغيرة التى تبدو كنقط حقيرة تشوب خريطة المحيط ، حتى لكأن المحيط قادر على أن يمحوها فى لحظة من اللحظات .

لقد هاجم هتلر الجزر البريطانية بكل ما أوتى من قوة ؛ ولكنه لظروف تبدو خارقة لطبيعة الأمور ، لم يستطع إخضاع هذه الجزر . والواقع أنه هاجم الجزيرة بنفس الوسائل التى هاجم بها فرنسا . وكان الانجليز قد اتخذوا العدة لذلك ، وهى عدة لا تقوَّم بقيمتها المادية وإنما بقيمتها الأدبية . فلقد عرفوا طريقته ، ولقد نجحوا فى أن يثيروا عطف الأمريكيين ، وأن يثيروا فى الوقت نفسه مخاوفهم ؛ ففعلت أمريكا كل ما تقدر عليه من مساعدة إلا خوض غمار الحرب .

ولو أن هتلر كان وقتئذ قد وفق لتلك الطائرات العجيبة التى عرفت فيما بعد باسم القنابل الطائرة وفاجأ البريطانيين بها ، أما كانت تتغير الأمور؟

سارت الحرب فى طريقها . والحرب إذا ما ابتدأت كانت كالأقدار لايمكن التغلب عليها ، بل هى تسير كما ترغب ، وتسيطر على المتحاربين .

٤

اتسعت الرقعة أمام هتلر ، وفتح لنفسه أو فتحت له الأقدار ميداناً جديداً وتألب عليه الخصوم . فهو إذا سيطر على أوربا ودانت له بلادها جميعاً ، فهو مازال يقاتل بريطانيا فى الغرب ، ويقاتل روسيا فى الشرق ومن ورائهما الولايات المتحدة تعمل ، وتعمل جاهدة ، على إمدادهما بالسلاح والعتاد بأقصى ما تستطيع .

كان هتلر يكرر دائماً أن كسب الحرب سيكون لمن يذهب إلى أقصى حد فى استعمال نتاج العقول . وكان الألمان يبتدعون سلاحاً بعد سلاح . ومن أخطر ما ابتدعوه تلك الألغام المغنطيسية التى كانت تنجذب إلى السفن فتهبط بها إلى قاع المحيط .

كان خطر هذا السلاح كبيراً جدا ؛ لأن بريطانيا تعتمد فى طعامها وعتادها على ما يأتيها من طريق البحر . وكان هذا السلاح ، مضافاً إلى الغواصات التى انتشرت فى المحيطات كالأسماك ، من أخطر ما واجهته بريطانيا فى حربها . وكانت المسألة سباقاً بين إغراق هتلر للسفن ، وصنع الولايات المتحدة لسفن تعوض ما غرق منها ؛ وهذه هى الحرب البحرية الفظيعة التى كنا نقرأ عنها ولا نتصور خطرها على حقيقته ، والتى أخذ الستار يرتفع عن أسرارها .

وظلت الحرب سائرة فى غير هوادة ، وللألمان فى كل يوم مخترع جديد ، وللحلفاء مخترعات كانت كبيرة التأثير أيضاً فى سير الحرب ، وطال النضال بين الأمم المتقاتلة فوق ما كان ينتظر ، وكأن الحرب تحولت إلى حرب عقول ، حرب قائمة بين مخترعات الفريقين .

وفى الشهر الأخير من سنة ١٩٤١ انضم إلى ألمانيا حليف ذو خطر عظيم هو دولة اليابان التى استطاعت أن تشل الأسطول الأمريكى ، وفى بضعة أشهر سيطرت على محيطات آسيا ، وطردت الأمريكيين والبريطانيين من أقدم المعاقل لهم فى شرق آسيا ، وكسبت المواقع موقعة بعد موقعة فى بحار المحيط الهادى العظيم وظهر لوقت ما كأن جانب الألمان قد كتب له النصر بفضل الحليف الجديد .

ولكن لأمر ما كان هذا الجانب لا يسير إلى النصر . وإذا نظرنا إلى المخترعات التى أظهرتها ألمانيا فى هذه الحرب فان الانسان ليدهش لكثرتها وعظمتها ، ولكن لأمر ما — ولعله يد القدر — ، كانت هذه المخترعات تأتى متأخرة بعض الشئ . ولأمر ما — ولعله يد القدر — لم تسر ألمانيا شوطاً طويلا فى احتمالات تحطيم الذرة .

قيل إن هنالك بحوثا كانت تجرى فى جزيرة من جزر البلطيق . وقيل إن هذه البحوث كان الغرض منها اختراع يعتمد على تحطيم الذرة . وقيل إن السر عرف فذهبت الطائرات الأمريكية والانجليزية فحطمت المصانع حتى لم يبق لها من أثر . ولكن الواقع أننا لم نسمع عن هذا الموضوع فى أثناء الحرب كثيراً . ولعل الفريق الأمريكى والبريطانى كان يعمل لتوجيه الأنظار بعيداً عن هذا الضرب من البحوث .

وانتهت الحرب فى أوربا بانهيار إيطاليا ، وتراجع ألمانيا إلى أن تركت جميع البلاد التى احتلتها . وأطبق عليها العدو — الروس من الشرق والانجليز والأمريكان من الغرب — إلى أن احتلوا بلادها وأراضيها . وزالت دولتها عندما تم الاستيلاء على عاصمتها برلين فى آخر أبريل سنة ١٩٤٥ .

وظلت أمام المنتصرين حرب أخرى قدر لها أن ستنتهى فى مدى سنتين ؛ إذ لم يكن من المستطاع أن تنهض اليابان بعبء الحرب وحدها ، ولابد أن تنتهى معركتها بالهزيمة أمام القوى المجتمعة . ولكن مع ذلك كان ينتظر ألا تسلم سريعاً ، وكان ينتظر أن تسبب للمنتصرين متاعب أخرى . وفى هاتين السنتين من يعلم ؟ فقد يمل المنتصرون الحرب حتى ليطلبوا إلى اليابان صلحاً يكون غير شديد الوطأة ، أو قد يقع شقاق بين المنتصرين !

تلك كانت الظروف عندما اجتمع المنتصرون فى مؤتمر بوتسدام الذى عقدوه فى يوليه سنة ١٩٤٥ وأرسلوا لليابان إنذاراً نهائيا يدعونها فيه إلى التسليم . وكان من الطبيعى أن ترفض اليابان هذا الانذار .

وبعد يوم ٦ أغسطس سنة ١٩٤٥ روع العالم بنبأ خطير ، هو أن قنبلة ألقيت على مدينة هيروشيما من نوع جديد لم يسبق استعماله فى حرب من الحروب ، ولم يسبق استعمال قوته قط فى العالم قبل هذه القنبلة . وكان ذلك بدء عصر الطاقة الذرية .

لسنا نريد أن نعرض لما حدث ، فتفصيله فيما سوف نقرأ من مشاهدات جون هرسي وتحقيقاته . وكل ما نقوله الآن إن قنبلة ثانية ألقيت بعد أربعة أيام على نجازاكى ، فأعلنت اليابان فى ١١ أغسطس التسليم من غير قيد ولا شرط حفظاً لبلادها من الكوارث .

٥



عم العالم شعور الارتياح بانتهاء حرب طالت واستمرت ست سنوات ، فشملت العالم بأكمله وشعر بتأثيرها حتى سكان الغابات . ولكن انتهاءها على هذه الصورة ، وانتهاءها على أثر كشف قوة تدميرية هائلة ، قد ترك فى نفوس الناس شعوراً بالقلق . وتساءل الناس : أيكون مصير الانسانية أن تهلك نفسها بنفسها ؟ وتساءلوا فيما يحتمل أن يسفر عنه إطلاق هذه القوة على العالم .وتساءلوا : أليس الأفضل عدم الاهتداء إلى هذه القوة وإن طالت الحرب؟ والالتجاء إلى هذه القوة فى سبيل إنهاء الحرب أهو من أعمال الخير أم هو شر مستطير ؟ كل هذه الأمور دارت فى رءوس الناس وفى رءوس الذين استفادوا من هذه القوة قبل غيرهم . وكما أن ضمير الفرد يؤنب الفرد أحياناً ، كذلك صار ضمير الأمة التى استعملت آلة الهلاك يؤنبها على استعمالها ، ولا سيما أن الأنباء تضاربت وتضخمت فى شأن ما فعلته هذه القنبلة بالأهالى فى اليابان . فرأت احدى كبريات الصحف الأمريكية ، وهى جريدة « نيويوركر » ، أن ترسل صحفياً أديباً معروفاً اسمه جون هرسى ، إلى بلاد الشرق الأقصى ليقف على ما حدث حقيقة فى هيروشيما : ليقابل الأحياء من الذين نجوا من هذه الكارثة ، وليحاول وصف ما رأوه وما شعروا به وما فكروا فيه ، وما كان له من وقع فى نفوسهم ، إذ رأوا تدمير مدينتهم ودورهم وحياتهم وأصدقائهم وآمالهم ، وكل ما يتعلق بما سببته القنبلة من آلام للبشرية . وظل

هرسي يجوب أنحاء المدينة ، يجمع المعلومات دون أن يلتجئ لمساعدة السلطات الأمريكية المحتلة . وكان شهوده أناساً عاشوا قبل القنبلة وبعدها ، وهم أشخاص معروفون لا أشخاص خلقهم الخيال . وقد روى قصتهم . في عبارات مقاربة لعباراتهم بقدر الامكان . ونشر جون هرسي قصته في ٣١ أغسطس سنة ١٩٤٦ ، وأخرجتها جريدة « النيويوركر » في عدد من أعدادها ، واستغنت في سبيل نشرها عن كل ما عداها من أنباء وحوادث وفكاهات وغيرها من أبواب الجريدة ؛ فكان للقصة تأثير عظيم في عالم الصحافة الأمريكية وبيعت جميع نسخ الجريدة في ساعات . واستأذنت جرائد كبرى في نيويورك وغير نيويورك في إعادة نشر القصة مرة أخرى ، وقد نشرتها على أجزاء ، وقد بلغ عدد هذه الجرائد الأمريكية خمسين جريدة . ودفعت في سبيل ذلك مبالغ طائلة أرسل جون هرسي قسطه منها إلى الصليب الأحمر الأمريكي ، وما لبثت هذه القصة الواقعية أن نشرت في كتاب .

وجون هرسي كاتب هذا التحقيق هو رجل في العقد الرابع من عمره ولد في تينتش من مدن الصين في ١٧ يونيه سنة ١٩١٤ وكان والده يعمل في جمعية الشبان المسيحية في توزيع الاعانات التي أرسلت لمن حل بهم القحط وأصابتهم المجاعة . وقد عاد إلى الولايات المتحدة في العاشرة من عمره حيث تلقى علومه والتحق بجامعة ييل ، وتخرج فيها سنة ١٩٣٦ ثم أرسل لقضاء سنة في بعثة علمية بكامبردج . وعمل بعض الوقت سكرتيراً للكاتب الأمريكي العظيم سنكلر لويس . ثم التحق بجريدة «تايم» الأمريكية . ونشر كتابين عدا من أحسن كتب الحرب ، وفيهما وصف تجاربه في المحيط الهادى وإيطاليا وروسيا . وفي سنة ١٩٤٤ نشر قصته « ناقوس لأدنو » فنالت جائزة من جوائز القصة المعروفة ، واشتهر اسمه بها . وهو رجل لا يزال في شرخ الشباب ، نشيط ، جاد في عمله ، ينتظر له مستقبل باهر ؛ إذ أثبت بهذا الكتاب أنه إلى جانب نشاطه الصحفي أديب كبير .

هذا هو واضع الكتاب الذي ننشره اليوم .

حسن محمود

هيروشيما

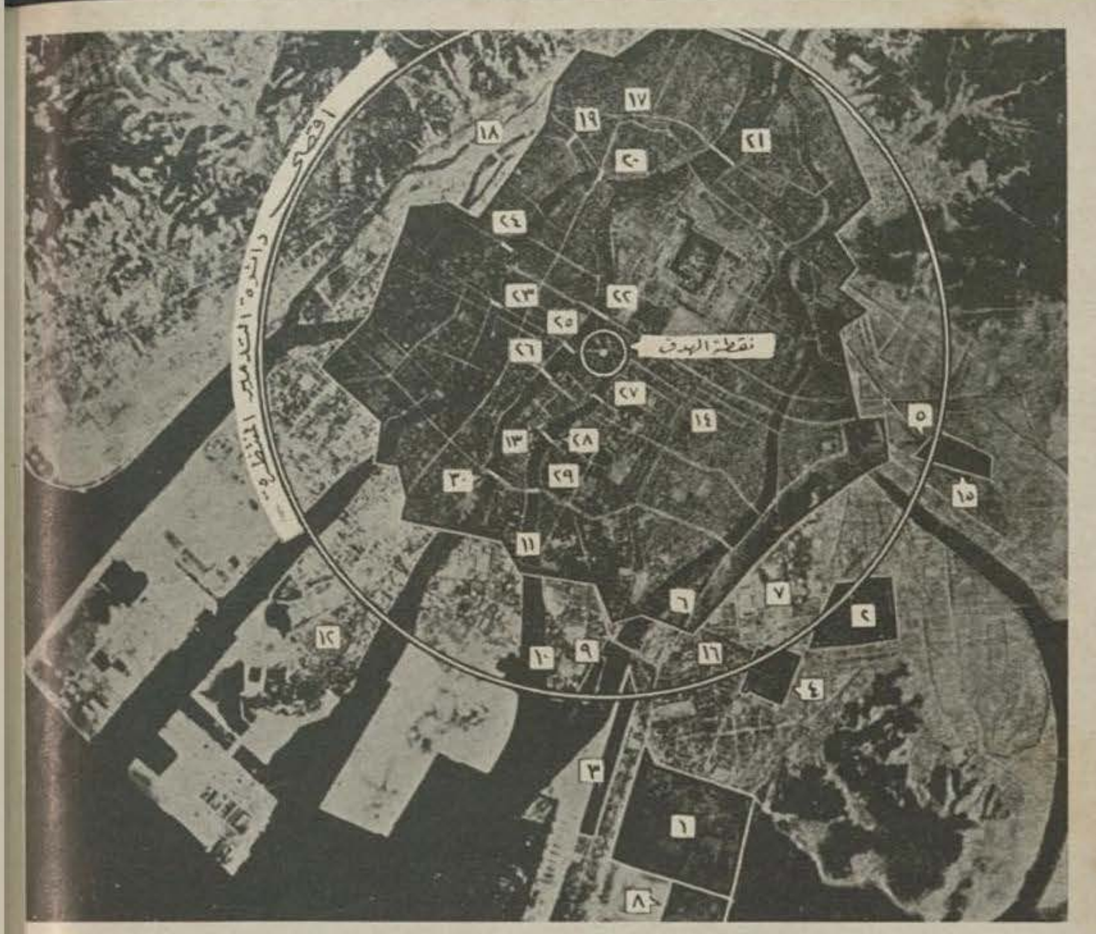
قدمت جريدة «نيو يوركر» مقال جون هرسي عن هيروشيما
فى عدد ٣١ أغسطس سنة ١٩٤٦ بما يأتى :

تشغل جريدة « نيو يوركر » فى هذا الأسبوع عددها بأكمله بمقال عن محو كامل لمدينة من المدن بقنبلة ذرية واحدة ، وما جرى لأهل تلك المدينة . وهى تعتقد أن القليل من الناس قدروا ما لهذا السلاح من قوة تدميرية لا يكاد يتصورها العقل . وتريد أن يتاح الوقت لكل فرد كى يفكر فيما ينطوى عليه استعمال هذا السلاح من فظاعة .



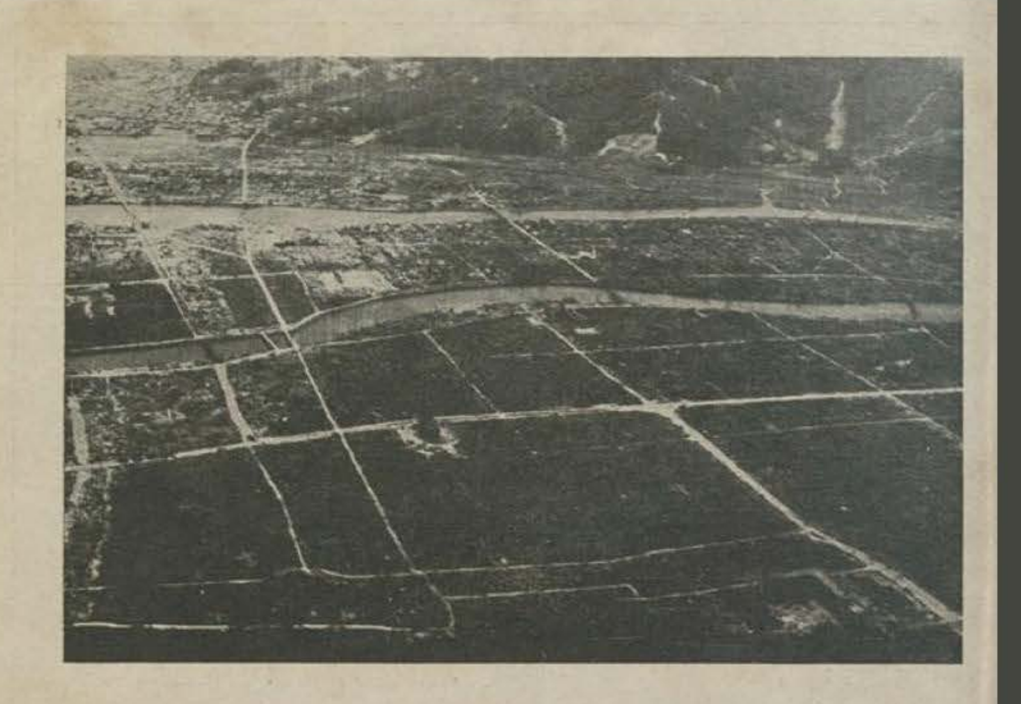
مدينة هيروشيما اليابانية ، هدف القنبلة الذرية الأولى

صورت من الجو أثناء بعثة استطلاعية . تقع مدينـة هيروشيما وبها مصانع الجيش ومخازنه وميناء لإنزال العتاد ، فى الطرف الجنوبى الغربى من جزيرة هونشو اليابانية . كانت هذه المدينة الآهلة بالسكان أول هدف حربى يابانى شعر بوطأة القنبلة الذرية الجديدة وقوتها ، بعد أن رفض الزعماء اليابانيون الانذار النهائى الذى أبلغه الحلفاء لهم على أثر اجتماع بوتسدام . وقد حاول الحلفاء أن يجنبوا الشعب اليابانى هذا الدمار ، فأبلغوا الحكومة اليابانية إنذارهم النهائى قبل أن يطلقوا قوة القنبلة الذرية المدمرة على هذا المركز الحربى . وهذه القنبلة الجديدة هى ثمرة الابحاث العلمية لدى الحلفاء ، وهى أقوى من ٢٠٠٠٠ طن من ت . ن . ت . (أشد أنواع المفرقعات) وقوة ضغطها أقوى ٢٠٠٠ مرة من أكبر قنبلة صنعت فى العالم وهى القنبلة البريطانية التى يبلغ ثقلها ٢٢٠٠٠ باوند . وقد قال مستر هارى ترومان رئيس جمهورية الولايات المتحدة فى بيانه الرسمى عند ما أعلن استعمال هذه القنبلة فى هيروشيما : « إن هذه القنبلة تصنع الآن فى شكلها الحاضر وقد أخذ فى صنع أنواع أشد فتكا . »



هذه الصورة التخطيطية التي عملت على أساس رسم بياني للقوات الجوية للولايات المتحدة في ٩ أغسطس ١٩٤٥ تظهر مساحات هيروشيما التي أصيبت بالقنبلة الذرية الأولى حين ألقيت في ٥ أغسطس ١٩٤٥ من إحدى القلاع الطائرة الأمريكية من طراز ب-٢٩ . ويبلغ قطر الدائرة الكبرى في هذا الرسم ١٩٠٠٠ قدم (٥٧٠٠ متر) والمساحات المظللة تدل على الأقسام المدمرة حسب المعلومات المستقاة من تقارير الاستطلاع الجوية . وتدل الأرقام في الصورة على ما يأتي :

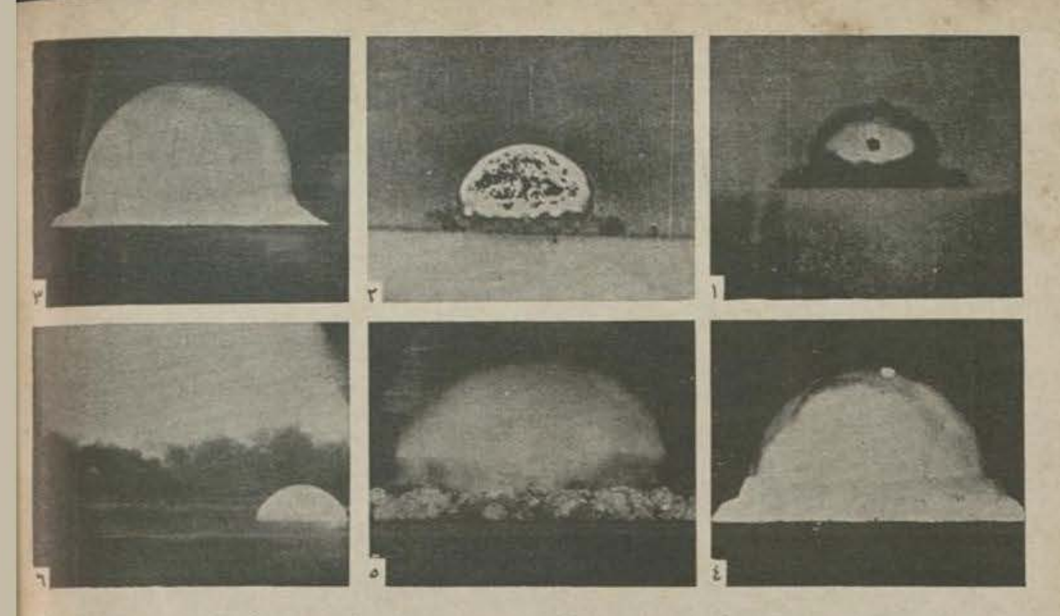
١ — قاعدة نقل للجيش ٢٥ ٪
٢ — مخزن مصانع الجيش
٣ — مخزن أطعمة للجيش ٣٥ ٪
٤ — مخزن ملابس للجيش ٨٥ ٪
٥ — المحطة الشرقية للسكك الحديدية ٣٠ ٪
٦ — مصنع لم يعرف عمله ٩٠ ٪
٧ — مصنع سوميتومو للريون ٢٥ ٪
٨ — طاحونة كنكوا للريون ١٠ ٪
٩ — طاحونة تيكوكو للنسيج ١٠٠ ٪
١٠ — محطة لتوليد القوى
١١ — مخزن للبترول اشتعلت فيه النيران
١٢ — محطة لتوليد الكهرباء للسكك الحديدية ١٠٠ ٪
١٣ — مولد كهربائي ١٠٠ ٪
١٤ — شركة التليفون ١٠٠ ٪
١٥ — مصانع الغاز ١٠٠ ٪
١٦ — محطة سكك حديد هيروشيما ١٠٠ ٪
١٧ — محطة سكك حديد لم تعرف ١٠٠ ٪
١٨ — جسر قائم مليء بالأنقاض
١٩ — جسر (كوبري) فقد ربعه
٢٠ — جسر كبير قائم وقد تحطم
٢١ — جسر به ثقب كبير في الجانب الغربي
٢٢ — جسر قائم وقد تقوس على جوانبه
٢٣ — جسر قائم وقد غطته الأنقاض
٢٤ — جسران قائمان
٢٥ — جسر دمر
٢٦ — جسر أصيب إصابات شديدة
٢٧ — جسر دمر
٢٨ — جسر محطم ولا يمكن استعماله
٢٩ — جسر قائم وفيه إصابات قليلة
٣٠ — جسر قائم وفيه إصابات شديدة



هيروشيما بعد إصابتها بالقنبلة الذرية الأولى

منظران جويان لمدينة هيروشيما . يظهر الخراب الشامل الذى سببته القنبلة وهى أول قنبلة ذرية استعملت فى حرب من الحروب . وقد خربت هذه القنبلة الواحدة ٦٠ ./. من المدينة اليابانية . وألقيت قنبلة ثانية بعد أربعة أيام على ميناء ناجازاكى اليابانى فخربت ٣٠ ./. من المساحات الصناعية الواسعة فى المدينة .





انفجار القنبلة الذرية مسجل بآلة تصوير تابعة لجيش الولايات المتحدة

أخذت هذه السلسلة من الصور من بعد ٨ أميال (٨ر١٢ كيلومترا) وهى تظهر انفجار القنبلة الذرية، وصورت بآلة تصوير سينمائية من آلات تصوير جيش الولايات المتحدة عندما جرب السلاح الجديد لدول الحلفاء فى ولاية نيومكسيكو من ولايات الجنوب الغربى للولايات المتحدة فى ١٦ يوليه ١٩٤٥ . وكان الشعور بالانفجار فى نصف قطر دائرة مقدارها ٢٥٠ ميلا (٤٠٠ كيلومتر) . (والدائرة الموجودة فى الجزء الأسفل إلى اليمين من الصورة رقم ٦ لا علاقة لها بالانفجار ولكن يعتقد أنها انعكاس له داخل عدسة الآلة المصورة.)

القنبلة الذرية الواحدة =

TNT TNT TNT TNT TNT TNT TNT
TNT TNT TNT TNT TNT TNT TNT
TNT TNT TNT TNT TNT TNT

يمثل كل رمز ١٠٠٠ طن

القنبلة الذرية الواحدة =

يمثل كل رمز حمولة ١٠٠ طيارة من طيارات ب ٢٩

ضغط الهواء للقنبلة الذرية الجديدة

١

بريق بلا صوت

فى صباح اليوم السادس من شهر أغسطس سنة ١٩٤٥ ، وفى الساعة الثامنة وخمس عشرة دقيقة تماماً بالوقت اليابانى ، وفى اللحظة التى لاح فيها بريق القنبلة الذرية فوق هيروشيما ، كانت الآنسة توشيكو سازاكى ، وهى كاتبة بادارة مستخدمى مصانع الصفيح لآسيا الشرقية ، قد جلست على مقعدها فى إدارة المصنع والتفتت برأسها ، تتحدث إلى الفتاة التى تجاورها . وفى هذه اللحظة كان الدكتور ماساكازو فوجيى قد تربع فى رواق مستشفاه الخاص ، ليقرأ جريدة أساهى التى تظهر فى بلدة أوزاكا ، وكان هذا المستشفى يطل على أحد الأنهار السبعة التى تتفرع من نهر كبير على مقربة من مصبه وتقسم مدينة هيروشيما . ووقفت السيدة هاتسويو نكامورا وهى أرملة ترزى أمام نافذة مطبخها ترقب جاراً يهدم داره لأنها تعترض طريق حارة افتتحت للوقاية من حريق الغارات الجوية . وكان الأب فيلهلم كلاينسورج ، وهو قس يسوعى ألمانى ، قد اتكأ وهو بملابسه الداخلية على سرير صغير فى الدور الأعلى من منزل البعثة الكاثوليكية الذى يتألف من ثلاث طبقات وهو يقرأ مجلة يسوعية اسمها « أبناء الزمن » . وكان الدكتور تيروفومى سازاكى أحد الجراحين الشبان فى مستشفى الصليب الأحمر بالمدينة ، وهو بناء حديث واسع الأرجاء ، يسير فى طرقات المستشفى ، وفى يده نموذج من دماء مريض ليختبره بمخبر فاسرمان . وكان القس كيوشى تانيموتو ، وهو راعى الكنيسة الميثودية بهيروشيما ، واقفاً على باب رجل ثرى بحى كوى ، وهو الحى الغربى من المدينة ، وقد تهيأ لينزل

متاعاً من عربة يد بعد أن نقله من المدينة خوفاً من وقوع غارة بطائرات ب ٢٩ الضخمة ، وكان جميع أهل هيروشيما يتوقعون مثل هذه الغارة . ولقد قتل بالقنبلة الذرية مائة ألف من السكان ، وكان هؤلاء الستة بين الذين نجوا منها وهم لا يزالون فى دهشة لبقائهم أحياء ، بعد أن مات هذا العدد العظيم . وكل واحد منهم يبدى أسباباً صغيرة أتاها مصادفة أو عن قصد — خطوة فى الوقت الملائم أو قراراً بالدخول إلى البيت أو ركوب مركبة بدل الأخرى — وهى التى أدت إلى نجاته . وكل واحد منهم يعلم أنه بنجاته قد عاش حياته أكثر من عشر مرات ، وأنه رأى من الموت أكثر مما كان ينتظر أن يراه ، ولكنهم فى وقت هذا الحادث لم يكونوا يعرفون شيئاً .

قام مستر تانيموتو القس من نومه فى الساعة الخامسة من صباح ذلك اليوم . وكان وحده فى دار الكنيسة ؛ لأن زوجته انتقلت للاقامة بضع ليال عند صديقة لها مع طفلهما الذى يبلغ سنة من عمره إلى بلدة أوشيدا وهى ضاحية فى الشمال . ولم يسلم من المدن الهامة باليابان غير مدينتين : كيوتو وهيروشيما من غارات الطائرات الضخمة التى يحبّ أن يسميها اليابانيون ب — سان أو مستر ب فى مزيج من الاحترام والألفة الأسيفة ، وهى الطائرات المعروفة باسم ب — ٢٩ . وكان مستر تانيموتو كجميع جيرانه وأصدقائه يكاد يعتريه المرض بسبب قلقه . فلقد بلغته أنباء مفصلة لا تبعث على الطمأنينة عن الغارات الضخمة على بلاد كورى وايواكونى وتوكوياما وغيرها من المدن القريبة . وكان يعتقد اعتقاداً جازماً بأن دور هيروشيما لا يلبث أن يجئ ، ولم يطعم من النوم إلا قليلا فى الليلة السابقة بسبب التحذيرات العديدة من الغارات الجوية . ولقد كانت هيروشيما تتلقى هذه التحذيرات فى كل ليلة تقريباً منذ أسابيع ؛ لأن طائرات ب — ٢٩ اتخذت بحيرة بيوا الواقعة إلى الشمال الشرقى من هيروشيما ملتقى للطائرات . ومهما تكن المدن التى يرغب الأمريكيون فى ضربها بقلاعهم الضخمة فان هذه القلاع كانت تطير فوق الساحل على مقربة من هيروشيما . ولقد صار أهل هذه المدينة بسبب الانذارات الكثيرة ، مع الاستمرار فى الامتناع عن ضربها بطائرات ب — ٢٩ ، مهدمى الأعصاب، وانتشرت الشائعات بينهم بأن الأمريكيين يعدون شيئا خاصاً لهذه المدينة .

ومستر تانيموتو هذا رجل ضئيل الجسم سريع الحديث والضحك والبكاء ، وشعره الأسود طويل شيئاً ما ، وقد مشطه على الجانبين ، وبروز عظام جبهته فوق حاجبيه وصغر شاربيه وفمه وذقنه مما يجعل له منظراً عجيباً هو مزيج من الكهولة والشباب ، وكأنه صبي وإن كان حكيما ، ضعيف ولكنه شديد . وهو يتحرك فى عصبية وسرعة ، ولكنه يقاوم هذا التسرع بما يدل على حيطة وتفكير . وقد أظهر حقا هذه الصفات فى الأيام القلقة التى سبقت سقوط القنبلة . فهو فضلا عن حمله امرأته على المبيت فى أوشيدا قد نقل جميع المتاع الذى يمكن نقله من كنيسته التى تقع فى حى آهل بالسكان ، معروف باسم ناجاراجاوا ، إلى منزل صاحب مصنع لحرير الريون فى كوى التى تبعد نحو ميلين من وسط المدينة ، وكان مستر ماتسوى صاحب هذا المصنع قد فتح داره الواسعة لعدد كبير من الأصدقاء والمعارف كى ينقلوا إليها ما يريدون أن يكون بمنأى عن المساحة التى يحتمل أن تضربها الطائرات . ولم يجد مستر تانيموتو مشقة فى نقل الكراسى وكتب التراتيل ونسخ التوراة وتحف المذبح وسجلات الكنيسة على عربة يد بنفسه ، ولكن نقل مفاتيح الأرغن والبيانو الصغير كانت تتطلب شيئاً من المساعدة ، ولقد ساعده فى اليوم السابق صديق له اسمه ماتسو فى نقل البيانو إلى كوى ، ووعد فى هذا اليوم أن يساعد بدوره مستر ماتسو فى نقل متاع ابنته ، وهذا هو السبب فى أنه استيقظ مبكراً .

أعد مستر تانيموتو طعام الفطور لنفسه وكان يشعر بالتعب الشديد ، فقد أثر فيه مجهود نقل البيانو فى اليوم السابق ، وليلة قضاها بغير نوم ، وقلق أسابيع ، وعدم التوازن فى طعامه ، وهموم أهل كنيسته ؛ فكانت هذه المتاعب مجتمعة مما جعله غير صالح لما كان يقدر عمله فى ذلك اليوم . وكان هناك شئ آخر ؛ فقد درس مستر تانيموتو اللاهوت فى كلية إمورى ببلدة أتلانتا بولاية جورجيا ، وتخرج فى الكلية سنة ١٩٤٠ ، وكان يحسن التكلم بالانجليزية كل الاحسان ، ويرتدى ملابس أمريكية ، ويتصل بالمراسلة بأصدقاء أمريكيين إلى الوقت الذى ابتدأت فيه الحرب . وبين أناس تملكهم الخوف من التجسس — وربما كان هذا الخوف أيضاً قد ملك عليه حواسه — صار مركزه يزداد صعوبة . لقد استجوبه رجال الشرطة مرات عدة ، وسمع قبل ذلك بعدة أيام أن رجلا ذا نفوذ يعرفه اسمه مستر تاناكا وهو ربان سفينة من سفن شركة

تويو كيسن كايشا أحيل على المعاش ، وهو رجل يكره المسيحيين ، واشتهر فى هيروشيما بأنه يحب أن يظهر مظهر المحسن وأنه رجل مستبد ، قال عنه إن مستر تانيموتو يجب ألا يؤتمن . ولقد أراد مستر تانيموتو أن يظهر للناس أنه على العكس يابانى مخلص ، فتولى رياسة جمعية الجيران المحلية المعروفة باسم توناريجومى . ولهذه الجمعيات نشاط فى نواح عدة ، وذلك مما زاد فى أعماله التى كان من بينها تنظيم الوقاية من الغارات لنحو عشرين أسرة .

قبل الساعة السادسة من الصباح خرج مستر تانيموتو قاصداً دار مستر ماتسو ، فرأى أن الحمل الذى سينقلونه هو « تانسو » أى صندوق يابانى كبير ملئ بالملابس وأمتعة البيت . وسار الرجلان فى طريقهما ، وكانت السماء فى ذلك الصباح صافية والجو حاراً حتى لينذر بيوم عصيب فى حره . وبعد بضع دقائق من سيرهما رنت صفارة الانذار بغارة رنيناً طويلا مما يدل على اقتراب طائرات ، ولكنه يدل أهل هيروشيما على أن الخطر ليس كبيراً ؛ لأن الصفارة كانت ترن فى كل صباح فى نحو ذلك الوقت عندما تمر طائرة أمريكية لمراقبة الجو على هذه المدينة . وظل الرجلان يجران العربة ويدفعانها فى شوارع المدينة . ومدينة هيروشيما تنبسط كالمروحة ، ويقع أكثرها على الجزر الست التى تتألف من الأفرع السبعة المتفرعة من نهر أوتا . وتشمل الأحياء التجارية والغاصة بالسكان منها نحو أربعة أميال مربعة فى وسط المدينة ، وفيها يقيم ثلاثة أرباع السكان . ولقد نقص عدد السكان على أثر عدة نظم وضعت لاخلاء المدينة . فبعد أن بلغ عدد سكانها فى أثناء الحرب ٣٨٠ ألف نزل إلى نحو ٢٤٥ ألف . وكان يحيط بالمدينة ويشغل أطرافها مصانع وضواح مليئة بالسكان . وإلى الجنوب منها تقع الجمارك وميناء جوى وبحر داخلى ملئ بالجزر ، ويقوم على جوانبها الثلاثة الأخرى عدد من الجبال . اخترق تانيموتو ومستر ماتسو الأحياء المليئة بالحوانيت وقد أخذت تغص بالناس ، ثم عبرا نهرين وأخذا يسيران فى شوارع كوى المنحدرة ليصعدا فيها إلى الأطراف والتلال . وعندما كانا يصعدان فى هذا الوادى بعد أن بعدا عن الدور المتجمعة ، أطلقت الصفارة تعلن زوال الخطر . (فلقد رأى حراس الرادار اليابانيين ثلاث طائرات فقط فظنوا أنها جاءت للاستطلاع .) وكان دفع عربة اليد إلى دار صاحب المصانع متعباً . فلما تمكن الرجلان من الدخول إلى ساحة الدار وبلغا إلى الدرج الأمامية وقفا قليلا

ليستريجا . وكان أحد جوانب الدار بينهما وبين المدينة ، وكانت هذه الدار مثل أكثر الدور فى ذلك القسم من اليابان تتألف من إطار خشبى وحوائط خشبية تحمل سقفاً ثقيلا من الآجر . ولقد ملئت قاعتها الأمامية بالمراتب والملابس، وكان منظرها كغارة وجوها منعش ، مليئة بالوسائد المريحة . وأمام الدار إلى اليمين من الباب الأمامى توجد حديقة كبيرة منظمة صخرية ، ولم يكن فى الجو صوت طيارات ، وكان الصباح ساكناً والمكان رطباً لذيذاً .

ثم برق فى الجو ضوء خاطف عابراً السماء . ويذكر مستر تانيموتو تماماً أن البريق سار من الشرق إلى الغرب ومن المدينة نحو التلال وكأنه قطعة من الشمس . ولقد كان لهذا البريق تأثير كبير فى نفس كل من مستر تانيموتو ومستر ماتسو إذ استولى عليهما الخوف ، وكان أمام كل منهما وقت لهذا التأثير (لأنهما كانا بعيدين بنحو ..٣٥ ياردة أو ميلين من مركز الانفجار) فجرى مستر ماتسو قاطعاً الدرج الأمامية ودخل إلى البيت وغاص بنفسه بين الوسائد حيث دفن نفسه فيها . وأسرع مستر تانيموتو بأربع أو خمس خطوات ورمى بنفسه بين صخرتين كبيرتين فى الحديقة وقد لصق بجسمه فى إحدى الصخرتين . وإذ كان وجهه غائصاً فى الصخرة فانه لم ير ما حدث ، ولكنه شعر بثقل فجائى ، ثم سقطت عليه ألواح وأجزاء من الخشب وقطع من الآجر ولم يسمع أى صوت . (ولا يذكر أحد فى هيروشيما أنه سمع أى صوت للقنبلة ، ولكن صياداً فى البحر الداخلى يسكن كوخاً بجزيرة على مقربة من توزو وكانت تقيم فيها معه حماة مستر تانيموتو وأخت زوجته ، رأى هذا البريق وسمع انفجاراً هائلا ، وهو يبعد نحو عشرين ميلا عن هيروشيما . ويقول إن هذا الرعد كان أكبر مما سمعه عندما ضربت القلاع الطائرة ب — ٢٩ بلدة إيواكونى وهى تبعد عنه خمسة أميال فقط .)

وعندما جرؤ مستر تانيموتو على رفع رأسه رأى أن دار صاحب المصنع قد انهارت . ولقد تبادر إلى ذهنه أن قنبلة مباشرة سقطت عليها . وارتفعت سحب من التراب حتى أحاط به ما يشبه الشفق ؛ وجزع جزعاً شديداً حتى إنه لم يفكر تلك اللحظة فى مستر ماتسو وهو تحت الأنقاض . وجرى إلى الشارع ، ولاحظ وهو يجرى أن الحائط المقام حول الحديقة والدار وكان من الأسمنت قد مال إلى الداخل لا إلى الخارج . وأول شئ رآه فى الشارع شرذمة من

الجنود ، كانت تحفر فى التل المواجه ، حفرة من إحدى آلاف الحفر التى يظهر أن اليابانيين كانوا عازمين على مقاومة الغزو بها ، يدافعون من تل إلى تل ويبذلون حياتهم ذماء بعد ذماء . وكان الجنود خارجين من الحفرة التى كان يجب أن تقيهم شر الطائرات ، ولكن الدماء كانت تسيل من رءوسهم وصدورهم وظهورهم ، وكانوا ساكتين وقد استولى عليهم ذهول .

ولقد أظلت المدينة ما يشبه غمامة محلية من التراب ، فاذا النهار ظلام من فوقه ظلام .

ولقد أعلن مذيع محطة الراديو فى المدينة فى الليلة السابقة لإلقاء القنبلة ، وفى نحو منتصف الليل ، أن نحو مائتين من القلاع الطائرة ب — ٢٩ تقترب من جنوب هونشو ؛ ونصح سكان هيروشيما بأن ينزحوا إلى الأماكن التى اتخذت لوقايتهم . وكانت السيدة هاتسويو نكامورا أرملة الترزى وهى تسكن فى الحى المسمى نبورى — تشو ، والتى اعتادت منذ زمن بعيد أن تؤمر فتطاع ، قد نقلت أولادها الثلاثة — توشيو وهو صبى فى العاشرة من عمره ، ويبكو وهى بنت فى الثامنة من عمرها ، وميبكو وهى طفلة فى الخامسة من عمرها — من فراشهم ، وألبستهم ملابسهم وسارت بهم إلى المنطقة الحربية بميدان الاستعراض الشرقى على الطرف الشمالى الشرقى للمدينة ، وهنالك فرشت بعض الحصر وانطرح الأطفال عليها وناموا حتى الساعة الثانية صباحاً ، عندما استيقظوا من ضجيج الطيارات وهى تمر فوق هيروشيما . فما إن مرت الطيارات حتى عادت السيدة نكامورا بأطفالها إلى دارها فوصلوها بعد منتصف الساعة الثالثة بقليل ، ثم أدارت الراديو لتسمع الاذاعة ، فاذا به لسوء حظها كان يذيع إنذاراً آخر . فلما نظرت إلى أطفالها ووجدت شدة الاعياء الذى ارتسم عليهم ، وفكرت فى عدد المرات التى انتقلت فيها إلى ميدان الاستعراض الشرقى فى الأسابيع الماضية بغير جدوى ، قررت بالرغم من تعليمات الراديو أنها لا تستطيع الانتقال مرة أخرى . فوضعت أولادها تحت أغطيتهم على الأرض ، ورقدت هى نفسها فى الساعة الثالثة صباحاً ، وأطبق عليها النوم للحال حتى أنها لم تسمع أصوات الطيارات عند مرورها فيما بعد .

واستيقظت على صوت الصفارة فى الساعة السابعة ، فنهضت وارتدت ملابسها

سريعاً ، وأسرعت إلى منزل مستر تكاموتو رئيس جمعية الجيران المحلية . وسألته ماذا تفعل ؟ فقال إن عليها أن تلزم دارها إلا إذا سمعت صفارة تحذير ملحة ، وهى عبارة عن نذير صفارة متقطع . فعادت إلى دارها ، وأوقدت النار فى المطبخ ، وأخذت تطهى شيئاً من الأرز ، وجلست لتقرأ جريدة « شوجوكو » وهى صحيفة هيروشيما الصباحية . وقدتنفستمرتاحةعند ما أعلنت الصفارة ابتعاد الطيارات فى الساعة الثامنة . وسمعت أطفالها يتحركون فذهبت وأعطت كلا منهم حفنة من الفول السودانى ، وطلبت منهم أن يظلوا على وسائدهم إذ أنهم متعبون من السير فى الليل . وكانت تأمل أن يخلدوا للنوم ، ولكن الرجل الساكن تحتها بدأ يدق دقا عنيفاً ويقطع ويصلح من الأخشاب ؛ فلقد كان المجلس البلدى مقتنعاً ككل إنسان فى هيروشيما أن المدينة لا بد أن تهاجم قريباً ، وألح على الأهالى بالتهديد والتحذير أن يتموا إنشاء حارات واسعة لاتقاءالحريق . وكان يرجو من ذلك أن يستطاع بهذا الاجراء و بمساعدة الأنهار حصر النيران التى قد تنشأ عن قنابل محرقة . وكان الجار يضحى متردداً بمنزله فى سبيل سلامة المدينة . ولقد أصدر المجلس البلدى فى اليوم السابق أمراً للصالحات جسمانيا من بنات المدارس الثانوية بأن يعاونّ فى تنظيف هذه الحارات ، فابتدأن فى عملهن بمجرد سماعهن صفارة زوال الخطر .

عادت السيدة نكامورا إلى المطبخ ، وألقت نظرة على الأرز ، ثم أخذت تراقب جارها . ولقد تضايقت فى مبدأ الأمر من الضجة التى سببها ، ولكنها عادت فتأثرت لحاله حتى كادت تبكى شفقة عليه . كان هذا الشعور متجهاً بصفة خاصة نحو جارها وهو يهدم داره لوحاً فلوحاً فى زمن كان لا محيص فيه من الدمار . ولكن مما لا ريب فيه أنها كانت تشعر بصفة عامة بشفقة على حال سكان المدينة جميعاً فضلا عن حالتها الشخصية ، فلم تكن حياتها وقتئذ بالسهلة . فلقد التحق زوجها إيساوا بالجيش بعد مولد طفلتها ميكو بقليل ، وظلت مدة طويلة لا تسمع منه أو عنه شيئاً ، إلى أن وصلتها برقية فى ٥ مارس سنة ١٩٤٢ جاء فيها : «لقد مات إيساوا ميتة شريفة فى سنغافورة.» وعلمت فيما بعد أنه مات فى يوم ١٥ فبراير الذى سقطت فيه سنغافورة ، وأنه رقى إلى جاويش ، ولم يكن إيساوا ترزيا ناجحاً ، وكان كل رأس ماله آلة للحياكة من مصانع سانكوكو . وعلى أثر موته ووقف الراتب الذى كان يرسله ، أخرجت السيدة نكامورا

تلك الآلة وبدأت تحيك الثياب بالقطعة . ومنذ ذلك الوقت أخذت تستعين على حياتها وحياة أولادها بالحياكة وإن كان كسبها ضئيلا .

وبينما السيدة نكامورا واقفة ترقب جارها ، إذا بكل ماتراه عينها يضئ ببريق أبيض لا يشبهه شئ مما رأته . ولم تلاحظ ماحدث لجارها ، بل دفعها شعور الأم نحو أولادها فخطت خطوة واحدة (وكانت الدار على بعد ١٣٥٠ ياردة أو ثلاثة أرباع الميل من مركز الانفجار) وإذا بشئ يحملها وكأنها تطير إلى الغرفة الثانية فوق إطار النوم المرتفع تتبعها أجزاء من دارها .

تناثرت الأخشاب حولها عندما ارتمت على الأرض ، وتساقط عليها سيل من الآجر ، وصار كل ماحولها ظلاماً إذ دفنت تحته . ولم يكن الحطام متراكماً عليها ، فنهضت وتخلصت منه . فسمعت طفلا يصيح : « أنقذيني يا أماه! » ورأت أصغر أطفالها — ميكو التي هي في الخامسة من عمرها — قد دفنت حتى الصدر وهي غير قادرة على الحراك . فأخذت مسز نكامورا تعمل بأظافرها في يأس لتنقذ طفلتها ، ولم تكن ترى أو تسمع شيئاً عن طفليها الآخرين .

وكان الدكتور ماساكازو فوجي في الأيام السابقة للانفجار يتمتع بلذة النوم إلى الساعة التاسعة أو التاسعة والنصف . فهو رجل ثرى محب لنفسه وليس لديه عمل كثير .ولكن من محاسن المصادفات أن كان عليه أن يستيقظ مبكراً في ذلك الصباح الذي ألقيت فيه القنبلة ، ليودع إلى المحطة ضيفاً كان نازلا في داره . فاستيقظ في الساعة السادسة . وبعد نصف ساعة خرج مع صديقه إلى المحطة التي لم تكن بعيدة . ومرا على نهرين وعاد إلى داره في الساعة السابعة عند ماكان صوت الصفارة ينذر إنذاراً غير متقطع . وتناول طعام الفطور . وإذ كانت الحرارة شديدة مع أن الوقت كان صباحاً خلع ملابسه الخارجية ، واتجه إلى شرفة الرواق ليقرأ الجريدة . وكان بناء الرواق — بل كل البناء — عجيباً . فلقد كان الدكتور فوجي صاحب منشأة مألوفة لدى اليابانيين ، وهي مستشفى خاص لطبيب واحد . وكان هذا البناء قائماً إلى جانب نهر كيو ومن فوقه إلى جانب الجسر المسمى بهذا الاسم ، وهو يحتوي على ثلاثين حجرة لثلاثين من المرضى وأقربائهم ؛ لأن من عادة اليابانيين إذا مرض شخص وذهب إلى المستشفى ، أن يذهب معه واحد أو أكثر من أعضاء

الأسرة ، ليعيشوا معه ويطهوا طعامه ، ويغسلوا جسمه ، ويدلكوه ، ويقرءوا له ، ويظهروا له عطفهم العائلى الذى بدونه يكون المريض اليابانى تعساً حقا . ولم يكن لدى مستر فوجيى أسرّة للمرضى ، بل كان كل ما لديه حصير .
ومع ذلك كانت عنده جميع الأدوات الحديثة ؛ فلديه آلة لأشعة إكس ، وأداة للدياترمى ، ومعمل للبحوث العلمية مبنى بالآجر وهو على استعداد تام . وكان بناء المستشفى قائماً ثلثاه على الأرض وثلثه على قنطرة فوق نهر كيو المتغير بالمد والجزر ، وهذا الجزء المعلق فوق النهر من البناء هو الذى يعيش فيه دكتور فوجيى ؛ وهو ذو منظر عجيب ؛ ولكنه كان فى الصيف رطباً . وكان من الرواق لا يشرف على مركز المدينة ، ولكنه يرى النهر وقوارب النزهة وهى ذاهبة جائية وهو منظر مبهج . ولقد كانت تمر أحياناً بالدكتور فوجيى لحظات قلقة حين يرتفع نهر أوتا وفروعه فيفيض . ولكن يظهر أن القنطرة كانت من القوة بحيث بقى البناء سليما .

كان دكتور فوجيى فارغاً من العمل نسبياً منذ شهر ؛ لأنه أخذ يصرف مرضاه عندما رأى فى يولية ، أن عدد المدن التى سلمت فى اليابان أخذ يقل شيئاً فشيئاً ، وأن هيروشيما لابد أن تصبح هدفاً فى القريب . فقد رأى أنه فى حالة حدوث نيران لا يستطيع إنقاذ المرضى . ولذلك لم يبق لديه يومئذ غير مريضين : امرأة من يانو جريحة فى كتفها وشاب فى الخامسة والعشرين فى دور النقاهة من حروق أصيب بها ، على أثر ضرب مصنع الصلب الذى كان يعمل به وهو على مقربة من هيروشيما . وكان لدى دكتور فوجيى ست ممرضات للعناية بمرضاه . أما زوجه وأولاده فكانوا فى مكان أمين ؛ فالزوجة وأحد أبنائه يعيشان خارج أوزاكا ، وولد آخر وبنتان يعيشان فى الريف عند كيوشو . وكانت تعيش معه ابنة أخ وخادمة وخادم ؛ فكان عمله قليلا ؛ ولكنه كان لا يهتم لذلك إذ كان ادخر شيئاً من المال . فكان فى الخمسين من عمره صحيح الجسم ، بادى السرور ، مرتاح البال ، ويحب أن يمضى مساءه فى احتساء شراب الويسكى مع أصدقائه ، على أنه كان يفعل ذلك باعتدال ورغبة فى الحديث . وكان قبل الحرب يقبل على الأنواع الواردة من اسكتلاندة وأمريكا ، ولكنه كان وقتئذ يكتفى بنوع سنتورى ، وهو خير أنواع الويسكى المصنوعة فى اليابان .

جلس دكتور فوجي متربعاً فى ملابس داخلية على الحصير النظيف المبسوط فى الرواق ، ووضع نظارتيه على عينيه ، وأخذ يقرأ جريدة « أساهى » التى تصدر فى أوزاكا ؛ وكان يحب قراءة أخبار هذه المدينة لأن زوجته هناك . رأى البريق الذى ظهر أمام عينيه — حيث كان يتجه إلى غير مركز المدينة ويقرأ فى جريدة — كأنه ذو لون أصفر براق . واستولى عليه الجزع ، فهمّ أن يقوم من جلسته . وفى تلك اللحظة (وكان على بعد ١٠٠ . ياردة من المركز) أخذ المستشفى ينحنى من ورائه ، وفى صوت فظيع يسقط فى النهر . وقُذف الطبيب بالحطام وهو على وشك القيام من بين يديه ومن خلفه ومن فوقه ، وكان يضربه من كل جانب ويطبق عليه ، وفقد الاحساس بكل شئ إذ كانت الأمور تتعقد بسرعة ثم أحس بالماء .

لم يكد الدكتور فوجي يشعر بأنه على وشك الموت حتى استيقن أنه لايزال حيا ، وقد أطبقت على صدره خشبتان طويلتان تعارضتا على شكل مثلث ؛ وكان كأنه قطعة من اللحم معلقة بين مقطعين كبيرين للحوم . وقد أمسكت به الخشبتان حتى ليكاد يكون قائماً ، ولكنه لا يستطيع الحراك . وقد بقى رأسه بمعجزة فوق الماء إذ كان سائر جسمه فى الماء . وكانت بقايا المستشفى عائمة من حوله ، وهى خليط عجيب من قطع الأخشاب والمواد التى تعالج بها الآلام ، وكان يحس ألماً شديداً فى كتفه اليسرى وقد فقد نظارتيه .

كان الأب فيلهلم كلاينسورج من اليسوعيين ، فى صباح يوم الانفجار فى صحة غير جيدة ؛ فان الطعام المقدر لليابانيين فى أثناء الحرب لم يكن يكفيهم . وكان أجنبياً فأخذ يؤلمه بازدياد كراهية اليابانيين للأجانب حتى الألمان منهم ؛ إذ صاروا مكروهين بعد هزيمتهم فى وطنهم . وكان الأب كلاينسورج فى الثامنة والثلاثين من عمره ولكن كان له منظر الفتى الذى ينمو سريعاً : فوجهه نحيل ، وحنجرته بارزة ، وصدره مطبق ، وذراعاه طويلتان مرتخيتان إلى جنبه، وقدماه كبيرتان ، وكان غير منتظم فى مشيته إذ يسير منحنياً قليلا إلى الأمام ويشعر دائماً بالتعب . ومما زاد حالته سوءاً أنه أصيب منذ يومين باسهال مؤلم ملح مع زميل له هو الأب شيزليك ، وقد عزواه إلى طعام الفول والخبز لأسود الذى كانا يضطران إلى أكله . على أن قسين آخرين كانا يشاطرانهما

مسكن البعثة الواقع فى حى نوبورى — تشو — وهما رئيس البعثة الأب لاسال والأب شيفر — لم يصابا بهذا المرض لحسن حظهما .

استيقظ الأب كلاينسورج فى الساعة السادسة من صبيحة اليوم الذى ألقيت فيه القنبلة ، وبعد نحو نصف ساعة — وكان متأخراً قليلا بسبب مرضه — أخذ يتلو الصلاة فى كنيسة البعثة . وهى بناء خشبى صغير على الطراز اليابانى ليست به مقاعد ؛ لأن المتعبدين يجثون على الأرض المغطاة بالحصر على الطريقة اليابانية ، أمام مذبح مزين بالحرائر الفخمة والنحاس والفضة وغيرها من زخارف . وكان المتعبدون فى هـذا الصباح وهو يوم اثنين ، هم مستر تكيموتو ، وهو طالب لاهوت يعيش فى دار البعثة ، ومستر فوكاى سكرتير البعثة ، والسيدة مورانا مدبرة الدار وهى مسيحية شديدة التمسك بدينها ، وزملاؤه من القساوسة . ولما تمت الصلاة وأخذ الأب كلاينسورج يقرأ صلاة الشكر، إذا بصوت الصفارة ينذر ؛ فوقفت الصلاة ، وسار أعضاء البعثة مجتازين الفناء إلى بناء دارهم الكبيرة . وهنالك ذهب الأب كلاينسورج إلى غرفته فى الطبقة الأرضية إلى اليمين من الباب الأمامى ، وارتدى لباساً حربياً كان قد اتخذه عندما كان يعلّم فى مدرسة روكو المتوسطة بكوبى ، وكان يرتديه عند الانذار بالغارات .

وكان من عادة الأب كلاينسورج بعد الانذار بالغارة ، أن يخرج ويفحص السماء .وعندما فعل ذلك هذه المرة سر إذ لم ير غير طائرة الاستطلاع التى تطير كل يوم فوق هيروشيما فى مثل ذلك الوقت ، فاقتنع بأنه لن يحدث شئ وعاد نتناول طعام الفطور مع الآباء الآخرين ، وهو مؤلف من قهوة صناعية وخبز أسود ، وكان هذا الطعام فى هذه الأحوال بغيضاً إليه بصفة خاصة . ثم جلس الآباء وتحدثوا مليا إلى الساعة الثامنة ، ثم سمعوا زوال الخطر وذهب كل منهم إلى جانب من البناء : فالأب شيفر ذهب إلى غرفته للكتابة ، والأب شيزلك جلس فى غرفته على مقعد مستقيم ووضع وسادة على معدته لتخفيف الألم وأخذ فى القراءة . ووقف رئيس البعثة الأب لاسال فى نافذة غرفته يفكر . وذهب الأب كلاينسورج إلى غرفة فى الطابق الثالث وخلع ملابسه ماعدا الملابس الداخلية وتمدد على جانبه الأيمن فوق سرير وأخذ يقرأ فى مجلة « أنباء الزمن » .

بعد البريق الخيف — الذى ذكر الأب كلاينسورج فيما بعد أنه ذكره

بشيء قرأه وهو غلام عن شهاب كبير اصطدم بالأرض — وجد الأب وقتاً (إذ كان على بعد ١٤٠٠ ياردة من المركز) ليفكر فى أمر واحد هو : أن قنبلة قد سقطت مباشرة عليهم ، ثم استولت عليه مدة ثوان أو دقائق دهشة حتى زايله الوعى .

لم يعرف الأب كلاينسورج قط كيف خرج من الدار ، والأمور التالية التى شعر بها هى أنه يسير على غير هدى حول حديقة الخضراوات فى أرض البعثة وهو فى ملابسه الداخلية ، وتنزف منه دماء قليلة من جروح صغيرة فى فخذه اليسرى ، وأن جميع ماحوله من الأبنية قد انهار ماعدا دار بعثة اليسوعيين التى قام قس اسمه جرو بر بتقويتها أكثر من مرة ، إذ كان يخشى الزلازل ، وأن النهار قد أظلم ، وأن السيدة مورانا المدبرة للدار كانت على مقربة منه تردد بلغتها : « فلتشفق علينا يا سيدى المسيح » .

كان الدكتور تيروفومى سازاكى جراح مستشفى الصليب الأحمر ، وهو عائد بالقطار من الريف حيث يعيش مع أمه إلى مدينة هيروشيما ، يفكر فى حلم مزعج رآه فى الليلة السابقة . وكانت دار والدته فى موكايهارا وهى على ثلاثين ميلا من المدينة ؛ فهو يقطع ساعتين بالقطار والترام حتى يصل إلى المستشفى . وكان نومه مضطرباً فى تلك الليلة ، واستيقظ قبل الوقت المعتاد بساعة وهو يشعر بخمود وشىء من الحمى . وبدا له ألا يذهب إلى المستشفى غير أن شعوره بالواجب حمله أخيراً على الذهاب . وعلى ذلك ركب قطاراً قبل القطار الذى كان يركبه عادة فى الأيام الأخرى . وقد أزعجه الحلم بصفة خاصة لأنه كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً ولو أنه سطحى بواقعة فعلية مزعجة . فانه عندما أتم دراسته الطبية فى الجامعة الطبية الشرقية بمدينة بستجتاو بالصين ، وكان فى الخامسة والعشرين من عمره ، وهو شاب مثالى ، شعر بحزن شديد لقلة الوسائل الطبية فى البلدة الريفية التى تعيش فيها أمه . فأخذ بدون أن يحصل على ترخيص يزور بعض المرضى فى المساء ، وذلك بعد أن يشتغل ثمانى ساعات فى المستشفى وأربع ساعات فى التطبيب . ولقد علم حديثاً أن العقوبة على العمل بدون ترخيص شديدة ، واستشار فى ذلك أحد الأطباء من زملائه فأنبه وعنفه . ومع ذلك استمر فى علاج الناس . ورأى فيما يراه النائم أنه كان

إلى جانب مريض فى الريف ، فاذا برجال الشرطة والطبيب الذى استشاره يقتحمون الغرفة ويقبضون عليــه ويجرونه إلى الخارج ويضربونه ضرباً قاسياً. وفى القطار اعتزم أن يترك العمل فى موكايهارا إذ أحس أنه من المستحيل أن يحصل على ترخيص ؛ لأن السلطات ترى أن الترخيص يتعارض مع واجباته فى مستشفى الصليب الأحمر .

وعندما بلغ نهاية رحلته ركب سيارة من سيارات النقل فى التو .(ولقد قدر فيما بعد أنه لو أخذ قطاره العادى فى ذاك الصباح ، وانتظر سيارة النقل بضعة دقائق كما كان يحدث عادة ، لكان فى مركز المدينة عند الانفجار ولهلك بلا ريب.) فوصل إلى المستشفى فى الساعة السابعة وأربعين دقيقة . ومر على رئيس الجراحين لينبئه بوصوله . وبعد دقائق ذهب إلى حجرة فى الطابق الأول وأخذ بعض الدم من ذراع رجل ليجرى فيه تجربة فاسرمان. وكان المعمل الذى يحتوى على المساخن لإجراء التجربة فى الطابق الثالث . وأمسك بنموذج الدم فى يده اليسرى ، وأخذ يسير وهو مشتت الفكر منذ الصباح ، بسبب حلمه المزعج ونومه القلق ، مجتازاً المشى الرئيسى إلى السلم . وكان قد جاوز نافذة مفتوحة بخطوة واحدة عندما رأى انعكاس ضوء القنبلة فى المشى كأنه بريق فوتوغرافى ، فجثا على إحدى رجليه وقال لنفسه فى هدوء لايستطيعه غير اليابانى : « تشجع يا سازاكى ! » وفى تلك اللحظة (وكان البناء على بعد ١٦٥٠ ياردة من المركز) مرت ريح عاصف على المستشفى ، فطارت نظارتاه من وجهه ، وتحطمت قارورة الدم على أحد الحوائط ، وطارت نعله اليابانية من قدميه ، ولكنه لم يصبه شئ غير ذلك ، بفضل المكان الذى كان فيه .

صاح الدكتور سازاكى منادياً رئيس الجراحين ، ثم جرى مسرعاً إلى مكتب هذا الرئيس ، فألفى به جروحاً كبيرة من الزجاج . ولقد صار المستشفى فى فوضى شديدة ؛ إذ سقطت أسقف وحواجز على المرضى ، وانقلبت السرر ، وانخلعت النوافذ إلى الداخل ، فجرح الناس ولطخت الدماء الحيطان والأرض ، وانتثرت الأدوات فى كل مكان . وكان بعض المرضى يجرون صارخين والكثير منهم موتى . (وممن مات زميل للدكتور سازاكى يعمل فى المعمل الذى كان يقصده هذا الطبيب ؛ ومات المريض الذى تركه الطبيب منذ لحظة والذى كان يخشى

أن يكون مصاباً بمرض الزهرى .) وقد ألفى دكتور سازاكى نفسه الطبيب الوحيد الذى لم يصب بأذى .

اعتقد الدكتور سازاكى أن العدو ضرب المستشفى الذى يعمل فيه وحده ، فجاء بضمادات وأخذ يربط جراح أولئك الذين فى المستشفى ، على حين كان فى خارجه وفى سائر أنحاء هيروشيما جميع الأهالى الذين بترت أعضاؤهم والذين هم على وشك الموت يجرّون أنفسهم نحو مستشفى الصليب الأحمر ليلوذوا بهذا المستشفى مما حمل الدكتور سازاكى على أن ينسى حلمه المزعج مدة طويلة .

قامت الآنسة توشيكو سازاكى الكاتبة بمصانع الصفيح بشرق آسيا ، والتى ليست لها قرابة بالدكتور سازاكى ، فى الساعة الثالثة من صباح اليوم الذى ألقيت فيه القنبلة . وكان عليها عمل فى الدار أكثر من العادة ؛ فقد حدث لأخيها الصغير الذى يبلغ من العمر أحد عشر شهراً اضطراب معدى خطير فى اليوم السابق ، فحملته أمه إلى مستشفى الأطفال بتامورا وباتت معه . وكانت الآنسة سازاكى فى نحو العشرين من عمرها وعليها أن تطهى طعام الفطور لأبيها وأخ وأخت ولنفسها . وفضلا عن ذلك — إذ كان المستشفى بسبب الحرب لا يستطيع تقديم طعام — كان عليها أن تعد طعام يوم كامل لأمها وللطفل ، بحيث يستطيع والدها الذى يشتغل فى مصنع لعمل صمامات من المطاط لرجال المدفعية ، أن يأخذ هذا الطعام فى طريقه إلى المصنع . ولقد انتهت من تحضير الطعام وتنظيف أدوات الطهى عندما أشرفت الساعة على السابعة . وكانت الأسرة تعيش فى حى كوى ، ويستغرق الذهاب إلى مصانع الصفيح خمساً وأربعين دقيقة ؛ إذ كانت هذه المصانع تقع من المدينة فى الجزء المسمى كانون — ساتشى . وهى كانت تتولى سجلات المستخدمين فى المصنع . وقد برحت كوى فى الساعة السابعة ، وعندما وصلت إلى المصنع ذهبت مع غيرها من الفتيات من إدارة المستخدمين إلى ردهة المصنع . فان رجلا معروفاً من رجال البحرية ومن مستخدمى المصنع من قبل انتحر فى اليوم السابق بأن ارتمى تحت قطار ؛ وهى ميتة تعد شريفة ، فتسمح باقامة صلاة لذكراه . وكانت هذه الذكرى ستقام فى مصنع الصفيح فى الساعة العاشرة من الصباح .

وقد قامت الآنسة سازاكى ومن معها من الفتيات بما يناسب من ترتيب لهذا الاجتماع ، واستغرق هذا العمل نحو عشرين دقيقة .

عادت الآنسة سازاكى إلى حجرتها ، وجلست إلى مكتبها ، وكانت بعيدة عن النوافذ التى تقع إلى يسارها ، وكان خلفها قمطران طويلان للكتب فيهما جميع الكتب التى توجد فى مكتبة المصنع ، وقد رتبتها إدارة المستخدمين . جلست الآنسة إلى مكتبها ووضعت بعض أشياء فى أحد الأدراج ونقلت بعض الأوراق ، وفكرت قبل الابتداء فى كتابة قوائم المستخدمين الجدد ، وفصل المستخدمين ، وانتقال بعضهم إلى الجيش ، أن تتحدث قليلا إلى الفتاة الجالسة إلى يمينها . وبمجرد أن أدارت رأسها إلى الجهة المعارضة للنوافذ امتلأت الحجرة بضوء يعشى الأبصار ؛ فاضطرب جسمها من الخوف ، وظلت ملازمة مقعدها لحظة طويلة . (وكان المصنع على بعد ١٦٠٠ ياردة من المركز .)

سقط كل شىء ، وأغمى على الآنسة سازاكى ، وانهار السقف فجأة وتناثرت الأخشاب من فوقها . وسقط الناس الذين كانوا فى الطابق الذى فوقها وقد خر عليهم السقف من فوقهم . ولكن أهم شىء حدث لها أن انحنى قمطرا الكتب اللذان كانا من ورائها إلى الأمام ، وقذف بها مايحتويانه إلى الأرض ، وانثنت رجلها اليسرى انثناء فظيعاً حتى انكسرت تحتها . وفى مصنع الصفيح هذا وفى أول لحظة من عصر القنبلة الذرية كانت الكتب تحطم مخلوقاً بشريًّا.

٢

النـــــار

عندما جرى القس كيوشى تانيموتو خارجاً من ضيعة ماتسوى على أثر الانفجار ، ونظر فى دهشة إلى الجنود تتفجر منهم الدماء على فم المكمن الذى كانوا يحفرونه ، شهـد سيدة عجوزاً تسير فى ذهـول ، تمسك رأسها بيدها اليسرى ومسندة طفلا صغيراً عمره ثلاثة أشهر أو أربعة على ظهرها بيدها اليمنى وهى تصيح : « لقد أُصبت ! لقد أصبت ! لقد أصبت ! » فأشفق عليها وحمل الطفل على ظهره ، وأمسك بيد المرأة يسير بها نازلا الشارع الذى أظلم بما يشبه عموداً من تراب ، وسار بالمرأة إلى مدرسة ابتدائية قريبة أُعدت لتكون مستشفى عند الضرورة . وبهذا المسلك العاطفى تخلص مستر تانيموتو فى الحال مما اعتراه من خوف . ولقد دهش كثيراً عندما رأى زجاج المدرسة منتثرا على الأرض ، وخمسين أو ستين من المصابين تمكنوا فى هذه الفترة العصيبة من الوصول إليها طلباً للعلاج . جال بخاطره أنه ، بالرغم من الانذار بزوال الخطر وبالرغم من عدم سماعه صوت طيارات ، لابد أن تكون ألقيت عدة قنابل ، وتذكر تلا صغيراً فى حديقة صاحب مصنع الحرير يمكن منه مشاهدة حى كوى بأكمله ، بل هيروشيما بأكملها ؛ ولذلك جرى عائداً إلى تلك الضيعة .

ورأى مستر تانيموتو من هذا التل منظراً عجيباً : فلم يكن جزء من حى كوى كما كان ينتظر ، بل أكثر ما يستطيع أن يراه من هيروشيما فى ذلك الجو الذى اكتنفه الضباب كان يخرج منه غبار كثيف فظيع . وقد أخذت أعمدة من

الدخان فى القريب وفى البعيد تفتح لها طرقا بين سحائب التراب المنتشرة فى كل مكان . وعجب كيف حدث هذا الضرر الكبير من سماء هادئة ؛ ولو كانت هنالك بضع طيارات ولو بعيدة لسمع صوتها . وكانت الدور القريبة تحترق . وعندما أخذت قطرات كبيرة من الماء تتساقط ظن أنها لابد ناشئة من رجال الحريق وهم يقاومون النار . (والواقع أنها قطرات رطوبة تجمعت بسبب ذلك البرج من التراب والحرارة وقطع الحطام التى ارتفعت أميالا فى الجو فوق هيروشيما .)

استدار مستر تانيموتو من هذا المنظر عندما سمع مستر ماتسو يناديه سائلا هل سلم من السوء ؛ فان مستر ماتسو أنقذته الوسائد التى كانت مختزنة فى البيت عند انهياره واستطاع التخلص منها . ولم يكد مستر تانيموتو يستطيع الاجابة ؛ فانه تذكر زوجته وطفله وكنيسته وداره وأتباع مذهبه ، وهم فى تلك الحمأة الفظيعة ، وأخذ يجرى مرة ثانية وقد استولى عليه الخوف نحو المدينة .

وتخلصت السيدة هاتسويو نكامورا أرملة الترزى من حطام دارها بعد الانفجار . ولقد رأت مييكو أصغر أطفالها الثلاثة مغموراً فى الحطام إلى صدره فلم يكن قادراً على الحراك . فزحفت نحو الحطام ورفعت الأخشاب وألقت بالآجرّ بأذلة جهداً سريعاً لتخليص الطفل . ثم سمعت صوتين صغيرين كأنهما يصيحان من كهف عميق ويناديان : « تاسوكيتى ! تاسوكيتى ! المساعدة ! المساعدة ! »

فنادت باسم ولدها الذى يبلغ العاشرة من عمره ، وباسم ابنتها التى تبلغ الثامنة : « توشيو! ييكو ! »

فرد الصوتان من أسفل .

فتركت السيدة نكامورا طفلتها مييكو التى تستطيع على الأقل أن تتنفس ، وأخذت فى سورة الخوف تزيح الأنقاض من فوق الأصوات الصائحة . ولقد كان الطفلان راقدين وبينهما نحو عشرة أمتار ، ولكن كان صوتاهما يصدران من مكان واحد . ويظهر أن الغلام توشيو كان يستطيع بعض الحركة ؛ إذ شعرت بأنه يزيح أكوام الخشب والآجر ، حين كانت هى تعمل من فوق . وأخيراً رأت رأسه فجذبته من رأسه بسرعة . وكانت ناموسية قد التفت

٢

على قدميه كأنما قد أحكم ربطها حول هذين القدمين . وقال الغلام إنه قد قذف به إلى الجانب الآخر من الحجرة ، وإنه كان فوق أخته ييكو وهما تحت الأنقاض . وصاحت البنت من تحت الأنقاض بأنها لاتستطيع أن تتحرك ؛ لأن ثمة شيئاً فوق رجليها . واستطاعت السيدة نكامورا بعد أن حفرت قليلا أن تفتح ثغرة فوق البنت ، وأخذت تجذبها من ذراعها ، فصاحت ييكو قائلة « إتاى ! هذا مؤلم ! » فصاحت السيدة نكامورا « ليس هذا وقت التفكير فى الألم أو عدمه » وجذبت ابنتها الباكية ، ثم عادت إلى تخليص مييكو . وكان الأطفال معفرين ومصابين برضوض ، ولكنهم خالون من الجروح والخدوش .

وخرجت السيدة نكامورا بأطفالها إلى الشارع ، ولم يكن على الأطفال غير سراويلهم . ومع أن اليوم كان حارًّا جدا ، فقد اعترى أمهم قلق واضطراب خشية أن يصيبهم البرد ، فرجعت إلى الأنقاض وأخذت تنبش تحتها ، فوجدت ربطة من الملابس كانت قد وضعتها للضرورة ، فألبستهم ملابسهم وأحذيتهم ، ووضعت على رءوسهم خوذات من القطن للوقاية من الغارات، وأغرقت فى ذلك فألبستهم معاطف . وكان الأطفال صامتين ما عدا الصغيرة مييكو فانها ظلت تلقى أسئلة : « ماذا ؟ هل جاء الليل ؟ لماذا انهارت الدور ؟ ماذا حدث ؟ » ونظرت السيدة نكامورا حولها وكانت لا تعرف ماذا حدث (ألم تنبئ الصفارة بزوال الخطر ؟) ورأت فى الظلام أن جميع الدور فيما حولها قد انهارت ، فالمنزل المجاور لها الذى كان صاحبه يهدمه لكى يفتح درباً لاتقاء النيران كان الآن قد تهدم تماماً ، وإن كان فى غير انتظام . وصاحب البيت الذى كان يضحى بمنزله فى سبيل الجماعة كان ملقى جثة هامدة . واجتازت الشارع السيدة نكاموتو زوجة رئيس جمعية الجيران المحلية لاتقاء الغارات ، وكانت الدماء تسيل من رأسها ، وقالت إن طفلتها أصيبت بجروح كثيرة ، وسألت السيدة نكامورا هل لديها شئ من الأربطة ؟ ولم يكن لدى هذه السيدة منها شئ ، غير أنها رجعت مرة أخرى إلى بقايا دارها ، وجرّت قطعة من القماش الأبيض الذى كانت تستعمله فى الحياكة ، وقطعته أشرطة وأعطته السيدة نكاموتو . وبينما كانت تبحث عن هذا القماش بصرت بآلة الحياكة فحاولت إخراجها . وكان من البين أنها لا تستطيع أن تحمل هذه الآلة معها؛ ولذلك ألقت دون وعى رمز معيشتها فى الحوض الذى ظل رمز السلامة

لديها — وهو حوض للماء من الأسمنت أمام دارها من النوع الذى أمر كل بيت بانشائه لمقاومة النار بعد الغارات .

ولقد طلبت إليها جارة أخرى تملكها الخوف اسمها مسز هاتايا بأن تفر معها إلى الغابات فى حديقة أسانو ، وهى أراض على مقربة من نهر كيو تمتلكها أسرة أسانو الغنية ، وهى الأسرة التى كانت تمتلك خط بواخر تويو كيسن كايشا ، ولقد جعلت هذه الحديقة ملاذاً لمن يجاورونها من السكان . ورأت السيدة نكامورا النار تشتعل فى دار خربة قريبة (ولقد تسببت أكثر النيران الواسعة فى هيروشيما فيما عدا مركز المدينة حيث أشعلت القنبلة بعض النيران ، من سقوط الحطام القابلة للاشعال على مواقد الطهى والأسلاك المليئة بالكهربا) فاقترحت الذهاب لاطفائها . فقالت لها السيدة هاتايا : « تعقلى ! ماذا يكون الأمر لو جاءت الطائرات وألقت قنابل أخرى ؟ » فعاودت السيدة نكامورا السير نحو حديقة أسانو وبصحبتها أطفالها والسيدة هاتايا . وكانت تحمل كيساً به ثياب الضرورة ، وتحمل غطاء وشمسية وحقيبة بها أشياء وضعتها فى مخبأ الوقاية من الغارات . وكانوا يسمعون وهم يسيرون مسرعين بين الخرائب أصواتاً مكتومة تلتمس الغوث . ولم يروا من الدور ما هو قائم فى طريقهم إلى حديقة أسانو غير دار بعثة اليسوعيين إلى جانب مدرسة الأطفال اليسوعية التى كانت قد أرسلت السيدة نكامورا ابنتها مييكو إليها بعض الوقت ، وعندما مروا على هذه الدار رأوا الأب كلاينسورج فى ثيابه الداخلية وهى ملطخة بالدماء يجرى من الدار وفى يده حقيبة صغيرة .

أما الأب فيلهلم كلا ينسورج فانه بينما كان يدور حول حديقة الخضراوات بملابسه الداخلية على أثر الانفجار ، إذا به يرى الأب الرئيس لاسال يظهر من جانب البناء الذى اكتنفه الظلام . وكان جسمه لاسيما ظهره ملطخاً بالدماء ، ولقد قذف به البريق إلى الداخل من النافذة ورشقته سهام من الزجاج المتناثر ، وتمكن الأب كلاينسورج ، مع ما استولى عليه من ذهول ، من أن يلقى سؤالا : « وأين بقية الزملاء ؟ » وفى تلك اللحظة ظهر قسان آخران يعيشان فى دار البعثة ، هما الأب شيزلك الذى لم يصب بضرر ، يساعد الأب شيفر الذى كان مدرجاً بدماء متفجرة من جرح فوق أذنه

اليسرى وقد امتقع لونه امتقاعاً شديداً . وكان الأب شيزلك راضيا عن نفسه ؛ لأنه على أثر البريق اختبأ فى مدخل باب كان قد قدر من قبل أنه خير مكان لمن يطلب السلامة فى داخل البناء ؛ لذلك لم يصب عندما ضغط الهواء بسوء . وطلب الأب لاسال من الأب شيزلك أن يذهب بالأب شيفر إلى طبيب قبل أن تنزف دماؤه حتى الموت ، واقترح أن يقصد إما دكتور كندا الذى يسكن الجانب الآخر من الشارع ، أو دكتور فوجى الذى يسكن بناء يبتعد بستة أبنية . وخرج الرجلان من دار البعثة وسارا فى الشارع .

وجرت ابنة مستر هوشيما خادم البعثة إلى الأب كلاينسورج وقالت له إن أمها وأختها مدفونتان تحت أنقاض البيت الواقع وراء أبنية البعثة الكاثوليكية . ولاحظ القساوسة فى الوقت نفسه أن دار معلمة الأطفال الكاثوليكية وهى واقعة خلف أبنية البعثة تهدمت عليها . فذهب الأب لاسال والسيدة مورانا مدبرة دار البعثة لانقاذ المعلمة . وفى هذه الأثناء ذهب الأب كلاينسورج إلى دار الخادم النهارة وأخذ يرفع الأنقاض من أعلى الكومة . ولم يسمع صوتاً تحت الأنقاض ، فاستيقن أن المرأتين من أسرة هوشيما قد قتلتا ، وأخيراً تحت أنقاض كانت تؤلف ركناً فى المطبخ رأى رأس السيدة هوشيما ، ولما كان يعتقد أنها جثة فقد أخذ يجذبها من شعرها فصرخت فجأة صائحة « إتاى ! إتاى ! إنها تؤلم ! إنها تؤلم ! » ، فأخذ يزيل ما عليها من أنقاض وأخرجها . وتمكن أيضاً من أن يجد ابنتها تحت الأنقاض وينقذها ؛ ولم تصب كلتاهما باصابة كبيرة .

وكان ثمة حمام عام يقع إلى جانب دار البعثة أخذ يشتعل . وإذ كانت الريح جنوبية فقد رأى القساوسة أن دارهم ستسلم من الحريق ؛ ولكن الأب كلاينسورج ذهب إلى الداخل على سبيل الاحتياط وجمع بعض الأشياء التى يريد إنقاذها ، فوجد حجرته فى حالة من الفوضى غريبة وغير معقولة ، فحقيبة فيها أدوات الاسعاف كانت معلقة فى مسمار على الحائط كما وضعها ، ولكن ملابسه التى كانت معلقة على مسامير أخرى لا يظهر لها أثر ؛ ولقد تحطم مكتبه إلى ألواح صغيرة متناثرة فى جميع أرجاء الحجرة ، ولكن حقيبة ملابس من الورق القوى كان يخبئها تحت هذا المكتب ظلت قائمة ومقبضها من أعلى وليس فيها خدش واحد فى مدخل الباب بحيث لا يمكن أن يفتقدها ،

واعتقد الأب كلاينسورج فيما بعد أن للعناية الربانية دخلا فى هذا الأمر ؛ إذ كان فى هذه الحقيبة كتاب صلاته ، وسجلات حساب جميع منطقته الدينية ، ومبلغ كبير من عملة الورق التى تمتلكها البعثة وهو مسئول عنها . فجرى خارجا من البيت حاملا الحقيبة إلى مخبأ البعثة حيث أودعها من الغارات .

وفى هذا الوقت عاد الأب شيزلك والأب شيفر الذى كان الدم لايزال ينزف منه ، وقالا إنهما وجدا دار دكتور كندا قد تهدمت ، وإن النار حالت دون أن يخرجا مما ظناه دائرة الدمار المحلية إلى مستشفى الدكتور فوجيى الخاصة على شاطئ نهر كيو .

ولم يكن مستشفى دكتور مسا كازو فوجيى قائماً على شاطئ النهر كما كان ، بل كان فى النهر . وعلى أثر انقلابه استولت على الدكتور فوجيى الدهشة ، وشد إلى الخشبتين اللتين تطبقان على صدره حتى إنه لم يكن يستطيع أن يتحرك فى بادئ الأمر ، وظل نحو عشرين دقيقة معلقاً فى ذلك الصباح المظلم . ثم خطرت له فكرة — أن المد سوف يطغى على الأنهر وسيغمر الماء رأسه — فأدت هذه الفكرة إلى الخوف الذى بعث فيه النشاط ، فأخذ يتلوى ويستدير ويبذل ما فى وسعه من جهد (ولو أن ذراعه اليسرى بسبب ما فى كتفه من ألم كانت قليلة الجدوى) . وبعد قليل تمكن أن يتخلص من هذه القبضة السيئة . وبعد أن استراح بضع لحظات تسلق كومة الأخشاب ، ورأى لوحاً طويلا يمتد إلى شاطئ النهر ، فأخذ يسير فوقه فى مشقة .

كان الدكتور فوجيى فى ملابسه الداخلية مبللا بالماء وقذراً ، وقد تمزق قميصه ، وجرت دماء من جراح فى ذقنه وظهره ، وسار وهو فى هذه الحال السيئة إلى جسر كيو الذى كان المستشفى متاخماً له ، ولم يكن هذا الجسر قد انهار ، وقد كان هو لا يكاد يميز الأشياء إلا بصعوبة من غير نظارتيه ، ولكنه رأى ما يكفى لأن يبعث فيه الدهشة لكثرة الدور المتخربة فيما حوله ، وقابل فوق الجسر صديقاً طبيباً اسمه ماتشى ، فسأله فى حيرة : «أى شئ تظن أحدث هذا ؟»

فقال دكتور ماتشى : « إنها لا بد أن تكون سلة أزهار مولوتوف ! » وهو التعبير الرقيق الذى يسمى اليابانيون به مجموعة القنابل التى تتناثر من تلقاء نفسها .

رأى دكتور فوجي فى مبدأ الأمر حريقين : أحدهما على الجانب الآخر من النهر أمام مكان مستشفاه ، والثانى بعيداً فى الجنوب . ولكن فى الوقت نفسه لاحظ هو وصديقه أمراً استغربا له ، وأخذا بوصفهما طبيبين يتناقشان فيه . فمع أنه لم تشب حتى ذلك الوقت إلا حرائق قليلة جدا فان الجرحى من الناس كانوا يسيرون مسرعين فوق الجسر فى موكب من التعاسة لا ينقطع وعلى وجوه بعضهم وأذرعهم حروق فظيعة . فسأل دكتور فوجي : « ماذا تظنها ؟ » وقد كان مجرد الاهتداء إلى نظرية يبعث على الارتياح فى ذلك اليوم ؛ وثبت دكتور ماتشى على فكرته قائلا : « ربما كانت سلة أزهار مولوتوف . »

لم تكن هناك أية نسمة فى صباح ذلك اليوم حينما سار دكتور فوجي إلى محطة السكك الحديدية ليودع صديقه ؛ أما الآن فان الرياح القوية كانت تعصف فى كل مكان ، وكانت الرياح فوق الجسر شرقية ؛ وأخذت النيران تندلع من جهات عدة وتنتشر فى سرعة ، ثم أخذت تهب رياح عنيفة ساخنة ، وأخذ الرماد يتناثر مما جعل الوقوف على الجسر مستحيلا ، فجرى الدكتور ماتشى إلى الجانب البعيد من النهر مخترقاً شارعاً لم تشتعل فيه النار بعد . وذهب الدكتور فوجي إلى جانب الماء الذى يجرى تحت الجسر حيث التجأ عدد عديد من الناس بينهم خدمه الذين أنقذوا أنفسهم من الأنقاض . ورأى الدكتور فوجي من ذلك المكان ممرضة معلقة من رجليها فى أخشاب المستشفى ، وأخرى مسمرة بقطعة من الأخشاب اخترقت صدرها ، فطلب المساعدة من بعض الواقفين تحت الجسر وأنقذ المرضتين . وخيل إليه أنه سمع صوت ابنة أخيه لحظة ولكنه لم يجدها ، ولم يرها فيما بعد . ومات أيضاً أربع من ممرضاته واثنان من مرضاه . ثم عاد دكتور فوجي إلى جانب الماء منتظراً هدوء النار .

كان ما حدث للأطباء فوجي وكندا وماتشى على أثر الانفجار — وهؤلاء الثلاثة مثال لما حدث للسواد الأعظم من الأطباء والجراحين فى هيروشيما — إذ تخربت عياداتهم ومستشفياتهم ، وتناثرت أدواتهم ، وأصيبوا بما أعجز أجسادهم بدرجات متفاوتة ، مما يفسر السبب فى أن العدد الكبير من الأهالى الذين

أصيبوا باصابات لم يجدوا من يعتنى بهم ، وأن الكثيرين ممن قدر لهم الموت كان من الممكن أن يعيشوا . وكان فى المدينة مائة وخمسون طبيباً ، فمات منهم خمسة وستون ، وأكثر من نجا من الموت قد جرح . ومن بين ١٧٨٠ ممرضة ، ١٦٥٤ قد متن أو جرحن بحيث لم يعدن يستطعن العمل . وفى أكبر مستشفى ، وهو مستشفى الصليب الأحمر ، لم يعد يستطيع العمل غير ستة أطباء من بين ثلاثين طبيباً ، وعشر ممرضات من بين أكثر من مائتين . وكان الطبيب الوحيد الذى لم يصب بسوء من بين أطباء مستشفى الصليب الأحمر هو الدكتور سازاكى . ولقد جرى بعد الانفجار إلى مخزن ليتزود بأربطة ، فكانت هذه الحجرة ، كسائر ما رآه فى المستشفى ، على حالة غريبة من الفوضى ؛ فقارورات الأدوية ملقاة من الرفوف ومكسورة ، والأدوية متناثرة على الحوائط ، والأدوات مبعثرة فى كل مكان ، فجمع فى سرعة بعض الأربطة وقارورة لم تكسر من كروم الزئبق ، وأسرع إلى كبير الجراحين فربط جروحه . ثم ذهب إلى المشى وأخذ يربط جروح المرضى والأطباء والممرضات . وكان يجد مشقة فى العمل بدون نظارتيه حتى لقد أخذ نظارتين من وجه ممرضة جريحة ولبسهما ، مع أنهما لا يلائمان نظره كل الملاءمة ، ولكن شيئاً خير من لا شئ . (ولقد ظل يعتمد عليهما أكثر من شهر .)

كان الدكتور سازاكى يعمل بلا نظام ، فيعالج من هم أقرب إليه أولا ، ولكنه لاحظ بعد قليل أن الجرحى يزيدون احتشاداً فى المشى . وكان يجد بين خليط الناس المصابين بالجروح والكدمات ، وهو ما أصيب به جميع الذين فى المستشفى ، آخرين أصيبوا بحروق فظيعة . فأيقن أن المصابين أخذوا يتدفقون من الخارج ، وأنهم من الكثرة بحيث أخذ يهمل الذين أصيبوا بجراح بسيطة ، وتقرر لديه أن كل ما يستطيع أن يعمله هو أن يمنع من المصابين نزيف الدم الذى يفضى إلى الموت ، ولم يمض وقت طويل حتى كان المرضى يغطون أرض عنابر المستشفى ومعامله ، وجميع الحجر الأخرى والطرقات والسلالم والردهة الخارجية ، وفيما وراء الباب الخارجى وعلى الدرج الأمامى ، وفى فناء المستشفى وعلى الطرقات المؤدية إليه ، وهم بين ممدد وجالس القرفصاء . وكان الجرحى يساعدون الذين قطعت أعضاؤهم ، وتتساند الأسر التى شوهت وجوهها ، وكان الكثير من الناس قد اعتراهم القئ . ودخل إلى المستشفى عدد عظيم

من فتيات المدارس ؛ وبعضهن أخذن من دروسهن ليعملن فى الخارج بفتح دروب لمقاومة النيران . وفى مدينة يبلغ عددها مائتين وخمسة وأربعين ألفاً ، قتل أو قدر له الموت منهم فى ضربة واحدة نحو مائة ألف شخص ، وأصيب نحو مائة ألف أخرى ، قد قصد عشرة آلاف من الجرحى منهم على الأقل إلى أحسن مستشفى فى المدينة ، وكان هذا المكان لا يمكن أن يسع هذا الزحف ؛ إذ كان به ستمائة سرير فقط وكلها مشغولة . وكان الناس فى ذلك الجمع الخانق داخل المستشفى يبكون وينادون دكتور سازاكى لكى يلتفت إليهم ، صائحين : « اسعفنى يا دكتور ! » وكان الذين أصيبوا بجروح غير خطيرة يجذبونه من كمه ، ويدعونه إلى مساعدة من هم أشد جروحاً . وكان الطبيب يجذب من هنا وهناك وهو لم يكن يلبس فى قدميه غير جواربه . وقد تحير لكثرة العدد ، وهاله ما رأى من لحم مشرح ؛ ففقد دكتور سازاكى كل المشاعر التى تقضى بها مهنته ، ولم يعد يعمل جراحا ماهراً ورجلا عطوفا ، بل صار كالآلة يمسح فى حركة آلية ، ثم ينثر المطهر ثم يربط اللفافة ، ثم يعود فيمسح وينثر ويربط .

على أن بعض الجرحى فى هيروشيما لم يقدر لهم أن يتمتعوا بتلك المتعة المشكوك فيها ، وهى المعالجة فى المستشفى . ففى تلك الخرائب التى كانت فيما سبق إدارة المستخدمين بمصانع الصفيح بشرق آسيا ، كانت الآنسة سازاكى مرتمية وهى فاقدة الوعى تحت الكومة الهائلة من الكتب والجبس والخشب وألواح الحديد . وظلت فاقدة الوعى (فيما قدرته من بعد) نحو ثلاث ساعات . وكان أول ما شعرت به ألم شديد فى رجلها اليسرى . وقد تأثرت رجلها واستحالت سوداء تحت الكتب والأنقاض ، حتى صار الحد الذى يفصل بين الحس الشعور وفقدان الحس دقيقاً ، وظلت تعبر هذا الحد عدة مرات ؛ إذ كان الألم ، على ما يظهر ، يجئ ويذهب . وفى اللحظة التى كان يبلغ فيها هذا الألم غاية شدته كانت تشعر أن رجلها قطعت فى مكان ما تحت الركبة . وسمعت فيما بعد شخصاً يسير على الحطام الذى كان فوقها ، وسمعت أصواتاً يائسة تتكلم على ما يظهر من بين فوضى الحطام فيما حولها وهى تقول : « أرجو المعاونة اخرجونا ! »

وقف الأب كلاينسورج نزيف الدماء من جرح الأب شيفر بقدر ما يستطيع ، بربطة كان قد أعطاها الدكتور فوجي للقساوسة قبل ذلك بأيام ، فلما انتهى من هذا العمل جرى إلى داخل دار البعثة مرة ثانية ، فوجد سترة لباسه الحربى وبنطلونا رماديا قديما ، فلبس هذه الملابس وخرج . وأسرعت إليه امرأة من الجيران صائحة أن زوجها مدفون تحت بيتها ، وأن النار اشتعلت فى البيت ،وتستغيث الأب كلاينسورج أن يسرع لإنقاذه .

وكان الأب كلاينسورج قد استولت عليه الدهشة وقلة المبالاة أمام مثل هذه الكارثة الشاملة ، فقال لها : « ليس لدينا وقت لذلك . » وكانت الدور فيما حوله تحترق ، والرياح تهب عنيفة ، ثم سأل : « هل تعلمين تماماً تحت أى مكان من الدار هو موجود ؟ »

فأجابته : « نعم ! نعم ! فاسرع ! »

فذهب إلى الدار ، وكانت بقاياها مشتعلة اشتعالا عنيفاً ، ولكنهما لما وصلا إليها ظهر أن المرأة لا تعرف أين يكون زوجها . وصاح الأب كلاينسورج عدة مرات « هل هناك أحد ؟ » فلم يأته الجواب. فقال الأب كلاينسورج للمرأة: «يجب أن نبتعد حالاً وإلا هلكنا جميعاً . » وعاد إلى بناء البعثة الكاثوليكية ، وأنبأ الأب الرئيس أن النار تقترب مع الريح التى تغير مهبها فصارت تهب الآن من الشمال ، وأن الوقت قد حان لمغادرة المكان .

وفى هذه اللحظة لفتت معلمة الأطفال نظر القساوسة إلى مستر فوكاى سكرتير البعثة ، وكان واقفاً فى النافذة بالطابق الثانى من دار البعثة ، وهو ينظر إلى اتجاه الانفجار ويبكى ، فظن الأب شيزلك أن السلالم صارت غير صالحة ، فجرى خلف دار البعثة ليبحث عن سلم . وهنالك سمع أناساً يصيحون طالبين الغوث تحت سقف قريب انهار عليهم ، فدعا المارة الذين كانوا يجرون فى الشارع إلى مساعدته فى رفع السقف ، ولكن لم يلتفت إليه أحد ؛ فاضطر إلى ترك أولئك الذين تحت السقف فى مخالب الموت . وجرى الأب كلاينسورج إلى داخل دار البعثة وصعد فوق الدرج التى أصابها الخلل وامتلأت بالجبس والأنقاض المتساقطة ، ودعا مستر فوكاى من باب حجرته .

فالتفت إليه مستر فوكاى فى بطء ، وكان رجلا قصيراً جداً فى نحو الخمسين من عمره ، وقال له وهو يحدجه بنظرة غريبة : « دعنى هنا . » ودخل الأب

كلاينسورج الحجرة وأمسك بمستر فوكاى من رقبة سترته ، وقال : « تعال معى و إلا أصابك الموت . »

فقال مستر فوكاى : « دعنى هنا لأموت . »

وأخذ الأب كلاينسورج يجر مستر فوكاى من الحجرة جرًّا ، ثم جاء طالب اللاهوت وحمل مستر فوكاى من قدميه ، كما حمله الأب كلاينسورج من كتفيه ، وسارا به على الدرج إلى الخارج . وكان مستر فوكاى يصيح : « إنى لا أستطيع السير دعانى هنا ! » وحمل الأب كلاينسورج حقيبة الأوراق بما فيها من نقود فى يده ، ثم حمل مستر فوكاى على كتفه ، وسار الجماعة قاصدين ساحة الاستعراض الشرقية ، وهى المكان المخصص للالتجاء إليه فى جهتهم ، وبينما كانوا يخرجون من بوابة الأبنية كان مستر فوكاى قد تغلبت عليه عقلية الأطفال ، فصار يضرب كتفى الأب كلاينسورج وهو يصيح : « لن أغادر الدار ! لن أغادر الدار ! » فالتفت الأب كلاينسورج إلى الأب لاسال وقال له فى عبارة غامضة : « لقد أضعنا كل شئ نملكه إلا روح الفكاهة فينا ! »

كانت الشوارع تعترضها أجزاء الدور التى وقعت عليها وعمد التليفون المتساقطة وأسلاكه . ويسمع من بين أنقاض كل بيت أو فى الغالب أصوات أناس غمرتهم الأنقاض وتركهم أهلوهم وهم يصيحون فى عبارة لا تزال مؤدبة : « تاسوكيتى كورى ! المساعدة من فضلكم ! » ولقد عرف القساوسة فى بعض هذه الخرائب التى تتصاعد منها الصيحات دور أصدقاء لهم ، ولكن المساعدة كانت تكون متأخرة جدا بسبب النار . وكان مستر فوكاى يردد طول الوقت شاكياً : « دعونى وشأنى ! » واتجهت الجماعة إلى اليمين ، فاذا بهم أمام أكوام من الدور المهدمة تناولتها النار من كل جانب ، وعند جسر ساكاى الذى يوصلهم إلى ساحة الاستعراض الشرقية رأوا جميع الحى الواقع إلى الجانب الآخر من النهر شعلة واحدة من النيران ، فلم يجسروا على العبور ، وقرروا الالتجاء إلى حديقة أسانو إلى اليسار منهم ، وكان الأب كلاينسورج ، وقد استولى عليه الضعف منذ يومين بسبب ما أصيب به من إسهال شديد ، قد أخذ يترنح تحت ثقل ذلك الحمل الصاخب . وحاول أن يتسلق حطام بعض الدور التى كانت تحول بينه وبين الوصول إلى الحديقة ، فعثر ، وسقط منه مستر فوكاى ، وتدحرج رأساً على عقب إلى حافة النهر . ولما نهض من عثرته رأى مستر فوكاى

يولى هارباً ، فنادى الأب كلاينسورج نحو عشرة من الجنود كانوا واقفين على النهر طالباً إليهم أن يقفوه . وبينما كان الأب كلاينسورج يهم بالعودة لكى يأتى بمستر فوكاى ، إذا بالأب لاسال يناديه : « أسرع ! لا تضع الوقت سدى ! » فلم يسع الأب كلاينسورج إلا أن يرجو الجنود أن يهتموا بالمستر فوكاى ، فوعدوا بذلك . ولكن الرجل الضئيل الكسير أفلت منهم ، وآخر ما شهده القساوسة منه أنه كان يجرى عائداً نحو النيران .

خاف مستر تانيموتو على أسرته وكنيسته فجرى أولا نحوهما مجتازاً أقرب طريق فى الشارع الكبير بجى كوى . وكان هو الشخص الوحيد الذى يسير متجهاً نحو المدينة ، وقابل مئات ومئات يفرون منها ، وكان كل منهم قد أصيب بنوع من الاصابات ، فقد احترقت حواجب بعضهم ، وتدلّى الجلد من وجوههم وأيديهم ، وكان بعضهم رافعاً ذراعيه من الألم كأنه يحمل شيئاً بينهما ، وكان بعضهم يتقيأ وهو سائر ، وكان العدد الكثير منهم عارياً أو فى أسمال ممزقة ، وقد رسمت الحروق على بعض الأجسام العارية ضروبا من الرسوم ؛ فترى علاقات القمصان وقد ظهرت على أجسادهم فى شكل حروق وترى بعض النساء (إذ كان اللون الأبيض يحول دون نفوذ حرارة القنبلة ، والملابس السوداء تمتصها وتنقلها إلى الجلد) ، قد طبعت رسوم الأزهار على أجسادهن من الكيمونو . وكان بعضهم بالرغم مما أصابهم يساعدون أقاربهم الذين هم فى حالة أسوأ منهم . وكان الجميع تقريباً منكسى الرءوس ، ينظرون إلى أمام فى سكوت ، ولا يظهر على وجوههم أى نوع من التعبير .

بعد أن عبر مستر تانيموتو جسر كوى ثم جسر كانون وهو يجرى ، رأى وهو يقترب من مركز المدينة أن جميع الدور قد تهدمت ، والكثير منها تشتعل فيه النار ، ولقد صارت الأشجار عارية وجذورها سوداء ، وحاول من أماكن عدة أن يخترق الخرائب ولكن النيران كانت تصده . وكان الناس يصيحون من تحت دور كثيرة طالبين الغوث ولا مغيث ، وكان الأحياء فى ذلك اليوم لا يسعفون بوجه عام إلا ذوى قرباهم أو جيرانهم الأدنين ؛ لأنهم لم يكونوا يدركون أو يتوقعون أن دائرة التعاسة أوسع من محيطهم ، وكان الجرحى يسيرون متحاملين على أنفسهم غير مكترثين بما يسمعون من صياح ، وكان

مستر تانيموتو يجرى غير مكترث أيضاً بتلك الصيحات ، وكان بوصفه مسيحيا قد امتلأت نفسه عطفاً على أولئك الذين وقعوا فى فخ الأبنية المتهدمة ، وبوصفه يابانيا قد عراه الخجل لأنه لم يصب بسوء ، وكان يدعو الله وهو يجرى : « اللهم ساعدهم ونجهم من النار ! »

وظن أنه يستطيع أن يتجنب النار من اليسار ، فعاد إلى جسر كانون وسار على حافة أحد الأنهار ، وحاول عدة مرات أن يقطع بعض الشوارع ، ولكنها جميعاً كانت مقفلة ، فسار فى طريقه إلى اليسار وجرى إلى يوكوجاوا ، وهى محطة سكك حديدية تدور حول المدينة فى نصف دائرة واسعة ، وظل يسير فوق الخطوط الحديدية إلى أن وقف أمام قطار يحترق . ولقد أثر فيه ما رآه من اتساع الدمار ، فجرى إلى الشمال ميلين إلى جيون وهى ضاحية تقع فى أسفل التلال . وكان أثناء سيره الطويل يرى أناساً محترقين ومشوهين تشويهاً فظيعاً ، وكان لشعوره بجرمه يلتفت يمنة ويسرة وهو مسرع ويقول : « معذرة إذ أنى لا أحمل مثل ما تحملون ! » وعلى مقربة من جيون رأى أناساً من الريف يتجهون نحو المدينة للمساعدة ، وعندما رأوه صاح عدد منهم : « أنظروا هذا شخص ليست به جروح ! » وعند جيون اتجه إلى الشاطئ الأيمن من نهر أوتا الأساسى ، وصار يجرى حتى اعترضته النيران مرة ثانية . ولم تكن ثمة نيران فى الجانب الآخر من النهر ، فخلع قميصه وحذاءه وألقى بنفسه فى النهر ، وفى منتصف النهر كان التيار قوياً واستولى عليه التعب والخوف ؛ فلقد جرى نحو سبعة أميال ، فخارت قواه وتقاذفته المياه فأخذ يردد : « اللهم ساعدنى على عبور النهر ؛ فانه يكون من سوء الحظ أن أغرق بعد أن كنت الوحيد الذى لم يصب بسوء . » واستطاع أن يسبح قليلا فوجد لوحاً من الخشب محمولا فى المياه .

تسلق مستر تانيموتو الشاطئ وجرى بجانب النهر حتى إذا كان على مقربة من معبد لديانة الشنتو إذا بالنار تواجهه ، فاستدار إلى اليسار ليدور حول النار ، وإذا بالحظ العجيب يساعده ، فيقابل امرأته وهى تحمل ابنهما الطفل . ولقد كان مستر تانيموتو قد تعب إلى تلك اللحظة تعباً عاطفيا حتى لم يعد شئ يدهشه ؛ فلم يعانق زوجته بل قال لها فى بساطة : « حمداً لله على سلامتك ! » فأخبرته أنها وصلت إلى الدار بعد أن قضت ليلتها فى أوشيدا فى الوقت الذى حدث فيه الانفجار ، وأن أنقاض الدار تراكمت عليها وطفلها بين ذراعيها ،

ووصفت كيف ضغطت عليها الأنقاض وكيف كان الطفل يصيح ، ثم رأت بصيصاً من نور ، فمدت يدها وأخذت توسع هذا الثقب شيئاً فشيئاً ، وبعد نصف ساعة سمعت حسيس النار تشتعل فى الأخشاب . وأخيراً اتسعت الفجوة بحيث استطاعت أن تدفع بابنها إلى الخارج ثم تزحف هى إلى الخارج أيضاً . وقالت إنها عائدة الآن إلى أوشيدا ثانية . وقال مستر تانيموتو إنه يريد أن يرى كنيسته ليعنى بالتابعين منهم لجمعية جيرانه ، وافترقا فى بساطة — بسبب ما استولى عليهما من ذهول — كما تقابلا .

أدى السير بمستر تانيموتو وهو يتجنب النار إلى ساحة الاستعراض الشرقية وهى منطقة ملاذ ، وقد صارت الآن ذات منظر فظيع ؛ فقد امتلأت بصفوف وصفوف من الحرقَى والجرحى . وكان الذين أصابهم الحريق يئنون قائلين « ميزو! ميزو! الماء ! الماء ! » ووجد مستر تانيموتو إناء فى شارع قريب ، ورأى صنبور مياه كان لا يزال صالحاً فى دار مهدمة ، فأخذ يحمل المياه إلى هؤلاء المعذبين . وبعد أن أمد نحو ثلاثين منهم بالماء بدا له أنه أنفق فى ذلك وقتاً طويلا ، فقال بصوت عال لأولئك الذين كانوا يمدون أيديهم من حوله يرجون إطفاء غليلهم : « معذرة فان على أن أهتم بأناس عديدين ! » ، ثم جرى مسرعاً إلى النهر والاناء فى يده وقفز إلى كثيب من الرمل ، وهنالك رأى مئات من الناس أصيبوا بجروح خطيرة حتى لم يكونوا يستطيعون أن يخرجوا من المدينة المحترقة . وعندما رأوا رجلا منتصب القامة لم يصب بسوء أخذوا ينادون « الماء ! الماء ! الماء ! » ، ولم يستطع مستر تانيموتو أن يقاوم نداءهم بل حمل إليهم الماء من النهر . وكان هذا خطأ منه لأن الماء كان من ماء المد وهو متغير الطعم . وكان هنالك قاربان أو ثلاثة تنقل المصابين عابرة النهر من حديقة أسانو . وعندما وصل أحد هذه القوارب إلى الشاطئ الذى وقف عليه ، أعاد مستر تانيموتو اعتذاره السابق بصوت عال وقفز إلى القارب فعبر به إلى الحديقة. وهناك تحت الأدغال وجد بعض من هو مسئول عنهم من جمعية جيرانه وقد لجأوا إلى الحديقة طوعاً لتعليماته السابقة ، ورأى عدة من المعارف بينهم الأب كلاينسورج وغيره من الكاثوليك ، ولكنه لم ير فوكاى الذى كان صديقاً حميماً له ، فسأل : « أين السيد فوكاى ؟ »

فأجاب الأب كلاينسورج : « إنه لم يرد المجئ معنا وعاد أدراجه . »

عندما سمعت الآنسة سازاكى صوت الناس الذين سجنوا معها تحت أنقاض مصنع الصفيح أخذت تتحدث إليهم . وكانت أقرب جارة إليها فتاة طالبة فى إحدى المدارس العالية وقد ندبت للعمل فى المصنع ، وأنبأتها هذه الفتاة أن ظهرها كسر ؛ فأجابتها الآنسة سازاكى : « إننى راقدة هنا لا أستطيع الحراك وقد قطعت رجلى اليسرى ! »

وبعد قليل سمعت حس شخص يسير فوقها . ويقصد إلى أحد الجوانب ثم بدأ يحفر فى الأنقاض ، وأنقذ هذا الحافر عدة أناس ، وعندما كشف عن طالبة المدرسة العالية ، ألفت الطالبة ظهرها لم يكسر على كل حال ، وأخذت تزحف إلى الخارج . وتحدثت الآنسة إلى المنقذ فأخذ يعمل لإنقاذها ، فرفع عدداً كبيراً من الكتب إلى أن أوجد نفقاً إليها ، فرأت وجهه المبلل بالعرق وهو يقول لها : « اخرجى أيتها الآنسة ! » فحاولت ثم قالت : « إنى لا أستطيع أن أتحرك . » فعاد الرجل إلى الحفر ثم طلب إليها أن تحاول بكل قوتها الخروج ، ولكن الكتب كانت ثقيلة على عجيزتها ، ورأى الرجل أخيراً أن أحد القمطرين كان مائلا فوق الكتب وأن قطعة خشبية ثقيلة تضغط هذا القمطر ، فقال الرجل : « انتظرى فسأجد رافعاً للأخشاب . »

وغاب الرجل طويلا ، وحينما عاد كان ضيق الخلق وكأنما كان هذا الموقف من خطئها ، وصاح داخل النفق : « ليس لدينا رجال للمساعدة ، فيجب أن تخرجى بنفسك . »

فقالت : « هذا مستحيل فان رجلى اليسرى . . . » فذهب الرجل .

وجاء عدة رجال بعد وقت طويل وسحبوا الآنسة سازاكى إلى الخارج ولم تكن رجلها قد فصلت من جسمها بل كانت قد كسرت وقطعت وهى معلقة فيما تحت الركبة ، فنقلوها إلى فناء المصنع ، وكانت السماء تمطر ، وجلست على الأرض فى المطر ، وحينما ازداد سقوطه ، أشار أحد الأشخاص على الجرحى بأن يحتموا فى المخابئ التى أعدت بالمصنع للوقاية من الغارات ، وقالت لها امرأة ممزقة الثياب : « تعالى معنا فانك تستطيعين السير قفزاً » ، ولكن الآنسة سازاكى لم تستطع الحراك ، وظلت تحت المطر . ثم أقام رجل قطعة من الحديد المموج لكى تكون وقاية لها ، وحملها بين ذراعيه إليها . وشعرت الفتاة بهذا الجميل ، إلى أن جاء بشخصين مشوهين من الجروح تشويهاً فظيعاً — أحدهما

امرأة وقد تمزق صدرها بأجمعه ، والآخر رجل صار وجهه قطعة لحم من الحريق — وشاركهما الاثنان فى هذا الوقاء البسيط ولم يأت إليهم أحد بعد ذلك . ثم انقطع المطر ، وصار ما بعد ظهر ذلك اليوم بسمائه الملبدة بالغيوم يوماً حارا ، ولم يقبل الليل حتى كان الثلاثة المشوهون الجالسون تحت المنحنى من الحديد المموج تنبعث منهم رائحة كريهة .

كان الرئيس السابق لجمعية الجيران فى حى نوبورى تشو وهى التى ينتمى إليها القساوسة الكاثوليك رجلا نشيطاً اسمه يوشيدا ، وكان يزعم مفاخراً عند ما كان رئيساً لمنطقة الوقاية من الغارات ، أن النار قد تأكل سائر هيروشيما ، ولكنها لن تصل إلى نوبورى تشو . على أن القنبلة حطمت داره واخترقت قطعة مدببة من الأخشاب رجليه ، فعلق منهما أمام داره على مرأى من دار البعثة الكاثوليكية ، ومن الناس الذين كانوا يسرعون فى الطريق . فلم تكد تراه السيدة نكامورا حين مرت عليه مسرعة بأطفالها ، ولم يره الأب كلاينسورج وهو يحمل مستر فوكاى على ظهره ، فإنه صار جزءاً من فوضى التعاسة التى كانوا فيها ، ولم تجد صيحاته وهو يستغيث جواباً من مغيث . فلقد كان عدد المستغيثين كثيراً بحيث لم يكن صوته يسمع خلال هذه الأصوات . وكان هؤلاء المارة وغيرهم يسرعون فى سيرهم حتى أصبحت نوبورى تشو خالية والنيران تشتعل فيها . ورأى مستر يوشيدا منزل البعثة الخشبى — وهو البناء الوحيد القائم فى تلك المساحة — قد شبت به النيران ؛ وكانت حرارتها شديدة على وجهه ، ثم انتقلت النيران إلى الجانب الآخر حيث كان واتصلت بمنزله ، فخلق فيه اليأس قوة ، فاستطاع أن يخلص نفسه ، وانطلق يجرى فى حى نوبورى تشو والنار التى قال إنها لن تصيب هذا الحى تأخذه من كل جانب ، ومنذ تلك اللحظة صـار يسلك مسلك الشيوخ ، واستحال لون شعره بياضا بعد شهرين .

غاص الدكتور فوجى فى النهر إلى رقبته اتقاء لحرارة النار وكانت الريح تزداد شدة . ومع أن النهر غير متسع فقد ارتفعت الأمواج فيه حتى لم يستطع الواقفون تحت الجسر أن يحتفظوا بأماكنهم . وذهب دكتور فوجى إلى جانب

الشاطئ وانحنى واحتضن حجراً كبيراً بيده السليمة . واستطاع الدكتور فوجي وممرضتاه اللتان بقيتا على قيد الحياة أن يخوضوا فيما بعد فى الماء إلى أن قطعوا نحو مائتى ياردة على طول النهر، فبلغوا كثيباً من الرمل على مقربة من حديقة أسانو . وكان كثيرون من الجرحى راقدين على الرمل، وهناك كان الدكتور ماتشى واسرته وقد أصيبت ابنته بحروق شديدة فى يديها ورجليها إذ كانت خارج البيت عند انفجار القنبلة ، ولكنها لحسن حظها لم تصب فى الوجه ، ومع أن كتف الدكتور فوجى كانت تؤلمه ألماً شديداً فانه فحص حروق الفتاة بامعان ثم رقد . ومع ما كان يحيط به من تعاسة كان يحس بالخجل لمنظره ، وأبدى للدكتور ماتشى أن مظهره كمظهر السائل ؛ إذ أنه لا يرتدى غير ملابس داخلية ممزقة وملطخة بالدماء . ثم قرر بعد الظهر عندما أخذت النار تهدأ أن يذهب إلى منزل أبويه فى ضاحية نجاتسوكا ، ورغب إلى دكتور ماتشى أن يرافقه . ولكن الطبيب أنبأه بأنه سيقضى الليل مع أسرته فوق كثيب الرمل لإصابة ابنته . وسار دكتور فوجى ومعه ممرضتاه نحو أوشيدا أولا حيث وجد فى دار لم يصبها إلا قليل من التخريب ، وهى لبعض أقاربه ، أدوات للإسعاف كان قد وضعها هنالك . فربطت الممرضتان جراحاته وربط هو لها جراحاتهما ثم استأنفوا السير ولم يكن حينئذ إلا القليل من الناس يسيرون فى الشوارع . ولكن كان عدد كبير على الرصيف بين جالس وراقد يقيئون وهم فى سبيل الموت ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر . وكان عدد الجثث فى طريقهم إلى نجاتسوكا مما يزيد فى حيرته ، فساءل الطبيب نفسه : أتفعل سلة أزهار مولوتوف كل هذا الفعل ؟

وبلغ دكتور فوجى إلى دار أسرته فى المساء ، وهى على خمسة أميال من مركز المدينة ، ولكن سقف الدار كان قد خر والنوافذ تحطمت جميعاً .

ظلت أفواج الناس تهرع متدافعة إلى حديقة أسانو . وكانت هذه المزرعة الخاصة بعيدة عن الانفجار حتى لقد ظلت أشجار الغاب والبلوط والغار والزان حية . وكانت فى ذلك المكان خضرة قد اجتذبت اللاجئين ؛ إذ كانوا يعتقدون أن الأمريكيين إن عادوا إلى الاغارة فانهم لا يلقون قنابلهم إلا على الأبنية . ثم إن من شأن الخضرة أن يكون فيها رَوْحٌ أو حياة ، وإن الحدائق الصخرية المنظمة تنظيما دقيقاً فى تلك المزرعة بمجاريها الهادئة وجسورها

المقوسة مما يلائم ذوق اليابانيين وهى تمثل لهم الحياة العادية ذات الطمأنينة ، ثم إنهم أحسوا برغبة ملحة (على قول بعض الذين لجأوا إلى الحديقة) تدفعهم للاختباء تحت أوراق الأشجار . وكانت السيدة نكامورا وأولادها من أوائل الذين وصلوا إلى الحديقة وجلسوا تحت مجموعة من شجر الغاب على مقربة من النهر . وقد شعروا جميعاً بظمأ شديد ، فشربوا من ماء النهر فأصابهم فى الحال ألم وأخذوا يتقيأون ويتألمون طول النهار ، ولقد عرى الغثيان آخرين أيضاً واعتقدوا جميعاً (والراجح أن ذلك بسبب رائحة التفاعل القوية وهى رائحة كهربائية نشأت عن احتراق القنبلة) أن سبب مرضهم الغاز الذى ألقاه الأمريكيون . وحينما وصل الأب كلاينسورج والقساوسة الآخرون إلى الحديقة ، وكانوا يحنون رءوسهم لأصدقائهم فى مرورهم ، رأوا أسرة السيدة نكامورا وهم مرضى جميعاً . وقامت امرأة اسمها ايساواكى كانت تسكن بجوار البعثة ، وكانت جالسة على مقربة من أسرة نكامورا ، وسألت القساوسة أتظل حيث هى أم تذهب معهم ، فقال الأب كلاينسورج : « إنى لا أكاد أعرف أى الأماكن أسلم » ، فلزمت مكانها . وحدث بعد ذلك أنها توفيت ، فى ذلك اليوم مع أنها كانت خالية من الجراح أو الحروق الظاهرة . وسار القساوسة ومجرى النهر حتى انتهوا إلى مكان جلسوا فيه بين الأدغال ، واضطجع الأب لاسال وأخذه النوم . وكانت فى رجل طالب اللاهوت نعل وهو يحمل معه حزمة من الثياب فيها حذاءان من الجلد فلما جلس مع الآخرين ، ألفى الحزمة قد تمزقت وسقط منها أحد الحذاءين وبقى الحذاء الآخر . فعاد فى الطريق الذى سلكه فوجد هذا الحذاء ثم انضم إلى القساوسة وقال لهم : « من العجيب أنى أصبحت اليوم لا أكترث لشئ ؛ فقد كان أهم شئ عندى بالأمس أحذيتى ولكنها اليوم صارت لا أهمية لها ويكفينى حذاء واحد . »

وقال الأب شيزليك : « وهذا شأنى ، فلقد هممت بأن أحمل كتبى ثم بدا لى أن هذا ليس وقت الكتب . »

حينما وصل مستر تانيموتو ، وإناؤه لا يزال فى يده ، إلى الحديقة كانت غاصة بالناس ، ولم يكن من السهل تمييز الموتى من الأحياء ؛ فان أكثر الناس كانوا راقدين فى سكون وأعينهم شاخصة . وكان هذا السكون فى هذه الأدغال إلى جانب النهر مع أن مئات من الجرحى بجراح مخيفة يتعذبون عذاباً

أليما ، كان هذا عند رجل غربى الأب كلاينسورج من أروع وأفظع المظاهر التى شهدها فى حياته ، فلقد كان هؤلاء المصابون يطبق عليهم السكون دون أن يبكى أحد أو يئن من ألم أو ترتفع شكوى أو يحدث ضجيج من الذين يموتون . حتى الأطفال كانوا لا يبكون . ولم يكن إلا القليل من المصابين يتحادثون . ولما أخذ الأب كلاينسورج يوزع الماء على بعض الذين أصيبت وجوههم بحريق الانفجار حتى فقدت معالمها كانوا يأخذون نصيبهم من الماء ثم يرفعون أنفسهم قليلا (من رقادهم) ، وينحنون له علامة على الشكر .

وقد حيا مستر تانيموتو القساوسة وأخذ يبحث عن أصدقاء آخرين ، ورأى السيدة ماتسوموتو زوجة مدير المدرسة الميتودية وسألها أتشعر بالحاجة إلى الماء ؟ فأجابته نعم ؛ فذهب إلى أحد مجارى المياه فى حدائق أسانو الصخرية وحمل إليها الماء فى إنائه . ثم اعتزم أن يحاول الذهاب إلى كنيسته ، فذهب إلى نوبورى تشو فى الطريق الذى سلكه القساوسة عند فرارهم ، ولكنه لم يبعد كثيراً إذ كانت النار عنيفة فى الشوارع حتى اضطرته إلى العودة فذهب إلى شاطئ النهر وأخذ يبحث عن قارب يحمل فيه أولئك الذين كانت جراحهم شديدة فيعبر بهم النهر من حديقة أسانو ليكونوا بنجوة من النار التى أخذت تنتشر . فوجد قارب نزهة فوق الشاطئ ، على أنه كان حوله منظر فظيع ، هو خمسة من الموتى يكادون يكونون عراة الأجسام ، وقد أصابتهم حروق شديدة ، ولا بد أنهم ماتوا فى لحظات متقاربة . وموضع جثثهم يدل على أنهم كانوا يحاولون إنزال القارب فى الماء . فحمل مستر تانيموتو الجثث بعيداً عن القارب . وكان يشعر وهو يقوم بهذا العمل أنه انتهك بفظاعة حرمة الموتى — وأنه منعهم ، وهذا ماشعر به لحظة ، من إنزال قاربهم إلى الماء والسير به فى رحلتهم الغريبة — حتى لقد قال بصوت مسموع : « أرجو أن تغفروا لى أخذ هذا القارب ؛ فانى سأستعمله من أجل آخرين أحياء . » وكان القارب ثقيلا ، ولكنه استطاع أن ينزله إلى الماء . ولم يجد فيه مجاديف ، وكل ما استطاع أن يزن به القارب عود طويل من الغاب . وسار بالقارب صاعداً فى النهر إلى أكثر الجهات ازدحاماً فى الحديقة ، وأخذ ينقل الجرحى واستطاع أن يحمل عشرة أو اثنى عشر منهم فى كل مرة ، ولكن النهر كان عميقاً فى وسطه بحيث لم يكن يستطيع أن يستعمل عود الغاب فى السير بالقارب إلا فى عسر . وقد اضطر أن يجدف بهذا العود من

الجانبين . وعلى ذلك كانت كل رحلة تستغرق وقتاً طويلا جدا ، وظل يعمل عدة ساعات بهذه الوسيلة .

واتصلت النار بأشجار حديقة أسانو فى الساعات الأولى من بعد ظهر ذلك اليوم ، وعرف مستر تانيموتو ذلك لأول مرة عند ما كان عائداً بقاربه فرأى عدداً عظيما من الناس قد انتقلوا إلى جانب النهر . ولما وصل إلى الشاطئ صعد ليعرف السبب . وحين رأى النار صاح : « ليأت معى جميع الشبان الذين ليست بهم جراح خطيرة . » ونقل الأب كلاينسورج كلا من الأب شيفر والأب لاسال إلى حافة النهر وطلب إلى الحاضرين أن ينقلوهما إلى الضفة الأخرى إذا اقتربت النيران ، ثم انضم إلى الذين تطوعوا مع مستر تانيموتو . فأرسل مستر تانيموتو بعض هؤلاء المتطوعين للبحث عن أوان وجرادل ، وأمر آخرين بأن يضربوا بثيابهم الأدغال التى تحترق . وعندما جاء بعضهم بالأوانى أنشأ سلسلة من أصحاب الجرادل لنقل الماء من أحد المجارى بالحديقة ، واشتغلت الفرقة بمكافحة النيران ساعتين فتغلبوا عليها شيئاً فشيئاً . وبينما كان رجال مستر تانيموتو يعملون كان الحشد من الناس الذين سيطر عليهم الذعر فى الحديقة ينتقلون إلى مقربة من النهر ، واضطر هذا الجمهور أخيراً بعض الواقفين على حافة النهر إلى أن ألقوا بأنفسهم فى الماء ، وكان من بين الذين سقطوا فى الماء وغرقوا السيدة ماتسومو المعلمة بالمدرسة الميثودية وابنتها .

لما عاد الأب كلاينسورج بعد مكافحة النار ، وجد الأب شيفر لا تزال الدماء تنزف منه وهو ممتقع الوجه امتقاعاً شديداً ، وكان بعض اليابانيين وقوفاً حوله يحدقون فيه . وهمس الأب شيفر وارتسمت على فمه ابتسامة ضعيفة : « إنى لأشعر كأنى قد أخذت أذوق طعم الموت . » فقال الأب كلاينسورج : « لا تظن ذلك بعد . » وقد أتى معه بحقيبة إسعاف الدكتور فوجي . وكان قد لحظ بين الجمع الدكتور كندا ، فبحث عنه وسأله أن يضمد جراح الأب شيفر . لكن دكتور كندا كان قد رأى زوجته وابنته ميتتين بين أنقاض مستشفاه ، وكان حين سأله الأب كلاينسورج جالساً وواضعاً يديه على رأسه فقال : « لا أستطيع أن أفعل شيئاً . » فربط الأب كلاينسورج ربطة أخرى حول رأس الأب شيفر ونقله إلى مكان بعيد وأرقده بحيث يكون الرأس مرتفعاً ، فلم يلبث النزيف أن قل .

وفى هذا الوقت سمع أزيز طيارات تقترب ، فصاح أحد الناس من الجمهور القريب من السيدة نكامورا : « هذه طيارات آتية لتطحننا » ، ووقف خباز اسمه نكاشيما وصاح : « ليخلع ملابسه من كان مرتدياً ثياباً بيضاء . » فخلعت السيدة نكامورا سترة أطفالها وفتحت مظلتها وأجلستهم تحتها . وزحف عدد كبير من الجمهور حتى الذين كانت حروقهم شديدة إلى الأدغال وظلوا قابعين إلى أن بعد أزيز الطائرات التى كان من الواضح أنها تقوم بالاستطلاع أومعرفة الجو .

وأخذ المطر ينهمر ، وبقى أطفال السيدة نكامورا تحت المظلة ، ونزلت قطرات كبيرة ، وصاح أحد الناس : « إن الأمريكيين يلقون بترولا فهم يريدون أن يحرقونا . » (وكان هذا الانذار ناشئاً عن إحدى النظريات التى تناقلها الناس فى الحديقة عن السبب فى هذا الحريق الواسع بهيروشيما ، وهو أن طيارة واحدة صبت البترول على المدينة ثم بطريقة ما أشعلت النار .) ولكن تبين للجميع أن القطرات كانت ماء . وأخذت الريح تشتد وتشتد ، ثم فجأة — ولعل ذلك بسبب التقوس الجوى الذى نشأ عن المدينة المشتعلة — مرت عاصفة على الحديقة ، وسقطت أشجار كبيرة ، واقتلعت أشجار صغيرة وطارت فى الهواء ، وارتفعت أشياء مختلفة مع الريح ، من قطع حديدية وأوراق وأبواب وأجزاء من الحصر ، وتكوّن من ذلك إعصار . فوضع الأب كلاينسورج قطعة من القماش فوق عينى الأب شيفر حتى لا يتوهم الرجل الضعيف أنه قد أصيب بالخبل . وحملت العاصفة السيدة موراتا مديرة دار البعثة ، وكانت جالسة قريباً من النهر ، وقذفت بها إلى حافة النهر فى مكان صخرى غير عميق إذ خرجت قدماها داميتان . ثم اتجه الاعصار نحو النهر حيث امتص المياه فارتفعت كأنها نافورة ، وأخيراً تفانى .

واستأنف مستر تانيموتو نقل الناس فى القارب بعد العاصفة . وطلب الأب كلاينسورج من طالب اللاهوت أن يعبر النهر ويذهب إلى المدرسة الكاثوليكية فى نجاتسوكا ، وهى على ثلاثة أميال من مركز المدينة ، ليرجو القساوسة هنالك أن يأتوا بالمساعدة للأب شيفر والأب لاسال . فركب الطالب قارب مستر تانيموتو وذهب معه . وسأل الأب كلاينسورج السيدة نكامورا أراغبة هى فى الذهاب إلى نجاتسوكا مع القساوسة حين يجيئون ؟ فقالت إن لديها أحمالا وأطفالها مرضى — وكانوا لا يزالون يتقيأون من وقت لآخر وهى

كذلك — ولذلك فانها تخشى ألا تستطيع الانتقال . فقال إنه يظن أن الآباء فى المدرسة سيأتون فى اليوم التالى بعربة يد لنقلها .

ثم بعد الظهر عندما صعد مستر تانيموتو إلى الشاطئ ، وهو الرجل الذى كان يعتمد الكثيرون على نشاطه وابتكاره ، رأى أناساً كثيرين يلحون فى طلب الطعام ، فاستشار الأب كلاينسورج ثم اعتزما أن يعودا إلى المدينة ليأتيا بشئ من الأرز من مخبأ جمعية مستر تانيموتو للجيران ومن مخبأ البعثة . وذهب معهما الأب شيزلك واثنان أو ثلاثة آخرون . ولم يعرفوا فى مبدأ الأمر عند ما رأوا صفوف الدور المنهارة أين هم ؛ فالتغير كان مفاجئاً من مدينة نشيطة فيها مائتان وخمسة وأربعون ألفاً فى ذلك الصباح إلى مجرد مظهر أنقاض فيما بعد الظهر . وقد سال الأسفلت فى الشوارع وكان حارا حتى كان السير عليه متعباً . ولم يقابلوا غير شخص واحد هو امرأة قالت لهم وهم يمرون عليها : « إن زوجى فى هذا الرماد . » وعند دار البعثة حيث انفصل مستر تانيموتو عن الجماعة هال الأب كلاينسورج ما رأى من انمحاء البناء . وفى الحديقة فى طريقه إلى المخبأ لاحظ قرعة قد طبخت فوق الأشجار وذاقها هو والأب شيزلك فكان طعمها لذيذاً ، وقد تعجبوا لشعورهم بالجوع وأكلوا بعض الفاكهة ، ثم أخرجوا عدة أكياس من الأرز وجمعوا بعض هذا القرع المطبوخ ثم حفروا وأخرجوا بعض البطاطس وكان مطبوخاً تحت الأرض ، وأخذوا يعودون ، وانضم إليهم مستر تانيموتو وهم فى الطريق . وكان أحد الرجال الذين تبعوهم قد أتى بأدوات للطهى وقدم الأب كلاينسورج بعض القرع لأسرة نكامورا ، فذاقوه ولكنه لم يستقر فى معدهم . وكان الأرز بأجمعه يكفى طعاماً لنحو مائة من الناس .

وقبل نزول الظلام عثر مستر تانيموتو على فتاة فى الحادية والعشرين من عمرها ، هى السيدة كماى ، وهى جارتهم فى السكن ، وكانت جالسة القرفصاء على الأرض وتحمل بين ذراعيها جثة طفلتها . والظاهر أن الطفلة ماتت منذ الصباح . فنهضت السيدة كماى قائمة حين رأت مستر تانيموتو وقالت : « هل تتفضل بالبحث عن مكان زوجى ؟ »

وكان مستر تانيموتو يعرف أن زوجها قد التحق بالجيش فى اليوم السابق . وقد دعا مستر تانيموتو وزوجته السيدة كماى بعد ظهر ذلك اليوم السابق إلى دارهما كى يرفها عليها ، وقد ذهب كماى إلى مركز الجيش المحلى

بحى شوجوكو — على مقربة من القصر القديم فى وسط المدينة — وفى هـذا المركز كان يقيم أربعة آلاف من الجنود . واستنتج مستر تانيموتو من العدد الكبير من الجنود المشوهين الذين قابلهم أثناء ذلك اليوم أن المعسكرات أصيبت بأضرار كبيرة من الشئ الذى ضربت به هيروشيما مهما يكن هذا الشئ ، وكان يعرف أنه لا أمل له فى العثور على زوج السيدة كماى لو قام بالبحث عنه ، ولكنه أراد أن يرضيها فقال : « سأحاول . »

قالت السيدة : « يجب أن تفعل ؛ فلقد كان يحب طفلتنا حبا شديداً ، وأريد أن يراها مرة أخرى . »

٣

التحقيق فى التفصيلات

عند ما بدأ التحقيق فى اليوم الذى انفجرت فيه القنبلة ، أخذ زورق حربى يابانى يسير فى بطء صاعداً ونازلا فى أنهار هيروشيما السبعة . وكان يقف هنا وهنالك ليلقى بياناً على الجزر الرملية التى رقد عليها المئات من الجرحى وعلى الجسور التى احتشد عليها مئات آخرون ، ثم أخيراً بعد انتهاء الشفق أمام حديقة أسانو . وكان ضابط صغير يقف فى الزورق ويصيح داخل مكبر الصوت : « صبراً ! فستأتى سفينة مستشفى بحرية للعناية بكم . » وكان منظر هذا الزورق الذى يشبه السفينة بين مظاهر الفوضى إلى جانب النهر ، وهدوء هذا الشاب فى ملابسه البحرية النظيفة ، يضاف إلى ذلك الوعد بالمساعدة الطبية — وهى أول كلمة تقال عن احتمال المساعدة بعد نحو اثنتى عشرة ساعة فظيعة — مما ثلج صدور المقيمين فى الحديقة . وأعدت السيدة نكامورا عدتها لنوم أولادها وهى واثقة من أن طبيباً سيأتى ويقف مرضهم . واستأنف مستر تانيموتو نقل الجرحى على النهر فى قاربه . وتلا الأب كلاينسورج الصلاة للرب والتحية للعذراء ثم استغرق فى النوم ؛ ولكنه لم يكد يفعل حتى هزته السيدة موراتا مديرة دار البعثة وقالت : « هل تذكرت أيها الأب كلاينسورج تلاوة صلاة المساء ؟ » فأجاب فى شئ من الحدة : « بالطبع . » وحاول أن يعود للنوم فلم يوفق . ويظهر أن ذلك ماكانت ترغب فيه السيدة موراتا ، فأخذت تتحدث إلى القس المتعب . وكان من الأسئلة التى ألقتها عليه : متى يظن القساوسة فى دار الرهبان المبتدئين الذين أرسل إليهم رسولا بعد الظهر يصلون لنقل الأب الرئيس لاسال والأب شيفر ؟

وكان الرسول الذى أرسله الأب كلاينسورج — وهو طالب اللاهوت الذى كان يعيش فى دار البعثة — قد وصل فى منتصف الساعة الخامسة إلى دار الرهبان المبتدئين القائمة فى التلال على مسيرة نحو ثلاثة أميال ، وكان بها ستة عشرة قسيساً ، أخذوا يقومون بأعمال الإنقاذ فى أطراف المدينة . ولقد استولى عليهم القلق على زملائهم فى المدينة ولم يكونوا يعرفون أين أو كيف يبحثون عنهم . فلما علموا ، شرعوا يعدون فى سرعة تعاليتى باستعمال ألواح وأعمدة من أخشاب . وعاد الطالب بستة منهم إلى المساحة التى حاقت بها النكبة سالكين طريقاً على محاذاة نهر أوتا فيما فوق المدينة ؛ وقد ردتهم حرارة النيران مرتين إلى النهر . وعند جسر ميساسا قابلوا كتائب من الجنود يؤلفون موكباً عجيباً يسير من معسكر شوجوكو المحلى للجيش فى وسط المدينة، وكانوا جميعاً مشوهين بالحروق ، يسيرون متوكئين على عصىّ أو متساندين بعضهم إلى بعض . وكانت على الجسر خيول مريضة أو محترقة وقد حنت رءوسها . فلما وصلت جماعة الانقاذ إلى الحديقة كان الليل قد أرخى سدوله ، وصار تقدم الجماعة صعباً جدا بسبب تشابك الأشجار المختلفة الأحجام ، وقد سقطت بعد الظهر على أثر العاصفة . وأخيراً — ولم يمض على سؤال السيدة موراتا وقت طويل — تمكنوا من الوصول إلى أصدقائهم وأمدوهم بالنبيذ والشاى القوى .

وبحث القساوسة كيف يسيرون بالأب شيفر والأب لاسال إلى دار الرهبان المبتدئين ، وكانوا يخشون التعثر فى السير بالحديقة مما يزيد فى جراحهم وهم محمولون على المحفات الخشبية ، فتكون خسارتهم من الدماء كبيرة . فتذكر الأب كلاينسورج مستر تانيموتو وقاربه وناداه وهو فى النهر . فلما وصل مستر تانيموتو إلى الشاطئ قال إنه يسره أن يحمل القسين الجريحين ومن معهما إلى حيث يجدون طريقاً ممهداً . فوضع المنقذون الأب شيفر على إحدى المحفات وأنزلوه إلى القارب ، وركب معه اثنان منهما ، وأخذ مستر تانيموتو يدفع القارب بعصاه الطويلة صاعداً فى النهر ، إذ كان لا يزال بغير مجاديف .

بعد نحو نصف ساعة عاد مستر تانيموتو ورجا القساوسة الباقين فى إلحاح أن يعاونوه فى إنقاذ طفلين رآهما واقفين فى النهر والماء يغمرهما إلى كتفيهما .

فذهبت جماعة وأخرجوا الطفلين ، وهما بنتان صغيرتان فقدتا أسرتهما وكانت بهما حروق كبيرة . وأرقدهما القساوسة على الأرض إلى جانب الأب كلاينسورج ثم حملوا الأب لاسال ووضعوه فى القارب . أما الأب شيزلك فظن أنه يستطيع أن يذهب إلى دار الرهبان المبتدئين سائراً على قدميه . ولذلك ركب القارب مع الآخرين . على أن الأب كلاينسورج كان يشعر بضعف شديد ، فآثر أن يبقى فى الحديقة إلى اليوم التالى ، وسأل الرجال أن يعودوا بعربة يد كى يحملوا السيدة نكامورا وأطفالها المرضى إلى دار الرهبان المبتدئين .

أخذ مستر تانيموتو يدفع قاربه . وبينما كان القارب يتحرك فى بطء صاعداً النهر بحمولته من القساوسة ، إذا بهم يسمعون صيحات ضعيفة تطلب النجدة ، وسمع بنوع خاص صوت امرأة تقول : « هنا أناس يكادون يغرقون فساعدونا لأن المياه ترتفع . » وكان الصوت آتياً من أحد كثبان الرمل . واستطاع ركاب القارب أن يروا بانعكاس الأضواء التى كانت لا تزال تصدر عن النيران المشتعلة ، عدداً من الجرحى راقدين على جانب النهر وقد غمرت مياه النهر فى مده بعض أجسادهم . وأراد مستر تانيموتو أن يساعدهم ولكن القساوسة خشوا أن يموت الأب شيفر إذا لم يسرعوا ، وألحوا على ربان القارب أن يسير فأنزلهم فى المكان الذى أنزل فيه الأب شيفر ثم عاد قاصداً كثيب الرمل .

كان الليل حارًّا ، وازدادت الحرارة لتصاعد النيران إلى السماء ، ولكن صغرى البنتين اللتين أنقذهما مستر تانيموتو والقساوسة ، شكت البرد فغطاها الأب كلاينسورج بسترته . فلقد أمضت هى وأختها الكبرى فى المياه المالحة للنهر نحو ساعتين قبل أن تنقذا . وكان فى جسم الصغرى جروح كبيرة مؤلمة من الحريق ، ولابد أن تكون المياه الملحة مما جعل آلامها فظيعة . وأخذت الفتاة ترتعد فى شدة ، وكررت القول بأنها تشعر بالبرد ، فاقترض الأب كلاينسورج غطاء من بعض الذين يجاورونهم ودثرها به ، ولكنها كانت تزداد ارتعادا . وقالت مرة أخرى : « إنى أشعر ببرد شديد » ثم فجأة وقف هذا الارتعــاد إذ كانت قضت نحبها .

وجد مستر تانيموتو نحو العشرين من رجال ونساء على كثيب الرمل ، فحاذاه بقاربه وألح عليهم أن يركبوا ولكنهم لم يتحركوا ، فتحقق لديه أنهم

من الضعف بحيث لا يستطيعون النهوض ، فمد ذراعه وجذب امرأة من يديها فاذا بجلدها يتناثر وينسلخ بين يديه قطعاً كبيرة شبيهة بقطع القفاز ، ولقد تأثر بهذا المنظر وغامت نفسه حتى اضطر الى الجلوس لحظة ، ثم نزل إلى الماء . ومع أنه ضئيل الحجم استطاع أن يرفع بعض الرجال والنساء ، وكانوا عارى الأجسام ، إلى قاربه ، وكانت ظهورهم وصدورهم لزجة ، وتذكر فى قلق مارآه أثناء اليوم من حروق فظيعة ، تكون صفراء فى أول الأمر ثم حمراء متورمة وقد تتلص الجلد عنها ، ثم فى المساء متقرحة ذات رائحة كريهة . وبارتفاع المد صار عود الغاب قصيرة ، وأخذ يجدف به من الناحيتين أكثر طريقه ، وفى الجانب الآخر رأى مرتفعاً ، فحمل تلك الأجسام الحية اللزجة إلى المرتفع بعيداً عن المد ، وظل طول الوقت يكرر لضميره : « إن هؤلاء مخلوقات بشرية . » وظل يذهب ويجئ ثلاث مرات حتى نقلهم جميعاً على النهر . فلما انتهى قرر أن من الواجب أن يستريح وعاد إلى الحديقة .

عند ما وطئت قدما مستر تانيموتو الشاطئ المظلم عثر بأحد الناس ، وقال له شخص آخر فى غضب : « انتبه فتلك يدى . » فخجل مستر تانيموتو لأنه سبب ألماً لجرحى ، ولأنه قادر على المسير منتصب القامة . وتذكر فجأة سفينة المستشفى البحرية التى لم تأت بعد (وما جاءت قط) فشعر لحظة بغضب جامح أعمى على رجال هذه السفينة وعلى جميع الأطباء . لماذا لم يأت أولئك لمساعدة هؤلاء الناس ؟

تمدد دكتور فوجى وهو فى ألم شديد طوال الليل على أرض دار أسرته التى طار سقفها فى الأرجاء ، وعلى ضوء فانوس فحص نفسه فوجد كسراً فى الترقوة اليسرى وكدمات عدة وخدوش فى الجسم والوجه وجراح عميقة فى الذقن والظهر والرجلين وكدمات فى الصدر والجزء الأعلى من الجسد ؛ وقد يكون هنالك كسر فى ضلع أو ضلعين . ولو أنه لم يصب هذه الاصابات الكثيرة لكان فى حديقة أسانو يساعد الجرحى .

لم يكد يرخى الليل سدوله حتى كان عشرة آلاف من ضحايا الانفجار قد غزوا مستشفى الصليب الأحمر . وكان دكتور سازاكى وقد نهك إعياء يسير على غير هدى فى خمود يقطع طرقات المستشفى القذرة وفى يديه أربطة وقارورات

من كروم الزئبق وهو لايزال يلبس النظارة التى أخذها من الممرضة الجريحة وكان يضمد أسوأ الجروح كلما رآها ، وكان أطباء آخرون يضعون ضمادات مشربة بمحلول الأملاح على أسوأ الحروق ، وهذا كل ما استطاعوا أن يفعلوه . ولما جن الظلام صاروا يعملون على ضوء حرائق المدينة وعلى ضوء شموع حملها لهم الممرضات العشر اللاتى بقين ، ولم تقع عين الدكتور سازاكى طول النهار على خارج المستشفى ؛ فقد كان المنظر فى داخله رهيباً وشاغلا حتى إنه لم يخطر بباله أن يسأل عما حدث فيما وراء النوافذ والأبواب . فلقد انهارت سُقُف وحواجز، وتساقط فى كل مكان جبس وتراب ودماء وقىء ، وكان المرضى يموتون بالمئات دون أن يجدوا من يرفع جثثهم . وكان بعض رجال المستشفى يوزعون «البسكوت» وكرات من الأرز ، ولكن رائحة الجثث كانت قوية حتى لم يحس الجوع إلا القليل . وفى الساعة الثالثة من صباح اليوم التالى بعد أن ظل دكتور سازاكى يعمل تسع عشرة ساعة بلا انقطاع فى هذا العمل المخيف صار غير قادر على تضميد جرح واحد آخر ، فأخذ هو وبعض الأحياء الآخرين من رجال المستشفى بعض الحصر وذهبوا إلى الخارج ، فاذا هنالك آلاف من المرضى ومئات من الموتى فى الفناء وفى الطريق المؤدى إليه ، فأسرعوا إلى ماخلف المستشفى ، وهناك رقدوا مستخفين عن الأنظار لكى يغفوا قليلا . ولكن الجرحى عثروا عليهم ولما تمض ساعة ، وتألفت حولهم حلقة من أفواه شاكية : « أيها الأطباء ساعدونا كيف تستطيعون النوم ؟ » ، فنهض الدكتور سازاكى عائداً إلى العمل . وفى الصباح الباكر من ذلك اليوم فكر لأول مرة فى والدته بمنزلهم الريفى فى موكايهارا على ثلاثين ميلا من المدينة ، وكان من عادته أن يعود إلى البيت فى كل ليلة ، وقد خشى أن تظن أنه مات .

على مقربة من المكان من النهر الذى نقل إليه مستر تانيموتو القساوسة كان صندوق كبير ملىء بكعك الأرز يظهر أن إحدى جماعات الانقاذ جاءت به للجرحى الراقدين فى تلك الجهات ولكنها لم توزعه . وقبل نقل القساوسة الجرحى أخذ بعض الحاضرين شيئاً من هذا الكعك وطفقوا يأكلون منه . وبعد بضع لحظات أتت جماعة من الجنود ، وعندما سمع ضابط منهم القساوسة وهم يتكلمون لغة أجنبية سل سيفه وسألهم وهو فى حالة عصبية من يكونون ، فهدأ

القساوسة روعه وأخبروه أنهم ألمان - أى حلفاء - فاعتذر إليهم الضابط وقال إن هناك شائعات بأن طيارين أسريكيين أنزلوا بالمظلات .

قرر القساوسة أن يذهبوا بالأب شيفر أولا . ولما كانوا على وشك الذهاب قال الأب الرئيس لاسال إنه يشعر ببرد شديد ، فخلع أحد الآباء اليسوعيين سترته ، وخلع آخر قميصه ، وقد سرا لتخفيف ثيابهما فى ذلك الليل الحار ، وابتدأ حاملو المحفة فى السير ، وكان طالب اللاهوت رائدهم ، وهو يحاول أن ينذر الآخرين بما يعترض من مصاعب . ولكن أحد القساوسة علقت قدمه بسلك من أسلاك التليفون فعثر وسقطت المحفة من جانبه ، فارتمى منها الأب شيفر وأغمى عليه ، ثم عاد إلى نفسه وعراه قىء ، فحمله الرجال وساروا به إلى طرف المدينة حيث رتبوا أن يكون هنالك عدد آخر من القساوسة يتولون العناية به ، وتركوه مع هؤلاء وعادوا أدراجهم ليحملوا الأب الرئيس .

كانت المحفة الخشبية مؤلمة جدا للأب لاسال الذى ارتشق فى ظهره عشرات من قطع الزجاج الرفيعة التى تطايرت من النوافذ . وعلى مقربة من طرف المدينة كان على الجماعة أن تسير حول سيارة مشتعلة فى الطريق الضيق ، ولم يستطع حاملو المحفة أن يروا من أحد جوانبها طريقهم فى الظلام فسقطوا فى حفرة عميقة ، فقذف بالأب لاسال إلى الأرض وانكسرت المحفة قطعتين . فتقدمهم أحد القساوسة ليأتى بعربة يد من الدار ، ولكنه لم يلبث أن وجد عربة يد أمام دار خاوية فعاد بها . فرفع القساوسة الأب لاسال فوق العربة وأخذوا يسيرون به على الطريق غير المستوى ما بقى من المسافة . وكان رئيس دار الرهبان المبتدئين قبل أن يلتحق بالرهبان طبيباً ، فطهر جراح القسين ووضعهما فى سريرين ذوى أغطية نظيفة ، وقد شكرا الله على ما وجدا من عناية .

على أن آلافاً من الناس كانوا لا يجدون من يعنى بهم ، وكانت الآنسة سازاكى إحدى هؤلاء ؛ فقد ظلت طوال ذلك الليل تتألم ألماً شديداً من رجلها المكسورة وهى مهجورة لا تجد معينا تحت ذلك الوقاء الخشن فى فناء مصنع الصفيح ، إلى جانب المرأة التى فقدت ثدييها والرجل الذى احترق وجهه حتى لم يكد يبقى له وجه . فلم تذق عيناها النوم ، ولم تتحدث إلى زميليها اللذين لم يذوقا النوم أيضاً .

وفى الحديقة حملت السيدة موراتا الأب كلاينسورج على أن يظل مستيقظاً
، الليل بأن جعلت تتحدث إليه . ولم ينم أيضاً أحد من أسرة نكامورا ؛
الأطفال مع ما بهم من مرض شديد كانوا مهتمين بكل ما يحدث ؛ وقد
وا حينما رأوا أحد خزانات البترول فى المدينة تشتعل فيه النار اشتعالا هائلا .
ح الغلام توشيو ليلفت الآخرين إلى انعكاس الحريق فى النهر . وكان مستر
موتو بعد عدوه الطويل والساعات الكثيرة التى قضاها فى أعمال الانقاذ
أخذه نوم قلق . وحينما استيقظ عند الضوء الأول للفجر نظر إلى النهر ، فوجد
لم يضع الأجسام اللزجة العفنة فى الليلة السابقة على مرتفع كاف فوق كثب
، ؛ فان المد قد ارتفع إلى حيث وضعهم ولم تكن لديهم القوة على الحركة
بد أن يكونوا غرقوا ، وبصر بعدد من الأجسام طافية على النهر .

فى الصباح الباكر من يوم ١٧ أغسطس أعلنت الإذاعة اليابانية لأول
نبأ قصيراً لم يسمع به إلا القليل ، إن كان قد سمع به أحد من أولئك
ين هم أول من يهتمون بما احتواه وهم الأحياء فى هيروشيما . وهذا النبأ هو
صيبت هيروشيما بخسائر كبيرة على أثر هجوم من عدد قليل من طائرات ب ٢٩
تقد أنه استعمل نوع جديد من القنابل . ويجرى التحقيق فى التفصيلات . »
س من الراجح أن أحداً من الأحياء من أهل المدينة كان يستمع على الموجة
يرة إلى إذاعة غير عادية يلقيها رئيس جمهورية الولايات المتحدة ويصف
التنبلة الجديدة بأنها ذرية ، ويقول : « فى هذه القنبلة من القوة أكثر مما
يه عشرون ألف طن من الديناميت ، وفيها من قوة الضغط الجوى أكثر من
، مرة من القنبلة البريطانية المعروفة باسم السلام الكبير ، وهى أكبر قنبلة
ملت فى تاريخ الحروب . » فقد كان الضحايا القادرون على أن يشغلوا
سهم بما حدث يفكرون فى هذا الأمر ويتناقشون فيه بعبارات بدائية أقرب
تكون إلى الطفولة ، فربما كانت بترولا صب من السماء، أو غازاً قابلا
شتعال ، أو كمية كبيرة من القنابل الحارقة أو عملا من أعمال رجال المظلات .
أنهم علموا الحقيقة لكان لهم مما هم فيه من الاعياء والاصابات والتفكير
صيرهم ما يشغلهم عن الاهتمام بأنهم كانوا موضوع أول تجربة كبيرة فى
مال القوة الذرية وهى (على ما صاح به صوت المذياع على الموجة القصيرة)

لا يمكن أية دولة ، ما عدا الولايات المتحدة بمقدرتها الصناعية ورغبتها فى إلقاء مليونين من الدولارات الذهب فى مغامرة حربية هامة ، أن تستطيع إحداث تقدم فيها .

كان مستر تانيموتو لا يزال حانقاً على الأطباء ، وقد عزم على أن يقوم بنفسه باحضار أحدهم إلى حديقة أسانو — آخذاً بتلابيبه إذا اضطر إلى ذلك ، فعبر النهر ثم سار مارا على معبد الشنتو حيث قابل زوجته لحظة قصيرة فى اليوم السابق ، وبلغ ساحة الاستعراض الشرقية . ولما كانت هذه الساحة قد جعلت من زمن بعيد منطقة للالتجاء فقد خطر له أنه سيجد فيها موقعاً لإسعاف المصابين من الغارات . وقد وجد مركزاً لذلك تابعاً للخدمة الطبية فى الجيش ؛ ولكنه رأى أيضاً أن أطباءه مثقلون بالعمل حتى لا يرجى منهم نفع ، وأن أمامهم آلافاً من المرضى الذين يزحفون بين الجثث الملقاة فى الساحة ؛ ومع ذلك ذهب إلى أحد أطباء الجيش وقال له فى لهجة عتب قدر ما استطاع : « لماذا لم تأت إلى حديقة أسانو ؟ فانهم هناك فى حاجة شديدة إليك . »

لم يرفع الطبيب رأسه من عمله حين قال فى صوت مجهود :

— هذا مقامى .

— ولكن هنالك كثيرين يموتون على ضفة النهر فى ذاك المكان !

قال الطبيب :

— إن الواجب الأول هو العناية بالذين جراحهم بسيطة .

— لماذا على حين يوجد كثيرون ممن جرحوا جراحاً خطيرة على جانب النهر ؟

فانتقل الطبيب إلى مريض آخر ثم قال وكأنه يكرر درساً من كتاب :

— فى مثل هذه الضائقة يكون أول واجب هو مساعدة أكثر ما يمكن من الناس ، وإنقاذ حياة أكثر ما يمكن من الناس ، ولاأمل فى الذين جراحهم خطيرة فهؤلاء سيموتون فلا نستطيع أن نشغل أنفسنا بهم .

فأخذ مستر تانيموتو يقول :

— قد يكون هذا صحيحاً من الوجهة الطبية .

ولكنه نظر إلى الساحة فرأى الكثير من الموتى راقدين بين الأحياء ، فابتعد قبل أن يتم عبارته وهو حانق على نفسه ، وكان لا يدرى ماذا يفعل

تد وعد بعض الذين على وشك الموت فى الحديقة بأنه يأتى لهم بمساعدة طبية
قد يموتون وهم معتقدون أنهم خدعوا . ورأى موضعاً لتوزيع الطعام فى جانب
ن الميدان فذهب إليه طلب شيئا من الأرز والبسكوت وحمله معه بدل
لأطباء إلى من بالحديقة .

كان هذا الصباح حارا أيضاً ، وذهب الأب كلاينسورج ليأتى بالماء للجرحى
، قارورة وفى وعاء للشاى استعاره من بعضهم . وقد بلغه أنه من المستطاع
ن يجد ماء سائغاً من صنبور خارج حديقة أسانو . وكان وهو يخترق الحدائق
صخرية مضطرا أن يتسلق أشجار البلوط الساقطة أو يزحف تحت جذورها ،
تبين له أنه يشعر بضعف . وكان هنالك كثيرون من الموتى فى الحدائق . وعلى
سر جميل فى شكل هلال مر على امرأة عارية الجسد لاتزال حية ، ويظهر أنها
حترقت من قمة الرأس إلى أخمص القدم ، وكان جسمها كله أحمر . وعلى مقربة
ن مدخل الحديقة كان أحد أطباء الجيش يعمل ، ولم يكن لديه من الدواء غير
يود الذى كان يطلى به الجراح والخدوش والقروح اللزجة من الحريق وكل
ى . ورأى أن كل ما طلاه به قد تقيح . ورأى الأب كلاينسورج خارج باب
لحديقة صنبوراً لا يزال صالحاً للعمل وهو بقية بيت اختفى ، فملأ إناءيه وقفل
جعاً . وبعد أن أمد بعض الجرحى بالماء رجع مرة ثانية ، وفى هذه المرة كانت
رأة الملقاة على الجسر قد ماتت . وفى عودته بعد أن تزود من الماء ضل طريقه
هو يتجنب شجرة ساقطة . وبينما هو يبحث عن طريقه بين الأدغال سمع صوتاً
ن تحت الأحراش يقول : « هل لديك ما نشربه ؟ » ولمح ثياباً عسكرية ، فظن
ه أمام جندى واحد واقترب بالماء ، فلما اخترق الأحراش وجد نحو عشرين
جلا وكلهم فى حالة واحدة مزعجة : فقد احترقت وجوههم بأكملها ، وصارت
واضع العيون مجوفة ، وجرى سائل العيون الذائبة على خدودهم . (ويظهر أن
جوههم كانت متجهة إلى السماء حينما ألقيت القنبلة ، ولعلهم كانوا يعملون
، مقاومة الطيارات .) وصارت أفواههم مجرد جراح متورمة علاها الصديد
لا يستطيعون أن يمدوا شفاههم لكى يتناولوا الماء من فم وعاء الشاى ، ولذلك
ث الأب كلاينسورج عن قطعة طويلة من قصب الغاب وأفرغ جوفها ليجعل
نها أنبوبة . وجعل يسقيهم جميعاً بهذه الوسيلة ، وقال له أحدهم : « إنى

لا أرى شيئاً . » فأجابه الأب كلاينسورج متكلفاً المرح بقدر ما يستطيع : « هنالك طبيب عند مدخل الحديقة وهو مشغول الآن ولكنه سيحضر قريباً ، وأرجو أن يستطيع رد عينيك . »

ومنذ ذلك اليوم صار الأب كلاينسورج يعجب مما كان يعتريه من الجبن حينما كان يرى الدم من قبل ، فكان يأخذه الدوار عندما يرى أصبعاً مقطوعة ؛ ولكنه فى تلك الحديقة تعود الآلام حتى لقد وقف على أثر تركه لهذا المنظر الفظيع على جانب أحد مجارى المياه وتحدث إلى رجل به جراح خفيفة : أمن الحكمة أكل سمكة سمينة يبلغ طولها قدمين ماتت وهى طافية على وجه الماء ؟ فقرر بعد تفكير أنه ليس من الحكمة أكلها .

وملأ الأب كلاينسورج إناءيه مرة ثالثة وذهب بهما إلى شاطئ النهر . وهناك بين الموتى والذين على وشك الموت رأى فتاة فى يدها خيط وإبرة وهى تصلح الكيمونو الذى كان قد تمزق قليلا ، فمازحها الأب كلاينسورج قائلا : « يا لله ! إنك لمحبة للتأنق ! » فضحكت .

وشعر بالتعب فجلس وأخذ يتكلم مع طفلين ظريفين كان قد عرفهما بعد ظهر اليوم السابق ، وعرف أن اسمهما كاتوكا ، وهما بنت فى الثالثة عشرة من عمرها وصبى فى الخامسة من عمره ، وكانت البنت على وشك الخروج قاصدة حانوت حلاق عند ما سقطت القنبلة . ولما كانت الأسرة تسير قاصدة حديقة أسانو اعتزمت أمهما العودة لإحضار طعام وثياب ، فافترقا عنها وسط زحام الجماهير الهاربة ، ولم يرياها منذ ذلك الوقت ، وكانا أحياناً يقفان فجأة فى لعبهما ومرحهما فى الحديقة ليبكيا على أمهما .

وكان من الصعب على جميع الأطفال فى الحديقة أن يظلوا شاعرين بالمأساة ؛ فلقد أظهر توشيو نكامورا فرحاً شديداً عند ما رأى صديقه سايشى ساتو فى قارب على النهر مع أسرته ، وجرى إلى الشاطئ ملوحاً بيده وصارخاً : « ساتو ! ساتو ! »

فأدار الغلام رأسه وصاح :

— من هذا ؟

— نكامورا .

— مرحى ياتوشيو !

— هل أنتم سالمون جميعاً ؟
— نعم ! وماذا حل بكم ؟
— نعم نحن جميعاً سالمون وأختاى تقيئان ولكنى معاف .

بدأ الأب كلاينسورج يشعر بالعطش فى هذا الحر الشديد ، ولكنه لم يكن يجد من القوة ما يستطيع به أن يذهب مرة أخرى إلى الماء . وفيما قبل الظهر رأى امرأة يابانية توزع شيئاً ، ولم تلبث أن جاءت إليه وقالت فى صوت رقيق : « هذه بعض أوراق الشاى فامضغها أيها الشاب وعندئذ لا تشعر بالعطش . » وقد أثرت فى الأب كلاينسورج رقة المرأة حتى أحس فجأة بالرغبة فى البكاء . فلقد ظل منذ أسابيع يتألم لكراهية اليابانيين للأجانب التى يظهر أنها كانت تتزايد فيهم ، وصار لا يشعر بالارتياح حتى مع أصدقائه من اليابانيين ؛ فكان هذا العطف من المرأة الغريبة مما أثر فى أعصابه .

وفى نحو الظهر وصل القساوسة من دار الرهبان المبتدئين ومعهم عربة يد ، فذهبوا إلى موقع دار البعثة فى المدينة وأنقذوا بعض حقائب الثياب التى كانت مودعة مخبأ الوقاية من الغارات ، كما التقطوا بقايا الأوانى المقدسة بين رماد الكنيسة . وفى هذه المرة التقطوا حقيبة الأب كلاينسورج المصنوعة من الورق المضغوط وبعض الأشياء التى تخص السيدة موراتا وأسرة نكامورا ووضعوها فى العربة كما وضعوا أطفال أسرة نكامورا واستعدوا للذهاب . ولكن أحد اليسوعيين وكان يتجه عقله اتجاهاً عمليا تذكر أنهم أنبئوا من قبل بأنهم إذا أصيبوا بخسائر فى أملاكهم من فعل العدو استطاعوا أن يقدموا طلباً بالتعويض إلى شرطة المجلس البلدى . فأخذ رجال الدين يبحثون هذه المسألة فى الحديقة على حين كان الجرحى صامتين كالموتى من حولهم ، وقرروا أنه يجب على الأب كلاينسورج بوصفه أحد المقيمين بدار البعثة التى دمرت أن يقدم هذا الطلب . وعلى ذلك ذهب من أتوا بعربة اليد ، وودع الأب كلاينسورج الطفلين من أسرة كاتوكا وذهب قاصداً مركز الشرطة ، وكان يعمل به رجال حديثون ذوو ثياب نظيفة جىء بهم من مدينة أخرى ، واحتشد حولهم جمع أشعث أغبر من الأهالى أكثرهم يسأل عن أقاربه المفقودين . وكتب

الأب كلاينسورج طلباً وأخذ يسير مخترقاً وسط المدينة فى طريقه إلى نجاتسوكا ، وكانت هذه أول مرة استطاع فيها أن يعرف مدى ما حدث من أضرار ؛ فقد مر على كثير من الأبنية الخربة ، حتى لقد تقطعت أنفاسه من الدهشة بالرغم من كل ما رآه فى الحديقة . وعند ما وصل إلى دار الرهبان المبتدئين ألفى نفسه مريضاً من شدة الاعياء ، وكان آخر شئ فعله قبل أن يرتمى فى الفراش أن طلب ذهاب أحد ليأتى بالطفلين من أسرة كاتوكا اللذين فقدا أمهما .

ظلت الآنسة سازاكى يومين وليلتين متروكة برجلها المكسورة وزميلتها الكريهين ، تحت السقف المسند . وكان لا يشغلها غير منظر الرجال حينما يجيئون للمخابئ التى أنشأها المصنع للوقاية من الغارات الجوية ، إذ كانت تراها وهى تحت غطائها ، وكان هؤلاء الرجال يرفعون الجثث من هذه المخابئ بالحبال . وقد تغير لون رجلها وتورمت وتعفنت ، وظلت كل هذا الوقت بلاطعام ولا ماء . وفى اليوم الثالث أى فى ٨ أغسطس جاء بعض الأصدقاء الذين ظنوا أنها ماتت للبحث عن جثتها ، فوجدوها وأخبروها أن أمها وأباها وأخاها الطفل الذين كانوا وقت الانفجار فى مستشفى تامورة للأطفال ، إذ كان الطفل مريضاً ، عُدُّوا من الموتى ؛ لأن المستشفى دمر تماماً . وتركها هؤلاء الأصدقاء لتفكر فى هذا النبأ الذى حملوه إليها . وفيما بعد جاء بعض الرجال وحملوها من ذراعيها ورجليها وساروا بها مسافة طويلة إلى عربة نقل . فظلت هذه العربة تسير نحو ساعة فى طريق غير معبد . وكانت الآنسة سازاكى قد استولى عليها الاعتقاد بأنها غدت لا تحس بالألم ، ولكن تبين لها أن هذا غير صحيح . ورفعها رجال محطة الاسعاف بجى أنوكوتشى إلى حيث فحصها طبيبان من أطباء الجيش . فأغمى عليها فى اللحظة التى مس فيها أحدهما جرحها ، ثم عاد إليها صوابها ، فاذا بها تسمعهما يتناقشان فى رجلها وهل الواجب قطعها . وقال أحدهما إن فى أطراف الجرح تعفناً غازياً ، وتكهن بموتها إن لم تقطع الرجل . وقال الآخر إن هذا لأمر سئ ، إذ ليس لديهم الأدوات الصالحة لهذا العمل ، نأغمى عليها مرة ثانية . ولما استفاقت رأت نفسها تحمل على محفة إلى مكان آخر ، ووضعت فى قارب نقلها إلى جزيرة نينوشيما القريبة حيث حملت إلى المستشفى الحربى

هنالك . وفحصها طبيب آخر وقال إنه ليس بها تعفن غازى ، ولكن الكسر من النوع المركب السيئ ، وقال فى برود : إنه يأسف إذ أن هذا المستشفى للعمليات الجراحية فقط ، وبما أنها خالية من التعفن فيجب إعادتها إلى هيروشيما فى تلك الليلة . ثم قاس الطبيب حرارتها ، وما رآه فى مقياس الحرارة حمله على أن يقرر بقاءها .

فى ذلك اليوم وهو ٨ أغسطس ذهب الأب شيزلك إلى المدينة ليبحث عن مستر فوكاى كاتم السر اليابانى للدار، وهو الذى حمل بالإكراه من المدينة المشتعلة على ظهر الأب كلاينسورج ، ولكنه عاد إليها فى نوبة من العته . وابتدأ الأب شيزلك يبحث حول جسر ساكاى حيث رأى اليسوعيين مستر فوكاى لآخر مرة . ثم ذهب إلى أرض الاستعراض الشرقية ، وهى المساحة التى خصصت للاجئين لعل كاتم السر أن يكون ذهب إليها ، وبحث عنه بين الجرحى والموتى . ثم ذهب إلى مركز الشرطة سائلا عنه فلم يجد للرجل من أثر ، وعند ما عاد فى المساء إلى دار الرهبان المبتدئين ، روى طالب اللاهوت الذى كان يساكن مستر فوكاى فى دار بعثة القساوسة ، أن كاتم السر تحدث إليه ذات يوم قبل ضرب المدينة بقليل فى أثناء إنذار بغارة جوية فقال : « إن اليابان فى طريق الموت . فاذا حدثت غارة جوية حقيقية فى هيروشيما فانى أرغب أن أموت مع بلادى . » فاستنتج القساوسة أن مستر فوكاى قد عاد أدراجه ليضحى بنفسه فى النيران ، ولم يروه بعد ذلك .

ظل دكتور سازاكى يعمل فى مستشفى الصليب الأحمر ثلاثة أيام متوالية من غير أن ينام إلا ساعة واحدة . وقد أخذ فى اليوم الثانى يخيط الجراح الكبيرة ، وظل طول تلك الليلة وطول اليوم التالى يقوم بهذا العمل . وكان الكثير من الجراح قد عراه التعفن ، ولكن من حسن الحظ أن وجد أحد الناس كمية من الناروكول ظلت سليمة ، وهو مخدر يابانى ، فصار يعطيه الذين يشعرون بالألم . ولقد ذاعت شائعة بين رجال المستشفى أن بهذه القنبلة الكبيرة شيئاً خاصا ؛ لأن وكيل المستشفى ذهب فى اليوم التالى إلى الطبقة السفلى منه وإلى القبو الذى خزنت فيه لوحات أشعة إكس فوجد جميع اللوحات معرضة فى مكانها . وفى ذلك اليوم جاء طبيب جديد وعشر ممرضات من مدينة ياماجوشى

ومعهم أربطة ومطهرات ، وفى اليوم الثالث جاء طبيب آخر واثنتا عشرة ممرضة من ماكسو ، ومع ذلك لم يكن هنالك غير ثمانية أطباء لعشرة آلاف مريض .
وبعد ظهر اليوم الثالث وقد خارت قوى دكتور سازاكى من كثرة ما كان يقوم به من خياطة الجروح الكريهة ، بدأت تسيطر عليه فكرة ، وهى أن أمه تظن أنه مات . فاستأذن فى أن يذهب إلى موكايهارا ، ومشى إلى الضواحى الأولى التى كان القطار الكهربائى لا يزال يعمل بعدها ، ووصل إلى داره فى الليل . وقالت أمه إنها كانت تعلم طول الوقت أنه سليم إذ أنبأتها بذلك ممرضة جريحة ، فذهب إلى السرير ونام سبع عشرة ساعة .

فى يوم ٨ أغسطس قبل انبثاق الفجر دخل داخل إلى الغرفة التى رقد فيها الأب كلاينسورج فى دار الرهبان المبتدئين ، ومد يده إلى مصباح النور المعلق فأضاءه ، فأدى هذا الضوء الفجائى الذى انصب على الأب كلاينسورج وهو بين النوم واليقظة ، إلى أن يقفز من سريره ، وهو على استعداد لانفجار جديد . ولما عرف ماحدث ضحك فى خجل وعاد إلى فراشه وظل فيه طول يومه .

فى يوم ٩ أغسطس كان الأب كلاينسورج لايزال متعباً ، ولقد فحص رئيس الدار جروحه وقال إنها ليست جديرة بأن تربط ، وأنه إذا حرص الأب كلاينسورج على نظافتها فانها تلتئم فى ثلاثة أيام أو أربعة . وكان الأب كلاينسورج يشعر بقلق وهو لايكاد يعى ما مر به وكأنه مذنب ارتكب جريرة ، ورأى أن من الواجب عليه أن يعود إلى مكان تلك المأساة التى مرت به ، فقام من فراشه وذهب إلى المدينة ، وظل يجوس بعض الوقت خلال خرائب دار البعثة ولكنه لم يجد شيئاً ، وذهب إلى مواقع بعض المدارس وسأل عن أناس يعرفهم وبحث عن بعض اليابانيين من الكاثوليك فلم يجد غير دور مهدمة ؛ فعاد أدراجه إلى دار الرهبان المبتدئين وهو دهش دون أن يزداد فهماً لهذه الحال .

وفى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثانية من صباح يوم ٩ أغسطس ألقيت القنبلة الذرية الثانية على نجازاكى . ولقد مرت عدة أيام قبل أن يعرف

الأحياء من أهل هيروشيما أن لهم زملاء فى المصيبة ؛ لأن الاذاعة اليابانية والصحف اليابانيـــة كانت كثيرة الحذر فى أمر السلاح الجديد .

وفى يوم ٩ أغسطس كان مستر تانيموتو لا يزال يعمل فى الحديقة ، وقد ذهب إلى ضاحية أوشيدا حيث تقيم زوجته مع أصدقاء ، وجاء بخيمة كان قد احتفظ بها هناك قبل ضرب المدينة فجاء بها إلى الحديقة وأقامها لتكون وقاية لبعض الجرحى الذين لايستطيعون أن يتحركوا أو لايستطاع نقلهم . وكان يشعر فى كل مايعمله بأن عين السيدة كاماى جارته السابقة وهى الفتاة التى تبلغ العشرين من العمر تراقبه ، وهى السيدة التى رآها فى يوم انفجار القنبلة وطفلها الميت بين ذراعيها وقد احتفظت بالجثة الصغيرة بين ذراعيها مدة أربعة أيام مع أن الجثة كانت قد تعفنت فى اليوم الثانى . ولقد جلس مستر تانيموتو مرة معها لحظة قصيرة فأخبرته بأن القنبلة دفنتها تحت أنقاض دارها وطفلها مشدود إلى ظهرها ، ولما استطاعت أن ترفع عنها الأنقاض وجدت الطفل يختنق وقد امتلأ فمه بالأقذار ، فنظفت فم الطفل بأصبعها الصغيرة ، وتنفس الطفل بعض الوقت تنفساً عاديا كأنه سليم ولكنه مات فجأة وتحدثت السيدة كاماى عن زوجها وطيبته ، وعادت ترجو مستر تانيموتو أن يبحث عنه . ولما كان مستر تانيموتو قد اخترق شوارع المدينة فى اليوم الأول ورأى الجنود مصابين بحروق فظيعة فى كل مكان من معسكر شوجوكو المحلى للجيش وهو الذى كان فيه كاماى كان على يقين بأنه من المستحيل العثور على كاماى ولو كان حيا ، ولكنه بالطبع لم يفض إليها بذلك . وكانت فى كل مرة ترى مستر تانيمو توتسأله هل وجد زوجها ، وحاول ذات مرة أن يقترح أنه ربما كان الوقت قد حان لدفن الطفل ، ولكن السيدة كاماى ضمته بأقوى مما كانت تفعل فأخذ يتجنبها . ولكنه كان كلما نظر إليها ألفاها محدقة فيه وعيناها تسألان السؤال نفسه فحاول أن يبتعد عن نظرتها بأن كان يوليها ظهره كلما استطاع ذلك .

آوى اليسوعيون نحو خمسين من اللاجئين فى كنيستهم الجميلة بدار الرهبـــان المبتدئين ، وقد عنى الرئيس بهم العنـــاية الطبيـــة التى يستطيعها ، وأكثرها لايعدو تطهير الجراح من الصديد ، وقد أمد كل واحد من أفراد أسرة

نكامورا بغطاء وناموسية . وكانت السيدة نكامورا وابنتها الصغرى لا تجدان شهية للطعام فلم يأكلا شيئاً . أما الابن والابنة الأخرى فكانا يأكلان فى كل وجبة مايقدم إليهما ولكنهما كانا يلقيان بهذا الأكل بعد قليل .وفى يوم ١٠ أغسطس زارت الأسرة صديقة هى السيدة أوزاكى وأنبأتهم أن ابنها هيديو أحرق حيا فى المصنع الذى يعمل فيه ، وكان توشيو ينظر إلى هيديو هذا نظرته إلى بطل ، وكثيراًما ذهب إلى المصنع ليراقبه حين كان يسير الآلة التى يعمل فيها . وفى تلك الليلة هب توشيو من نومه وهو يصرخ ؛ إذ رأى فى حلمه السيدة أوزاكى خارجة من ثغرة فى الأرض مع أسرتها ، ثم رأى هيديو يشتغل أمام آلة المصنع وهى آلة كبيرة فيها سير متحرك وكان هو واقفاً إلى جانب هيديو . ولأمر ما كانت هذه الرؤيا مخيفة .

فى يوم ١٠ أغسطس سمع الأب كلاينسورج من أحد الناس بأن الدكتور فوجيى أصيب وأنه ذهب إلى مصيف صديق له اسمه أوكوما فى قرية فوكاوا فطلب من الأب شيزلك أن يذهب ليراه فذهب الأب شيزلك إلى محطة ساما خارج هيروشيما وركب قطارا كهربائيا مدة عشرين دقيقة ثم مشى ساعة ونصف ساعة فى شمس محرقة إلى منزل مستر أوكوما ، وكان المنزل إلى جانب نهر أوتا فى سفح أحد الجبال ، فألفى الدكتور فوجيى جالساً على مقعد وهو يرتدى الكيمونو ويضع ضمادات على عظمة رقبته المكسورة . وروى الطبيب للأب شيزلك كيف فقد نظارته وقال إن عينيه تضايقانه ، وأرى القس علامات كبيرة زرقاء وخضراء حيث وقعت ألواح الخشب فسببت رضوضاً ، وقدم للأب سيجارة أولا ثم استأذنه فى كأس من الويسكى مع أن الساعة كانت الحادية عشرة من الصباح . وظن الأب شيزلك أنه مما يرضى الدكتور فوجيى أن يشرب قليلا فلم يمانع ، فجاء خادم بشئ من الويسكى السنتورى . وتجاذب الأب اليسوعى والطبيب والمضيف حديثاً لذيذاً جدا ؛ فقد كان مستر أوكوما يعيش فى جزر هواى وذكر أشياء عدة عن الأمريكيين ، وتحدث دكتور فوجيى قليلا عن الكارثة ، وقال إن مستر أوكوما وإحدى الممرضات ذهبا إلى خرائب مستشفاه وعادا بخزانة صغيرة كان قد نقلها إلى مخبئه للوقاية من الغارات ، وهذه الخزانة تحتوى على بعض الآلات الجراحية . وأعطى الدكتور فوجيى للأب

شيزلك عدداً من القصات والملاقط ليوصلها لرئيس دار الرهبان المبتدئين . وكان الأب شيزلك يكن رغبة خفية فى نفسه ولكنه انتظر إلى أن تطور الحديث بطبيعته إلى سر القنبلة ، وحينئذ قال : إنه يعرف نوعها وإنه عرف هذا السر من رجل عليم ، وهو صحفى يابانى مر بدار الرهبان ، فالذى ألقى لم يكن قنبلة مطلقا بل هو نوع من مسحوق المغنيسيوم الدقيق نثر على المدينة بأكملها من طيارة واحدة ، وانفجر عندما مس الأسلاك المكهربة للقوة الكهربائية فى المدينة . فقال الدكتور فوجى وقد ركن إلى هذا التفسير كل الركون إذ جاء من صحفى : « هذا معناه أنه لا يلقى إلا على المدن الكبيرة وفى النهار فحسب عند ما تكون خطوط الترام وما ماثلها تعمل . »

بعد خمسة أيام من العناية بالجرحى فى الحديقة عاد مستر تانيموتو فى يوم ١١ أغسطس إلى دار بعثته وأخذ يحفر حول الأنقاض ، فاسترد بعض المذكرات وسجلات الكنيسة التى كانت تحفظ كأنها كتب ولم تمسس النار إلا أطرافها ، كما استرد بعض أدوات الطبخ وبعض الآنيــة . وبينما هو يعمل جاءته الآنسة تاناكا وقالت إن أباها يسأل عنه . وكان لدى مستر تانيموتو أسباب لكراهية أبيها وهو موظف شركة الملاحة الذى اعتزل العمل والذى كان يبدى تظاهراً بالاحسان ، وكان مع ذلك معروفاً بأنانيته وقساوته ، وهو الذى قال صراحة لعدد من الناس قبل بضعة أيام من ضرب المدينة إن مستر تانيموتو جاسوس للأمريكيين . ولقد هاجم المسيحية عدة مرات وقال إنها لا تلائم اليابانيين . وكان مستر تاناكا فى لحظة إلقــاء القنبلة يسير أمام محطــة الإذاعة فى المدينة وأصيب بحروق خطيرة ، ولكنه استطاع أن يعود إلى داره على رجليه والتجأ إلى ملجأ جمعية الجيران ، ومن هنالك حاول أن يجد مساعدة طبية ، وكان ينتظر أن يهرع إليه جميع أطباء هيروشيما لأنه كان ثريا جــدا ومشهوراً بالاحسان . فلما لم يأت إليه منهم أحد خرج يسعى إليهم وهو غاضب وكان يسعى مستنداً على ذراع ابنته إلى المستشفيات الخاصة من مستشفى إلى آخر فاذا جميع المستشفيات قد صارت خرائب ، وعاد إلى المخبأ ورقد فيـه ، وهو الآن ضعيف جداً ، ويعلم أنه سيموت ، وهو يرغب فى أن يجد مساعدة دينية فى لحظاته الأخيرة من أى دين كان .

وذهب مستر تانيموتو لمساعدته ونزل إلى الملجأ الشبيه بالقبر فلما اعتادت عيناه الظلام رأى مستر تاناكا وقد تورم وجهه وذراعاه وعلاها الصديد والدماء ، وكان مغمض العينين المتورمتين ، وتفوح من الشيخ رائحة كريهة وهو دائم الأنين ، ويُظَن أنه عرف صوت مستر تانيموتو . ووقف مستر تانيموتو على سلم المخبأ لكى ينفذ إليه النور وقرأ فى صوت عال من توراة باللغة اليابانية: « . . . لأن ألف سنة فى عينيك مثل يوم أمس بعدما عبر ، وكهزيع من الليل. جرفتهم كسنة يكونون . بالغداة كعشب يزول . بالغداة يزهر فيزول . عند المساء يجز فييبس .

لأننا قد فنينا بسخطك ،وبغضبك ارتعبنا . قد حفلت آثامنا أمامك ، خفياتنا فى ضوء وجهك . لأن كل أيامنا قد انقضت بزجرك أفنينا سنينا كقصة . . . »

ومات مستر تاناكا فى حين كان مستر تانيموتو يتلو هذا المزمور .

وفى ١١ أغسطس أبلغ مستشفى نينوشيما الحربى أن عدداً كبيراً من المصابين فى معسكر شوجوكو المحلى سيصلون إلى الجزيرة فى ذلك اليوم ، فرئى أنه من الضرورى نزوح جميع المرضى من المدنيين عنه . ووضعت الآنسة سازاكى ، وكانت الحمى لا تزال لديها شديدة جداً ، فى سفينة كبيرة ورقدت على ظهر السفينة وقد وضعت وسادة تحت رجلها ، وكان ظهر السفينة مغطى بالقماش ، ولكن سير السفينة عرّضها لضوء الشمس فأحست كأنما سلطت عليها عدسة مكبرة تحت الشمس وسال الصديد من جرحها فغطى الوسادة بأجمعها ، وأنزلت إلى البر فى هاتشوكايشى ، وهى مدينة تبعد عدة أميال إلى الجنوب الشرقى من هيروشيما ، ونقلت إلى مدرسة إلهة الرحمة الابتدائية التى اتخذت مستشفى ، ورقدت هنالك عدة أيام قبل أن يأتى طبيب اختصاصى فى العظام من كوبا ، وكانت رجلها قد صارت حمراء وامتد الورم إلى الفخذ ، فقرر الطبيب أنه لا يستطيع إصلاح مواضع الكسر وفتح ثغرة وضع فيها أنبوبة من المطاط لاستنزاف الصديد .

وفى دار الرهبان المبتدئين كان طفلا كاتوكا اللذان فقدا أمهما لايجدان

عزاء ، وبذل الأب شيزليك جهداً كبيراً لكى يلهيهما ، وكان يسألهما حل بعض الألغاز ، وسألها : « ما هو أذكى حيوان فى العالم ؟ » فأخذت الابنة البالغة ثلاث عشرة سنة من عمرها تخمن : تذكر القرد ثم الفيل ثم الفرس فقال لها : « كلا لابد أنه فرس البحر . » لأن اسم هذا الحيوان باللغة اليابانية هو « كابا » وهى عكس كلمة « باكا » التى تعنى الغبى . ثم أخذ يقص عليهما قصصاً من التوراة بادئاً بطبيعة الحال من الخليقة ، وأراهم كتاباً جمعت فيه صور سريعة أخذت لمناظر من أوربا ، ومع ذلك كان الطفلان يبكيان أكثر الوقت على أمهما .

وبعد عدة أيام ابتدأ الأب شيزليك يبحث عن أسرة الطفلين ، فعلم أولاً من مركز الشرطة أن عماً للطفلين قصد السلطات فى مدينة كورى القريبة ليسأل عنهما ، ثم سمع بعد ذلك أن أخاً أكبر لهما حاول أن يعثر على مكانهما من مكتب البريد فى أوجينا وهى ضاحية من ضواحى هيروشيما ، ثم سمع بعد ذلك أن الأم لا تزال حية وهى فى جزيرة جوتو على مقربة من ناجازاكى ، وأخيراً بوساطة مراقبة مكتب البريد بأوجينا استطاع أن يتصل بالأخ ويعيد الطفلين إلى أمهما .

بعد نحو أسبوع من إلقاء القنبلة وصلت هيروشيما شائعة غامضة غير مفهومة — هى أن المدينة دمرت بالقوة الناشئة عن تحطيم الذرة قسمين بطريقة ما . وقد سمى هذا السلاح فى هذه الشائعة المتناقلة بالأفواه « جنشى باكودان » . ويمكن ترجمة الأصول التى اشتق منها هذان اللفظان بعبارة « قنبلة طفل أصيلة » . ولم يفهم أحد هذه الفكرة ، وكذلك لم يطمئن أحد إلى هذه الشائعة أكثر مما اطمأن إلى شائعة مسحوق المغنيسيوم وما ماثلها من تكهنات . وقد بدأت الصحف تأتى من مدن أخرى ، ولكنها ظلت مقتصرة على بيانات عامة كتصريح دوماى فى يوم ١٢ أغسطس : « ليس لدينا غير الاعتراف بالقوة الهائلة لهذه القنبلة الوحشية . » ولكن علماء من الباحثين فى الطبيعة كانوا قد وفدوا على المدينة ومعهم آلاتهم من أمثال إلكتروسكوب لورتسن وإلكترومتر نيهر ، ولا ريب فى أنهم كانوا على علم بالفكرة .

وفى يوم ١٢ أغسطس ذهبت أسرة نكامورا ، وهم لايزالون مرضى بعض الشىء ، إلى مدينة كابى القريبة وأووا إلى أخت زوجها نكامورا . وفى اليوم التالى عادت السيدة نكامورا إلى هيروشيما وحدها مع أنها كانت مريضة لا تستطيع السير طويلا ، وقد ركبت القطار الكهربائى إلى أطراف المدينة ثم سارت على الأقدام . وكانت طوال الأسبوع الذى أمضته فى دار الرهبان المبتدئين مشغولة الخاطر بأمها وأخيها وأختها الكبرى ، وهم يسكنون جانب المدينة المسمى فوكوزو ، يضاف إلى ذلك انها قد شعرت بما يجذبها إلى المدينة كما جذب الأب كلاينسورج . وقد تبين لها أن أفراد أسرتها ماتوا جميعاً . فعادت إلى كابى وقد اشتملها الحزن والدهشة لما رأته وعلمته فى المدينة حتى إنها لم تنطق بكلمة طوال تلك الليلة .

أخذ مستشفى الصليب الأحمر يعود إلى نوع من النظام ، وعاد مستر سازاكى من راحته فبدأ يقسم المرضى إلى أقسام (وكانوا لا يزالون مبعثرين فى كل مكان حتى على السلم) . وتمكن رجال المستشفى ونساؤه من تنظيفه شيئاً فشيئاً من الأنقاض ، بل هم فعلوا ماهو خير من ذلك ، إذ أخذ الممرضات والخدم يرفعون الجثث . ويرى اليابانيون فى تشييع الموتى بإحراق جثثهم ووضعها فى القوارير ثم فى الهيكل تبعة أدبية أكبر من العناية المناسبة بالأحياء . ولقد تعرف أقارب الموتى على أكثر الذين ماتوا فى اليوم الأول داخل المستشفى وحوله . ومنذ اليوم الثانى كان إذا ظهر على أحـد المرضى علائم الهلاك تكتب ورقة باسمه وتعلق بثيابه . ولقد نقل جامعو الجثث هذه الأجسام إلى أرض فضاء فى الخارج ووضعوها فوق قطع من أخشاب جمعت من أنقاض الدور المتهدمة ثم أحرقوها ، ووضعوا بعض رمادها فى ظروف كانت معدة لألواح أشعة إكس ، ثم وضعوا على كل ظرف اسم المتوفى ، ثم جمعوا هـذه الظروف فى نظام وعناية فى رفوف فى المكتب الرئيسى وبعـد بضعة أيام كانت هذه الظروف قد ملأت جانباً بأكمله من هـذا الهيكل الوقتى الذى دبر تدبيراً .

وفى مدينة كابى فى يوم ١٢ أغسطس سمع توشيو نكامورا الغلام البالغ من العمر عشر سنوات صوت طيارة فوق رأسه ، فجرى خارج الدار ،

وعرف بعين خبيرة أنها طيارة من طراز ب ٢٩ فصاح : « هـذا مستر ب يطير ! »

فناداه أحد أقاربه قائلا : « ألم يكفك ما عرفت من مستر ب ؟ »

وكان فى هذا السؤال نوع من الرمزية . فنى تلك اللحظة بالذات تقريبا كان صوت خفيض يائس هو صوت هيروهيتو الإمبراطور تنو يتكلم لأول مرة فى التاريخ ليذيع : « بعد تفكير عميق فى الاتجاهات العامة فى العالم والأحوال الحاضرة فى إمبراطوريتنا اليوم قررنا أن نصل إلى تسوية الموقف الحاضر باتخاذ إجراء غير اعتيادى . . . »

عادت السيدة نكامورا مرة أخرى إلى المدينة لتخرج بعض الأرز الذى خبأته فى مخبأ الوقاية من الغارات لجمعية الجيران ، ووجدت هذه الكمية ، وأخذت طريقها إلى كابى ، وفى القطار لقيت بمحض المصادفة أختها الصغرى التى لم تكن فى هيروشيما يوم إلقاء القنبلة على المدينة،فقالت لها أختها : « هل سمعت الأنباء ؟ »

— أى نبأ ؟

— لقد انتهت الحرب .

— لا تقولى يا أختاه مثل هذا القول السخيف .

— ولكنى سمعت ذلك بالاذاعة اللاسلكية . ثم فى همس : وكان صوت الامبراطور .

قالت السيدة نكامورا : « أوه ! » (ولم تكن بحاجة لأكثر من ذلك حتى تتخلى عن الفكرة بأن اليابان لاتزال أمامها الفرصة لكسب الحرب بالرغم من القنبلة الذرية) « فى هذه الحالة . . . »

مضى حين من الدهر على هذا الحادث . ووصف مستر تانيموتو إلى أمريكى فى رسالة حوادث ذلك الصباح : « فى الوقت الذى انتهت فيه الحرب حدث شئ عجيب فى تاريخنا ؛ فقد أذاع إمبراطورنا مباشرة بصوته متكلما إلينا نحن الرجال العاديين فى اليابان ، فقد أنبئنا أنه ستلقى علينا فى ١٥ أغسطس أنباء عظيمة الخطر ، ويجب أن نسعى إلى سماعها . فذهبت إلى محطة السكة الحديدية

بهيروشيما حيث أقيم مكبر للصوت فى أنقاض المحطة ، واحتشد هنالك عدد كبير من المدنيين كلهم بربطات وبعضهم مستند إلى أكتاف بناتهم والبعض يستعين على أقدامه المصابة بالعصى ، وأخذوا يستمعون إلى الاذاعة . ولما تحقق لديهم أنه الامبراطور أخذوا يصيحون والدموع تنهمر من أعينهم : « أية بركة عجيبة أن ينادينا تنو بنفسه وأن نسمع صوته شخصيا ! إننا لراضون كل الرضا فى مثل هذه التضحية العظيمة . » ولما علموا أن الحرب انتهت — أى إن اليابان هزمت — تألموا بالطبع تألماً كبيراً ، ولكنهم أذعنوا لأمر إمبراطورهم فى روح هادئة مقدمين على التضحية بطيبة خاطر من أجل السلم الدائم فى العالم . وابتدأت اليابان فى طريقها الجديد . »

٤

الثمام وشجرة مريم

فى يوم ١٨ أغسطس وبعد اثنى عشر يوماً على انفجار القنبلة ، سار الأب كلاينسورج على قدميه من دار الرهبان المبتدئين وفى يده حقيبته المصنوعة من الورق المضغوط قاصداً هيروشيما . وقد أخذ يفكر أن لهذه الحقيبة التى يحتفظ فيها بالأشياء ذات القيمة لديه ، قوة سحرية بسبب الحالة التى وجدها فيها بعد الانفجار ؛ إذ كانت قائمة ومقبضها من أعلى على باب غرفته على حين كان المكتب الذى يخبأ هذه الحقيبة تحته قد انتثر قطعاً على الأرض . وهو الآن يستعملها ليحمل عملة الين التى تمتلكها جمعية اليسوعيين ، إلى فرع هيروشيما لبنك العملة فى يوكوهاما ، وقد أعيد فتحه فى داره التى تخربت قليلا ، وكان يشعر فى ذلك الصباح بوجه عام أنه متمالك لقواه . أجل ! إن الجروح الصغيرة التى أصيب بها لم تلتئم فى ثلاثة أيام أو أربعة كما قال رئيس الدار الذى فحصها وتوقع ذلك ، ولكن الأب كلاينسورج تمكن من الراحة أسبوعاً ، وظن أنه صار يستطيع أن يستأنف العمل الشاق . وكان قد اعتاد المنظر الفظيع الذى يمر عليه فى طريقه إلى المدينة ، وقد صارت حقول الأرز الشاسعة على مقربة من دار الرهبان المبتدئين مخططة بالسواد ، والدور فى أطراف المدينة قائمة ولكنها مصابة بنوافذها المكسورة وحواجز سقوفها المتساقطة . ثم يبتدئ فجأة أوائل الأميال الأربعة المربعة من الجرح الأدكن الدامى حيث انهار كل شئ تقريباً واحترق ، وسقطت عمارات المدينة صفا بعد صف . وهنا وهنالك ترى علامات نصبت فوق الرماد والآجر (كتب عليها : « أين أنت

يا أختاه؟ » ، أو « لقد نجونا جميعاً ونحن نعيش فى تويوساكا ») وهنالك الأشجار العارية ، وعمد التليفون المنقضة ، والمبانى القليلةالمتخربة التى ظلت قائمة ولكنها تزيد فى بيان كل ما انبسط من الأشياء الأخرى وضوحاً (ومنها متحف العلوم والصناعة ، وقدتطايرت قبته إلى إطارها من الصلب كأنه جثة فتحت للتشريح ، والبناء الحديث للغرفة التجارية ببرجه القائم جامداً بارداً لا ينال قبل الاصابة كما هو بعدها . ومنها كذلك دار بلدية المدينة ، وهى دار ضخمة قليلة الارتفاع كانت أخفيت معالمها . ومنها صف من المصارف العتيقة صارت سخرية بعد أن تدهور النظام الاقتصادى .) وترى بالشوارع آثار حركة نقل مؤلمة ، فى مئات من الدراجات المحترقة وأجسام السيارات وعربات النقل وقد وقفت فى نصف حركتها . وكان الأب كلاينسورج طوال الطريق يؤلمه أن يفكر فى أن هذا الضرر الذى رآه كله حدث فى لحظة واحدة بقنبلة واحدة . وعندما وصل إلى قلب المدينة كان الحر قد اشتد ، فمشى إلى بنك يوكوهاما الذى كان يؤدى العمل فى حانوت خشبى مؤقت أقيم فى الدور الأرضى من بنائه وأودع القس المال . ثم ذهب إلى دار البعثة لكى يلقى نظرة على حطامها مرة أخرى . ثم سار فى طريقه عائداً إلى دار الرهبان المبتدئين . وفى نحو منتصف الطريق بدأ يخالجه إحساس خاص ؛ فهذه الحقيبة السحرية إلى حد ما ، مع أنها خالية الآن ، أخذت تبدو ثقيلة جدا ؛ وتخاذلت ركبتاه ، وشعر بتعب شديد ، واستطاع أن يصل إلى دار الرهبان المبتدئين بعد جهد كبير . ولم ير أن هذا الضعف يستأهل أن يذكره لزملائه اليسوعيين . ولكن بعد يومين وهو يحاول أن يقوم بالصلاة أصابه دوار ، وحاول ثلاث مرات أن يتابع الصلاة ولكنه لم يستطع الاستمرار . وفى اليوم التالى عند ما فحص رئيس الدار جروح الأب كلاينسورج التى كانت فى الظاهر غير هامة ولكنها لم تلتئم ، سأل فى استغراب : « ماذا فعلت بجروحك ؟ » فلقد زادت الجروح اتساعاً فجأة وتورمت والتهبت .

كانت السيدة نكامورا ترتدى ثيابها فى صبيحة يوم ٢٠ أغسطس فى دار أخت زوجها فى كابى التى لا تبعد كثيراً عن نجاتسوكا . ولم تكن السيدة أصيبت بأية جراح أو حروق وإن ظلت تشعر بغثيان هى وأطفالها فى أثناء

الأسبوع الذى قضوه ضيوفاً على الأب كلاينسورج وغيره من الكاثوليك فى دار الرهبان المبتدئين . وأخذت تمشط شعرها ، فاذا بها تلحظ فى أول مرة أن المشط قد حمل معه ما يملأ اليد من الشعر . وفى المرة الثانية حدث مثل هذا، فوقفت التمشيط فى الحال . ولكن فى الأيام الثلاثة أو الأربعة التالية ظل شعرها يتساقط من تلقاء نفسه حتى صارت صلعاء تماماً ، فلازمت البيت حتى لتكاد تختبئ فيه . وفى يوم ٢٦ أغسطس استيقظت هى وابنتها الصغيرة ميكو وهما يشعران بضعف وتعب شديد ، واستمرا ملازمين لفراشهما . أما ابنها والبنت الأخرى ، وهما اللذان شاطراهما كل ما مر بهما من كوارث أثناء إلقاء القنبلة وبعدها ، فقد كانا فى صحة تامة.

فى نحو ذلك الوقت — ولم يعد يذكر الأيام ، لأنه كان يعمل جاهداً لاقامة مكان مؤقت للعبادة فى دار خاصة ، أجرها فى أطراف المدينة — مرض مستر تانيموتو فجأة بتعب عام ودوار وحمى ، وقد لزم هو فراشه أيضاً على أرض دار صديقه التى تحطمت قليلا فى ضاحية أوشيدا .

هؤلاء الأربعة لم يكونوا يعلمون سبب مرضهم ، ولكنهم كانوا مرضى بالمرض العجيب المتقلب الذى عرف فيما بعد بمرض الاشعاع .

ظلت الآنسة سازاكى راقدة فى ألم مستمر ، بمدرسة إلهة الرحمة الابتدائية بجهة هاتسوكايشى ، وهى المحطة الرابعة لخط القطار الكهربائى إلى الجنوب الغربى من هيروشيما . وكان التعفن الداخلى لا يزال يحول دون رد الكسر المركب فى العظام السفلى برجلها اليسرى . وكان هنالك شاب فى المستشفى نفسه يظهر أنه أخذ يتعلق بها بالرغم من انشغالها الذى لا ينقطع بآلامها ، أو لعله أخذته الشفقة بسبب هذه الآلام ، فأعارها ترجمة يابانية لقصص موباسان . وقد حاولت أن تقرأ هذه القصص ولكنها لم تستطع أن تركز عقلها فى القراءة أكثر من أربع دقائق أو خمس دقائق فى المرة .

كانت المستشفيات ومحطات الاسعاف فيما حول هيروشيما مكتظة بالناس فى الأسابيع الأولى بعد الانفجار . وكان رجالها يبدلون بسبب حالتهم الصحية ، ووصول المساعدة غير المنتظرة من الخارج ، فكان لابد من نقل المرضى من مكان إلى مكان . لذلك نقلت الآنسة سازاكى فى أواخر أغسطس إلى مدرسة

هندسية فى هاتسوكايشى مع أنها نقلت من قبل ثلاث مرات ، منها مرتان بالسفينة وكانت حالة رجلها لا تتحسن بل تزيد ورماً ، فقرر أطباء المدرسة أن يشدوا مؤقتاً قطعاً من الخشب حولها ، ويحملوها بالسيارة فى ٩ سبتمبر إلى مستشفى الصليب الأحمر فى هيروشيما . وكانت هذه هى الفرصة الأولى التى رأت فيها خرائب المدينة ؛ لأن المرة الأخيرة التى حملت فيها فى شوارع المدينة ، كانت على حافة الاغماء . وقد وصف لها الخراب من قبل ولكنها كانت لا تزال تشعر بالألم ، غير أن المنظر روعها ودهشت له دهشاً كبيراً ، ولاحظت فيه ما جعل جسدها يقشعر ؛ ففوق كل شئ — بين حطام المدينة ، وفى السقوف المتناثرة ، وعلى شواطئ النهر ، وبين الآجر ، وصفائح السقوف ، وعلى جذور الأشجار المحترقة — كان هنالك بساط أخضر حى جديد يحفز إلى التفاؤل . وقامت هذه الخضرة حتى من أسس الدور المتخربة . وقد بدأ الرماد يختفى تحت الأعشاب ، وازدهرت الأزهار البرية بين عظام المدينة ؛ فان القنبلة لم تترك أصول النباتات سليمة تحت الأرض وحسب بل لقد بعثت فيها أيضاً نشاطاً . ففى كل مكان ترى السوسن الأزرق والأزهار الاسبانية وبقلة اللبن ، وعباد شمس الصباح وزئبق النهار والفول ذا الثمر المجلل بالشعر والرجلة والشبيط والسمسم وشجر مريم . وفى دائرة فى وسط المدينة بنوع خاص نما نبات السناء فى ازدهار عجيب ، لا على بقايا النبات نفسه الذى احترق ، بل فى أماكن جديدة بين الأحجار وفى تشققات الأسفلت ، كأنما قد ألقيت مع القنبلة أحمال من بذوره .

وضعت الآنسة سازاكى فى مستشفى الصليب الأحمر تحت عناية الدكتور سازاكى . ولقد عاد شئ من النظام إلى المستشفى بعد مرور شهر على الانفجار ، ومعنى ذلك أن المرضى الذين كانوا راقدين فى مماشى المستشفى كانوا يجدون حصراً ليناموا عليها ، وأن الأدوية التى نفدت فى الأيام القلائل الأولى ، قد جاء بدلها ، وإن لم يكن بكمية كافية ، تبرعات من المدن الأخرى . وكان دكتور سازاكى ، الذى نام ذات مرة سبع عشرة ساعة فى داره فى الليلة الثالثة ، لا يستريح بعد ذلك إلا ست ساعات فى الليل نائماً على حصير فى المستشفى . وقد انخفض وزنه الضئيل جدا عشرين رطلا أخرى ، وكان لا يزال يضع النظارة التى لا تلائمه على عينيه ، وهى التى أخذها من ممرضة مصابة .

إذ كانت الآنسة سازاكى امرأة ، وكان مرضها شديداً (ولعل ذلك — كما اعترف فيما بعد — لمجرد أن اسمها سازاكى) فقد وضعها الطبيب على حصير فى غرفة تكاد تكون خاصة ، إذ لم يكن بها فى ذلك الوقت غير ثمانية من المرضى . ولقد سألها ، وكتب على بطاقة السجل فى لغة ألمانية صحيحة ، وهى التى كان يكتب بها جميع تسجيلاته : « مريضة متوسطة الحجم فى صحة جيدة على العموم ، بها كسر مركب فى القناة اليسرى فى الجزء الأسفل من رجلها مع تورم ، وفى جلدها والجزء الظاهر من عضوها المخاطى نقط صغيرة حمراء ، هى أنزفة فى حجم حبوب الأرز وأحياناً فى حجم الفول ؛ يضاف إلى ذلك أن رأسها وعينيها ورئتيها وقلبها فى حال عادية فى الظاهر ؛ إلا أن بها حمى . » ، وقد أراد أن يجبر الكسر ثم يضع رجلها فى قالب ، ولكنه كان يعوزه الجبس منذ وقت طويل . لذلك أرقدها على الحصير ووصف لها الأسبيرين للحمى ، وأن تحقن بحقن جلوكوز وأن تتعاطى بفيها ياستاس علاجاً لقلة الغذاء لديها (وهو لم يذكر هذه الحالة المرضية فى سجلها لأن المرضى جميعاً كانوا مصابين بها) . وكانت فيها علامة واحدة فقط من العلائم العجيبة التى أخذت وقتئذ تبدو على مرضاه — وهذه العلامة هى نقط الدم .

كان الدكتور فوجى لا يزال يلاحقه سوء الحظ مع الأنهار . فقد كان الآن ساكناً فى المنزل الصيفى لمستر أوكوما فى مدينة فوكاوا . وكان هذا المنزل قائماً على حافة الشواطئ العميقة لنهر أوتا ، وهنالك أخذت إصاباته تتحسن وبدا يعالج اللاجئين الذين جاءوا إليه من الجهات الغربية مستعملا المواد الطبية التى كان أودعها مخبأ بالضواحى . ولاحظ فى بعض المرضى مجموعة من الأعراض العجيبة ظهرت فجأة فى الأسبوع الثالث والرابع ، ولكنه لم يكن ليستطيع أكثر من غسل الجراح والحروق . وفى أوائل سبتمبر بدأ المطر ينهمر واستمر غزيراً ، فارتفع النهر . وفى يوم ١٧ سبتمبر أرعدت السحب ثم هب إعصار ، وأخذت المياه تعلو وتعلو إلى جانب الشاطئ ، فذعر مستر أوكوما ودكتور فوجى والتجآ إلى دار فلاح فوق الجبل (وقد أتى الفيضان فى هيروشيما على ما تركته القنبلة — فجرف الجسور التى سلمت من ضغط القنبلة ، واكتسح الشوارع ، وزعزع أسس الأبنية التى ظلت قائمة . . . وعلى عشرة أميال من الغرب ، حيث كان مستشفى أونو العسكرى وفيه جماعة من الخبراء من

جامعة طوكيو الامبراطورية يدرسون الاصابات التي حلت أخيراً بالمرضى ، تدحرج المستشفى فجأة فوق جانب من الجبل جميل ومجلل بأشجار الصنوبر ، وسقط إلى البحر الداخلي ؛ وغرق أكثر الباحثين ومرضاهم ذوى الأمراض الغريبة .) وبعد العاصفة نزل دكتور فوجي وسستر أوكوما إلى جانب النهر ، فألفيا منزل أوكوما قد جرفه التيار .

لما كان عدد كبير من الناس قد شعر بالمرض فجأة بعد نحو شهر من إلقاء القنبلة الذرية أخذت تنتشر شائعة كريهة وصلت فى آخر الأمر إلى الدار التى تقيم فيها السيدة نكامورا مريضة صلعاء الرأس ، وهى أن القنبلة الذرية تركت فى هيروشيما نوعاً من السم تنبعث منه ذرات مميتة لمدى سبع سنوات ، ولا يمكن أحداً أن يذهب إلى تلك المدينة طول الوقت ، وقد تضايقت السيدة نكامورا لهذا النبأ بنوع خاص ؛ فهى تذكر أنها فى ساعة الحيرة التى استولت عليها فى صباح الانفجار أغرقت وسيلتها الوحيدة للعيش ، وهى آلة الحياكة من صنع سانكوكو فى حوض الماء الصغير المصنوع من الأسمنت أمام ما بقى من دارها . والآن لا يستطيع أحد أن يذهب ليحاول إخراجها . وكانت السيدة نكامورا وأقاربها إلى تلك اللحظة مستسلمين ، ومقتنعين بما يسوغ إلقاء القنبلة الذرية ، من الوجهة الأخلاقية . ولكن هذه الشائعة أذكت فيهم فجأة من الكراهية والبغضاء نحو أمريكا ، أكثر مما شعروا به فى أثناء الحرب .

وكان علماء الطبيعة من اليابانيين (وهم على علم كثير بتحطيم الذرة ويملك أحدهم سيكلوترون) قلقين من الإشعاع الباقى فى هيروشيما . وفى أواسط أغسطس بعد بضعة أيام من إذاعة الرئيس ترومان لنوع القنبلة التى ألقيت ، دخل هؤلاء العلماء إلى المدينة للبحث . وكان أول ما عملوه أن أرادوا تحديد مركز القنبلة ، بأن أخذوا يلاحظون جوانب عمد التليفون حول قلب المدينة التى تأثرت بالحريق ، وقرروا أن المركز هو البوابة الكبرى لمعبد جوكوكو ، وهى تلاصق ساحة الاستعراض لمعسكر شوجوكو للجيش المحلى . ومن هنالك أخذوا يبحثون شمالا وجنوباً بوساطة إلكتروسكوبات لورتسن الحساسة جدا لأشعة بيتا وأشعة جاما ، ودلت هذه الآلات على أن أشد النشاط الاشعاعى ، على مقربة من أبراج البوابة ، هو ٤,٢ مرة لمتوسط «الخارج»

الطبيعى للموجات الزائدة فى القصر لأرض تلك المساحة . ولاحظ العلماء أن ضوء القنبلة قد صبغ الأسمنت المسلح بلون أحمر فاتح ، وأنه أطار شظايا من سطح الجرانيت ، وأنه أثر كما يؤثر الحريق فى بعض أنواع أخرى من مواد البناء . ولذلك تركت القنبلة فى بعض الأماكن آثاراً للظلال التى ارتمى عليها ضوءها . فوجد الخبراء مثلا ظلا ثابتاً على سقف بناء الغرفة التجارية (٢٢٠ ياردة من المركز المحدد) للبرج المكعب . وهنالك ظلال عدة على مركز المراقبة فوق بنك الرهن (٢٠٥٠ ياردة) وهنالك ظل آخر فى برج بناء محطة توليد الكهرباء بشوجوكو (٨٠٠ ياردة) وظل آخر لطلمبة الغاز (٢٦٣٠ ياردة) وظلال كثيرة على القبور من الجرانيت فى معبد جوكوكو (٣٨٥ ياردة) وبقياس مثلث هذه الظلال وظلال أخرى مع الأشياء التى كونتها ، استطاع العلماء أن يحددوا المركز الصحيح للقنبلة ، وهو مكان على بعد مائة وخمسين ياردة إلى الجنوب من الأبراج ، وعلى بعد ياردات قليلة إلى الجنوب الشرقى من كومة الخرائب التى كانت من قبل مستشفى شيما (وقد وجدت ظلال صور بشرية ، فنشأ عن ذلك قصص من نسيج الخيال وفيها تفصيلات دقيقة . فمن هذه القصص أن أحد النقاشين كان فوق سلم فثبتت له صورة كأنها مدموغة على المدخل الحجرى لبناء مصرف كان يعمل فيه فى اللحظة التى وضع فيها فرشاه فى إناء الطلاء . ومنها أن رجلا وعربته كانا فوق الجسر المقارب لمتحف العلوم والصناعة وهو يكاد يكون فى مركز الانفجار ، قد ثبت له ظل يدل دلالة واضحة على أنه كان شارعاً فى ضرب جواده بالسوط .) وفى أوائل سبتمبر أجرى العلماء مقاييس جديدة مبتدئين إلى الشرق والغرب من المركز الصحيح ، فوجدوا أن أقوى إشعاع بلغ ٣٫٩ مرة « الخارج » الطبيعى وإذ الإشعاع الذى يبلغ على الأقل ١٠٠٠ مرة « للخارج » الطبيعى هو الذى يؤثر تأثيراً سيئاً فى الجسم البشرى ، فقد أعلن العلماء أن الأهالى يستطيعون دخول هيروشيما دون أن يتعرضوا لأى خطر .

وبمجرد أن بلغ هذا النبأ اليقين المنزل الذى كانت تختبئ فيه السيدة نكامورا — أو على الأقل بعد وقت قصير من ابتداء نمو شعرها من جديد — خفت بغضاء الأسرة بأكلها لأمريكا . وأرسلت السيدة نكامورا زوج أختها للبحث عن آلة الحياكة ، وكانت لا تزال مغمورة فى ماء الحوض . وعندما

جاء بها إلى المنزل تألمت ألماً شديداً إذ ألفتها قد علاها الصدأ من كل جانب ؛ ولم تعد تصلح لشئ .

فى نهاية الأسبوع الأول من سبتمبر كان الأب كلاينسورج راقداً فى دار الرهبان المبتدئين وقد ارتفعت حرارته حتى بلغت ١٠٢,٢ بميزان فهرنهيت . وبما أن حالته كانت تزداد سوءاً على ما يظهر فقد قرر زملاؤه أن يبعثوا به إلى المستشفى الدولى الكاثوليكى فى طوكيو . ورافقه الأب شيزلك ومدير الدار إلى كوبى ، ثم رافقــه أب يسوعى من تلك المدينة إلى أن قطع سائر الطريق ، وكان يحمل رسالة من طبيب بمدينة كوبى إلى الأم الرئيسة للمستشفى الدولى ، وفيها : « فكروا مرتين قبل أن تنقلوا إلى هذا الرجل شيئاً من الدماء ؛ لأنه ليس من المحقق إذا وخز مرضى القنبلة الذرية بإبر ألا تنزف دماؤهم . »

عندما وصل الأب كلاينسورج إلى المستشفى كان ممتقع اللون وضعيفاً جدا ، وكان يشكو أن القنبلة قد أضرت بهضمه وجعلته يشعر بآلام جسدية . وكان عدد الكرات البيضاء فى دمه ثلاثة آلاف (وفى العادة يكون خمسة آلاف إلى سبعة) . وكانت تبدو عليه أعراض فقر الدم الشديد وحرارته ١٠٤ فهرنهيت وقد رآه طبيب لا يعرف كثيراً عن هذه الظواهر الغريبة — فان الأب كلاينسورج كان من القلائل من مرضى القنبلة الذرية الذين وصلوا إلى طوكيو — وكان الطبيب أمام المريض مشجعاً جداً إذ قال : « ستخرج من هنا بعد أسبوعين . » ولكن عندما خرج الطبيب إلى الممشى قال للأم الرئيسة : « إنه سيموت ؛ فان جميع هؤلاء الذين أصيبوا بمرض القنبلة يموتون — وسترين . فانهم يظلون بضعة أسابيع أحياء ثم يموتون . » ووصف للأب كلاينسورج غذاء مقوياً ، فكانوا كل ثلاث ساعات يلزمونه بتناول بعض البيض أو خلاصة اللحم البقرى ، وأن يتناول من السكر قدر ما يستطيع . وأعطوه فيتامينات وحبوباً حديدية وشيئاً من الزرنيخ (فى محلول فولا) لعلاج فقر الدم . ولقد كذبت تكهنات الطبيب فى الناحيتين ، فلا هو مات ولا هو خرج بعد أسبوعين . ومع أن الرسالة التى جاءت من طبيب مدينة كوبى حرمته أن يمد بالدم وهو خير علاج لحالته ، فان الحمى والمتاعب الهضمية زالت بسرعة مناسبة . ولقد ارتفع عدد الكرات البيضاء بعض الشئ ، ولكن فى أوائل أكتوبر نزل عددها إلى

٣٦٠٠ . وبعد عشرة أيام ارتفع أكثر من الحالة الاعتيادية إلى ٨٨٠٠ . ثم انتهى بها الأمر إلى أن بقيت ٥٨٠٠ . وكانت خدوشه الغريبة مما أثار عجب كل إنسان ، فهى تلتئم بضعة أيام ،حتى إذا أخذيتحرك ويمشى قليلا عادت فانفتحت وعندما أخذ يشعر بتحسن صحته بدأ يستمتع بمركزه . فهو فى هيروشيما كان واحداً من آلاف من المرضى ، وهو فى طوكيو قد صار أعجوبة ؛ فكان الأطباء الشبان فى الجيش الأمريكى يأتون بالعشرات ليفحصوه ، ويأتى الخبراء من اليابانيين ليسألوه ، وجاء مندوب جريدة ليأخذ منه حديثاً ، وجاء مرة طبيبه الحائر وهز رأسه وقال : « إن حالات مرضى القنبلة الذرية لحالات محيرة . »

كانت السيدة نكامورا راقدة داخل البيت مع ميكو ، فكلاهما ظل مريضاً . ومع أن السيدة نكامورا شعرت شعوراً غامضاً بأن مرضهما ناشئ عن القنبلة ، فانها كانت لا تستطيع من الفقر أن تزور الطبيب ؛ ولذلك لم تعرف تماماً ماذا حل بها . ومن غير أى نوع من العلاج بل بمجرد الراحة أخذا مع الأيام يتحسنان ، وقد سقط بعض شعر ميكو وكان فى ذراعها حرق صغير ظل أشهراً دون أن يلتئم . أما الغلام توشيو وأخته الكبرى ييكو فقد كانا فى صحة جيدة مع أنهما فقدا بعض شعرهما ، وكانا أحياناً يشعران بصداع شديد . وكان توشيو لا يزال يحلم أحلاماً مزعجة تدور دائما حول الميكانيكى البالغ من العمر تسع عشرة سنة هيديو أوساكى بطله الذى قتلته القنبلة .

ظل مستر تانيموتو راقداً بالحمى التى بلغ ارتفاعها ١٠٤ درجة فهرنهايت وكان قلقاً بسبب صلوات الجنازة التى كان عليه أن يقيمها للموتى من أبناء كنيسته . وكان يظن أن ما به هو التعب الشديد من العمل المرهق الذى قام به منذ ضربت المدينة . ولكن بعد أن ظلت الحمى ملازمة له بضعة أيام أرسل يطلب الطبيب . وكان الطبيب مثقلا بالعمل ، فلم يكن يستطيع أن يزور أوشيدا ، ولكنه أرسل ممرضة عرفت أعراض المرض ووصفته بمرض إشعاع متوسط فى شدته . وكانت تأتى إليه من وقت لآخر لتحقنه بحقن من فيتامين ب . وزار مستر تانيموتو كاهن بوذى كان يعرفه ، واقترح أن يعالج بعشب الموكسا

لعله يفيده ، ووصف الكاهن للقس كيف يستعمل هذا العلاج اليابانى القديم ، وهو أن يوقد حزمة من عشب الموكسا المقوى بعد أن توضع فوق نبض الساعد . ووجد مستر تانيموتو أن كل مرة يجرى فيها علاج الموكسا كانت الحمى تهبط مؤقتاً درجة واحدة . وكانت المرضة قد أنبأته بأن يأكل أكثر ما يستطيع ، فكانت حماته تأتيه كل بضعة أيام بخضراوات وأسماك من تسوزو حيث تقيم وهى تبعد عشرين ميلا ، وظل ملازماً الفراش شهراً ، ثم قطع عشر ساعات بالقطار ليقيم فى منزل أبيه بشكوكو ، وهنالك استراح شهراً آخر .

رأى الدكتور سازاكى وزملاؤه بمستشفى الصليب الأحمر هذا المرض الذى لم يعرف من قبل يبدو أمامهم ، وأخيراً استنبطوا نظرية عن طبيعته ، وقرروا أن له أدواراً ثلاثة : الدور الأول انتهى قبل أن يعرف الأطباء أن أمامهم مرضاً جديداً ، وهو نتيجة مباشرة لتأثير إصابة الجسم فى لحظة إلقاء القنبلة بذرات النيترون وأجزاء من أشعة بيتا وأشعة جاما . فالناس الذين لم يصابوا فى الظاهر باصابات ولكنهم ماتوا موتاً غريباً فى الساعات أو الأيام القلائل الأولى ، كانوا ضحية هذا الدور الأول ، وقتل به تسعة وخمسون فى المائة من الأهالى ممن كانوا على بعد نصف ميل من المركز ، وبضعة آلاف من الذين كانوا أبعد من ذلك . وتحقق لدى الأطباء استنتاجاً أن أكثر الموتى مع إصابتهم بحروق وبتأثير الضغط قد تشربوا من الاشعاع ما قتلهم ، فهذه الأشعة دمرت خلايا الجسم ، وسببت انحطاطاً فى نواة الخلايا وحطمت حوائطها . وكثير ممن لم يموتوا فى الحال أصابهم الغثيان والصداع والاسهال والارهاق والحمى التى استمرت عدة أيام . ولم يتحقق الأطباء من هذه الأعراض أهى نتيجة الإشعاع أو الصدمة العصبية .

أما الدور الثانى فانه جاء بعد عشرة أيام أو خمسة عشر يوماً من انفجار القنبلة . وظاهرته الأساسية سقوط الشعر ثم إسهال وحمى قد ترتفع إلى ١٠٦ درجه فهرنهايت ، وظهرت بعد خمسة وعشرين إلى ثلاثين يوماً من الانفجار اضطرابات فى الدم : فقد دميت اللثة ، ونقصت الكرات البيضاء نقصاً كبيراً ، وظهرت بقع على الجلد وفى الأعضاء المخاطية . وكان نقص عدد الكرات البيضاء فى الدم مما يضعف مقاومة المريض للعدوى ، ولذلك

كانت الجراح التى شارفت الشفاء لا تلتئم ، وأصيب كثير من المرضى بأمراض فى الحنجرة والفم ، وكانت الظاهرتان الهامتان اللتان يبنى عليهما الأطباء تقديرهم هما الحمى ونقص عدد الكرات البيضاء .

وإذا ظلت الحمى مستمرة ومرتفعة كانت فرصة المريض فى الحياة ضعيفة ، وكان عدد الكرات البيضاء ينقص دائماً إلى أقل من أربعة آلاف ، فاذا نزل عددها عن الألف كان الأمل فى حياة المريض ضعيفاً . وفى آخر الدور الثانى إذا بقى المريض حياً فانه يصاب أيضاً بفقر الدم أو نقص الكرات الحمراء فى الدم .

ثم يأتى الدور الثالث حينما يحاول جسم المريض أن يستعيض عما سببه له المرض . فمثلا لا يعود عدد الكرات البيضاء إلى طبيعته وحسب بل يزيد كثيراً على المستوى العادى . وفى هذا الدور يموت المرضى بسبب مضاعفات كاصابات فى منحنى الصدر . وكانت أكثر الحروق تلتئم بطبقات سميكة من أنسجة حمراء مطاطة تعرف باسم أورام كلويد . وكانت مدة المرض تختلف باختلاف قوة احتمال المريض ومقدار الإشعاع الذى وصل إليه ، فكان بعض الضحايا يشفى فى أسبوع وظل بعضهم الآخر يلازمهم المرض أشهرا .

لما أخذت هذه الأعراض تبدو تبين أن الكثير منها يشابه تأثيرات الاكثار من التعرض لأشعة إكس ، وبنى الأطباء طرق علاجهم على هذه المشابهة فكانوا يعطون المرضى خلاصة الكبد وحقن الدم وفيتامينات وبخاصة فيتامين ب . وكانت قلة الأدوية والأدوات مما يصعب مهمتهم . وقد وجد أطباء الحلفاء الذين جاءوا بعد استسلام اليابان أن البلازما والبنسلين كانا نافعين جدا . ولما كانت الاضطرابات المرضية فى دورة المرض الطويلة هى العامل الأساسى فيه فقد بدا لبعض الأطباء اليابانيين رأى عن موضع هذا المرض الذى تظهر أعراضه متأخرة ، وهو أنه ربما كانت أشعة جاما فى اختراقها الجسم أثناء الانفجار قد أحدثت النشاط الإشعاعى فى الفوسفور الذى فى عظام الضحايا ، وأنه فى الوقت نفسه انبعثت منهم أجزاء من أشعة بيتا ، وهذه الأشعة لا تستطيع اختراق اللحم إلا إلى حد بسيط ، ولكنها دخلت إلى نخاع العظام حيث يصنع الدم وقضت عليه شيئاً فشيئاً . ومهما يكن مصدر هذا المرض فانه كان ذا صفات محيرة ؛ إذ لم تظهر الأعراض الأساسية على جميع المرضى . فالذين أصيبوا

بحروق من الانفجار كانت لديهم مناعة إلى حد كبير من مرض الإشعاع ، وأولئك الذين التزموا الهدوء لمدة أيام أو حتى ساعات بعد الانفجار ، كانوا أقل تعرضاً لهذا المرض من أولئك الذين كانوا نشيطين . ثم إن الشعر الأبيض كان قلما يسقط ، وكأن الطبيعة أرادت حماية الانسان من اختراعاته لذلك نرى أن وسائل الانتاج تأثرت لوقت ما ، فصار الرجال عقما والنساء يصيبهم الاجهاض وانقطع الحيض .

مكث دكتور فوجي عشرة أيام بعد الفيضان فى دار فلاح على الجبل فوق نهر أوتا ، ثم سمع بخلو عيادة خاصة فى كايتايشى وهى ضاحية إلى الشرق من هيروشيما ، فاشتراها فى الحال وانتقل إليها ، وعلق لافتة مكتوبة بالانجليزية تحية للمنتصرين :

م. فوجي
دكتور فى الطب
للامراض الباطنية والتناسلية

وكانت جراحه قد التأمت ، وأخذ العمل يكثر لديه . وكان يلذ له فى المساء أن يزوره أعضاء من القوات المحتلة، فيغدق عليهم الويسكى ويتمرن معهم على اللغة الانجليزية .

أعطى الدكتور سازاكى للآنسة سازاكى البروكايين مخدراً محليا ، ثم فتح ثغرة فى رجلها فى يوم ٢٣ أكتوبر ليخرج الصديد الذى كان لا يزال موجوداً بعد أحد عشر أسبوعاً من الاصابة ، وقد أخذ يتكون من الصديد فى الأيام التالية قدر كبير ، حتى اضطره ذلك إلى تنظيف الثغرة صباح مساء . وفى الأسبوع التالى شكت من ألم شديد ، ففتح ثغرة أخرى ثم فتح ثغرة ثالثة فى ٩ نوفمبر ثم وسعها فى اليوم السادس والعشرين من نوفمبر . وكانت الآنسة

سازاكى قد أخذت نفسيتها تضعف ويزداد جسمها ضعفا . ، وفى ذات يوم جاء الشاب الذى أعارها ترجمة قصص موباسان فى هاتسوكايشى لزيارتها ، وأنبأها بأنه ذاهب إلى كيوشو ،على أنه يود أن يراها عند عودته مرة ثانية ، ولكنها لم تهتم بذلك . وقد تورمت رجلها وازداد ألمها حتى لم يستطع الطبيب أن يقوم بأية محاولة لجبر الكسور ، وبالرغم من أن التصوير بأشعة إكس الذى أخذ فى نوفمبر أظهر أن العظام تلتئم ، فانها كانت ترى وهى تحت الغطاء أن رجلها اليسرى صارت أقصر من رجلها اليمنى بثلاث بوصات ، وأنها مثنية إلى الداخل . وفكرت كثيراً فى الرجل الذى كانت مخطوبة له ، وقد أنبأها أحد الأصدقاء أنه عاد من عمله فيما وراء البحار ، فكانت تسائل : ماذا سمع عن إصاباتها حتى أنه ظل بعيداً عنها !

أخرج الأب كلاينسورج من مستشفى طوكيو فى ١٩ ديسمبر ، وركب القطار عائداً إلى مقره . وفى الطريق بعد يومين عند يوكوجادوا وهى المحطة التى قبل هيروشيما ، ركب دكتور فوجى القطار معه ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى اجتمع فيها الرجلان بعد انفجار القنبلة ، فجلسا معاً . وقال الدكتور فوجى إنه ذاهب للاجتماع السنوى لأسرته وهو يوم ذكرى وفاة والده . وعندما بدآ يتكلمان عما حدث لهما كان حديث الطبيب مسلياً جدا ؛ إذ أخذ يصف المنازل التى كان يسكنها كيف كانت تتساقط فى الأنهار . ثم سأل الأب كلاينسورج عن صحته فأخبره الأب اليسوعى بأنه كان فى المستشفى وقال : « نصح لى الأطباء بأن أكون حذراً ، وأمرونى بأن ألجأ إلى النوم ساعتين بعد ظهر كل يوم . »

فقال دكتور فوجى : « من الصعب فى هذه الأيام أن يكون الانسان حذراً فى هيروشيما ، فكل واحد فيها شديد الاقبال على العمل . »

أخذت إدارة بلدية جديدة تحت إشراف الحكومة العسكرية المتحالفة تعمل أخيراً فى دار البلدية ، وأخذ الأهالى الذين شفوا من درجات مختلفة من مرض الإشعاع يعودون بالآلاف ، وبلغ عدد الأهالى فى أول نوفمبر ١٧٣ ألفاً أى أكثر من ثلث ما بلغه عددهم فى أثناء الحرب ، واحتشد أكثرهم فى أطراف

المدينة . وشرعت الحكومة تقوم بضروب من المشروعات لكى تحملهم على العمل فى إعادة بناء المدينة ، فأجرت رجالا لتنظيف الشوارع وآخرين ليجمعوا قطع الحديد المتناثرة وينظموها فى أكوام كالجبال أمام دار البلدية . وأخذ بعض العائدين من سكان المدينة يبنون دورهم وأكواخهم ويزرعون مربعات صغيرة بقمح الشتاء إلى جانبها . على أن إدارة المدينة رخصت وبنت أربعمائة «معسكر» كل واحد لسكنى أسرة واحدة ، وأعيد إصلاح المنافع العامة ، فعادت الأضواء الكهربائية تسطع مرة ثانية ، وأخذت عربات الترام تسير ، وأصلح رجال أعمال المياه سبعين ألف صنبور ، وألف مؤتمر لتنظيم المدينة له مستشار شاب متحمس من ضباط الحكومة العسكرية وهو اللفتنانت جون مونتجومرى من كلامايسو . وأخذ هذا المؤتمر يدرس على أى نوع من المدن يجب أن تكون — هيروشيما الجديدة ؛ فقد ازدهرت المدينة المخربة — وكانت هدفاً بارزاً — بسبب أنها كانت من أهم مراكز القيادة العسكرية والمواصلات فى اليابان . وكان من المنتظر أن تصير عاصمة الإمبراطورية لو تم غزو الجزر اليابانية واحتلت طوكيو . والآن لن تكون هنالك مراكز حربية ضخمة تساعد على إحياء المدينة . فكان مؤتمر التنظيم فى حيرة بشأن الأهمية التى تكون لهيروشيما . ولذلك التجأ إلى مشروعات ثقافية غامضة بعض الشئ وإصلاحات فى الطرق ، فرسم خرائط بها شوارع كبيرة يبلغ عرض الواحد منها مائة ياردة . وفكر جديا فى الاحتفاظ بمتحف العلوم والصناعة الذى أصابه شئ من التخريب كما هو ، تذكاراً للكارثة ، على أن يسمى معهد الصداقة الدولية . وجمع الاخصائيون ما قدروا عليه من أرقام عن تأثير القنبلة، فقالوا إن ٧٨,١٥٠ شخص قتلوا ، و ١٣,٩٨٣ شخص فقدوا ، و ٣٧,٤٢٥ شخص أصيبوا . ولم يزعم أحد من رجال الحكومة فى المدينة أن هذه الأرقام صحيحة ، مع أن الأمريكيين عدوها رسمية . و بمرور الشهور أخرجت مئات ومئات من الجثث من بين الأنقاض . ولما كان عدد الآنية المليئة برماد الموتى الذين لم يطلبهم أهلوهم بمعبد ثاموجى بجهة كوى ارتفع إلى الآلاف ، فقد بدأ الاحصائيون يقولون إن مائة ألف على الأقل ماتوا بسبب القنبلة . وإذ كان عدد كبير من الناس يعزى موتهم لمجموعة أسباب ، فقد كان من المستحيل أن يعرف تماماً كم من قتلوا بكل واحد من هذه الأسباب . ولكن رجال الاحصاء يقدرون أن خمسة وعشرين فى المائة ماتوا

بسبب حروق مباشرة من القنبلة ، وأن خمسين فى المائة من إصابات أخرى ، وأن عشرين فى المائة نتيجة لتأثير الإشعاع . على أن تقدير رجال الاحصاء فيما أصاب الأموال قد يمكن الاعتماد عليه ؛ فقد دمر اثنان وستون ألف بناء من تسعين ألفاً ، وأصيب ستة آلاف بضرر لا يمكن إصلاحه ، وفى قلب المدينة لم يبق غير خمسة أبنية حديثة يمكن استعمالها ثانية بغير إجراء إصلاحات كبيرة . ولم تكن قلة هذا العدد ناشئة عن عدم متانة الأبنية اليابانية ؛ فالواقع أنه منذ حدوث الزلزال الكبير فى سنة ١٩٢٣ قضت نظم البناء اليابانية أن يكون سقف كل بناء كبير بحيث يتحمل ثقلا قدره على الأقل سبعون رطلا فى كل قدم مربع ، على حين لا تقضى النظم الأمريكية بأكثر من أربعين رطلا للقدم المربع .

ولقد جاء جيش من العلماء إلى المدينة ، وأخذ بعضهم يقيس القوة التى أدت إلى نقل الشواهد الرخامية من مكانها فى المقابر ، وإلى قلب اثنين وعشرين من سبعة وأربعين عربة من عربات السكك الحديدية فى مخازن هذه السكك بمحطة هيروشيما ، وإلى رفع طريق من الأسمنت وتحريكه على أحد الجسور ، وإلى حدوث أشياء أخرى تسترعى النظر من أعمال القوة . واستنتجوا أن الضغط الذى سببه الانفجار اختلف بين ٥,٣٠ إلى ٨ أطنان للياردة المربعة . ووجد آخرون أن الميكا التى لا تذوب إلا على درجة حرارة ٩٠٠ سنتيجراد قد ذابت على حجارة قبور من الجرانيت واقعة على ثلاثمائة وثمانين ياردة من المركز ، ووجدوا عمد التليفون ، وهى من أشجار البلوط اليابانى وهى تحترق على حرارة ٢٤٠ سنتيجراد ، قد احترقت على بعد أربعة آلاف وأربعمائة ياردة من المركز ، وأن سطح القوالب من الآجر الرمادى وهى المستعملة فى هيروشيما والتى لا تذوب إلا على درجة ١٣٠٠ سنتيجراد قد ذابت على بعد ستمائة ياردة . وبعد أن فحصوا بعض الرماد ذى الدلالة وبعض بقايا ما ذاب ، استنتجوا أن حرارة القنبلة على الأرض فى المركز بلغت ٦٠٠٠ سنتيجراد . ووصل العلماء إلى معلومات أكبر شأنا عن طبيعة القنبلة من مقاييس أخرى للاشعاع كان مما شملته قشر قطع من المواد من أغطية السطوح ، وأنابيب المجارى فى أماكن بعيدة ، مثل ضاحية تكاسو ، وهى على ثلاثة آلاف وثلاثمائة ياردة من المركز . وكان مركز رياسة الجنرال ماك آرثر يمنع أى ذكر للقنبلة فى المطبوعات العلمية اليابانية ،

ولكن ثمار تقديرات العلماء ما لبثت أن صارت معلومات عامة لدى اليابانيين من علماء الطبيعة والأطباء والكيميائيين والصحفيين والأساتذة ، ولا ريب فى أنه عرفها أولئك السياسيون والعسكريون الذين كانوا لا يزالون مطلقى السراح . وقبل أن يعرف الجمهور الأمريكى بزمن طويل ، كان السواد الأعظم من رجال العلم ، وكثيرون من غير العلماء يعرفون — من التقديرات التى قام بها علماء الطبيعة الباحثون فى الذرة من اليابانيين — أن قنبلة من اليورانيوم انفجرت فى هيروشيما ، وأن قنبلة أقوى منها من البلوتنيوم انفجرت فى نجازاكى ، وعرفوا أيضاً أنه يمكن نظريا صنع قنبلة تزيد قوتها على ذلك عشر مرات ، أو عشرين مرة . وزعم العلماءاليابانيون أنهم عرفوا الارتفاع الصحيح الذى انفجرت فيه قنبلة هيروشيما ، والثقل التقريبى لما استعمل من يورانيوم . وقدروا أنه حتى مع قنبلة بدائية كالقنبلة التى استعملت فى هيروشيما ، يجب أن يكون هنالك مخبأ من الأسمنت المسلح يبلغ سمكه خمسين بوصة ، كى يكون الانسان بمأمن من مرض الإشعاع . وعرف هؤلاء العلماء هذه التفصيلات وغيرها ، مما ظل خاضعاً للكتمان فى الولايات المتحدة ، وقد نشروها وصوروها وضمنوها كتباً صغيرة . وعلم الأمريكيون بهذه الكتب ، ولكن تعقبها ومنعها من أن تقع فى أيدى غير صالحة ، يضطر قوات الاحتلال إلى أن تنشئ نظاماً بوليسيا كبيراً فى اليابان لهذا الغرض وحده . وكان العلماء اليابانيون يتندرون على العموم بالمجهودات التى يبذلها المنتصرون لكتمان أنباء التحطيم الذرى .

فى أواخر فبراير سنة ١٩٤٦ وفد على الأب كلاينسورج أحد أصدقاء الآنسة سازاكى وسأله أن يزورها فى المستشفى ، وكانت تزداد انقباضاً ويأساً ، كأن ليس للحياة لديها قيمة وذهب الأب كلاينسورج لرؤيتها عدة مرات . وفى أول زيارة لها جعل الحديث يدور حول مسائل عامة رسمية ، وإن كان مشوبا بالعطف ، ولم يرد أن يذكر الدين . وفى المرة الثانية كانت الآنسة سازاكى بادئة فى الحديث عن هذا الموضوع ، وكان من البين أنها قد تحدثت من قبل إلى بعض الكاثوليك ، وقد سألته فى صراحة : « إذا كان إلهك رءوفاً وشفيعاً فكيف يدع الناس يتألمون هكذا ؟ » وأبدت اشارة تشمل رجلها المتضررة والمرضى الآخرين ومدينة هيروشيما بأكملها .

فقال الأب كلاينسورج : « يا بنيتى ! إن الانسان ليس الآن فى الحالة التى أراد الرب أن يكون عليها ؛ فهو قد أبعد من رحمة الله بسبب الخطيئة » ، وأخذ يبدى أسباباً وتأو يلات لجميع الأمور .

علمت السيدة نكامورا أن نجاراً فى كابى يبنى أكواخاً من الخشب فى هيروشيما ويؤجرها بسعر قدره خمسون ين فى الشهر ، وهذا يعادل ٣,٣٣ دولار بالسعر المحدد للعملة وكانت قد فقدت وثائق أسهمها وغيرها مما ادخرته أثناء الحرب ، ولكنها لحسن الحظ كانت قد قيدت أرقامها فى قائمة قبل القنبلة ببضعة أيام ، ونقلت هذه القائمة إلى كابى . فلما نما شعرها واستطاعت أن تظهر ذهبت إلى مصرفها فى هيروشيما ، فأنبأها أحد موظفيه بعد أن راجع الأرقام على سجلات البنك أن المصرف على استعداد لرد أموالها . و بمجرد أن استردت هذه الأموال استأجرت كوخاً من أكواخ النجار وكان فى نوبورى تشو على مقربة من مكان بيتها السابق . ومع أنه كان مظلماً من الداخل وأرضه من التراب فهو على أية حال دار فى هيروشيما تغنيها عن إحسان أخت زوجها . وفى أثناء الربيع أزالت بعض الحطام المجاورة وزرعت حديقة خضراوات . وكانت تطهى طعامها وتأكل فى آنية وأطباق أخرجتها من الأنقاض . وأرسلت طفلتها ميكو إلى مدرسة الأطفال التى أعاد اليسوعيون فتحها ، وكان الطفلان الكبيران يذهبان إلى مدرسة نوبورى تشو الابتدائية . وكانت هذه المدرسة لا تجد بناء ، فأخذت تلقى الدروس فى الهواء الطلق . وكان الابن توشيو يريد أن يدرس ليكون ميكانيكياً مثل بطله هيديو أو ساكى . وقد ارتفعت الأسعار ، فلم يأت منتصف الصيف حتى كانت السيدة نكامورا قد أتت على ما ادخرته ، فباعت بعض ملابسها لتدبير الطعام ، وكانت لديها فى وقت ما عدة ثياب ثمينة من نوع الكيمونو ، ولكن أحدها سرق فى أثناء الحرب ، وأعطت ثوبا أختاً لها فقدت ملابسها فى ضرب مدينة توكوياما ، وفقدت اثنين عند إلقاء القنبلة فى هيروشيما ، والآن باعت آخر ثوب بقى لها فلم يأتها من هذا البيع غير مائة ين لم تستمر طويلا . وفى يونيه ذهبت إلى الأب كلاينسورج تسأله أن ينصح لها كيف تدبر أمورها ، وفى أوائل أغسطس كانت لا تزال تفكر فى الطريقتين اللتين أشار بهما : أن تعمل خادماً لدى بعض قوات الحلفاء المحتلة ، أو تقترض

من أقاربها نحو خمسمائة ين ، أو ما يزيد على ثلاثين دولارا بقليل ، وهو مبلغ يكفى لاصلاح آلة الحياكة التى علاها الصدأ واستئناف عملها فى الحياكة .

عندما عاد مستر تانيموتو من شكوكو نصب خيمة كان يمتلكها على سقف البيت الذى به إصابات سيئة والذى استأجره فى أوشيدا ، و كان السقف لا يزال مثقوباً ، ولكنه كان يقيم صلواته فى الحجرة الكبيرة المتأثرة بالرطوبة . وأخذ يفكر فى جمع تبرعات لاعادة بناء كنيسته فى المدينة ، وارتبط بأواصر الصداقة مع الأب كلاينسورج ، وصار يختلف إلى اليسوعيين ، وكان يحسدهم على ثراء كنيستهم وكأنهم قادرون على أن يفعلوا كل ما يريدونه ، أما هو فلم يكن يملك إلا نشاطه ولم يعد هذا النشاط مثل ما كان عليه .

وكانت جمعية اليسوعيين هى أول هيئة بدأت تبنى داراً ثابتة بعض الشئ فى خرائب هيروشيما . وقد بدءوا فى ذلك حين كان الأب كلاينسورج فى المستشفى ، و بمجرد أن عاد سكن فى هذه الدار . واتفق هو وقس آخر — الأب لادرمان الذى انضم إلى البعثة — على أن يشتريا ثلاثة من تلك المعسكرات المرسومة التى كانت المدينة تبيعها ، وثمن الواحد منها سبعة آلاف ين وضما اثنين منهما بعضهما إلى بعض وأنشآ منهما كنيسة صغيرة جميلة ، وكانا يأكلان فى الثالثة . وحينما توافرت مواد البناء كلف اليسوعيون مقاولا بأن يبنى داراً للبعثة من ثلاث طبقات تكون مماثلة تماماً للدار التى دمرتها الغارة ، وأخذ النجارون يشتغلون فى أرض البناء قاطعين الأخشاب وناشرين الحواجز ومشكلين الجوانب وصانعين العشرات من الروابط الخشبية ، وقد فتحوا لها ثغرات فى الخشب حتى صارت أجزاء الدار جميعاً كومة نظيفة ، ثم أقاموا البناء كله فى ثلاثة أيام كما تقام لعبة الأطفال المعروفة باللغز الشرقى دون أن تكون هنالك أية مسامير . وكان الأب كلاينسورج يجد من الصعب أن يكون محتاطاً وأن ينام بالنهار ، كما نصحه دكتور فوجيى ، وكان يخرج كل يوم سيراً على الأقدام لزيارة الكاثوليك من اليابانيين وزيارة الذين يأمل فى إقناعهم بالعقيدة الكاثوليكية . و بمرور الشهور أخذ يشعر بتزايد التعب . وفى يونية قرأ مقالاً فى جريدة شوجوكو التى تصدر فى هيروشيما تحذر الأحياء من العمل المرهق — ولكن ماذا يعمل ! ولم يقبل شهر يولية حتى كان التعب قد نال منه .

وفى أوائل أغسطس فى نحو ذكرى إلقاء القنبلة عاد إلى المستشفى الكاثوليكى الدولى فى طوكيو ليرتاح شهراً .

قد تكون إجابات الأب كلاينسورج على أسئلة الآنسة سازاكى عن الحياة حقائق نهائية ومطلقة وقد لا تكون ، ولكن يظهر أنها استمدت من هذه الإجابات قوة جسمية جديدة . ولاحظ دكتور سازاكى هذا الأمر فهنأ الأب كلاينسورج ، ولم يأت يوم ١٥ أبريل حتى كانت حرارتها طبيعية ، وعدد الكرات البيضاء طبيعيا ، وأخذ الصديد يقل فى الجرح . وفى يوم ٢٠ من ذاك الشهر لم يكد يبقى منه شئ . ولأول مرة سارت فى الماشى متكئة على عكازين ، وابتدأ الجرح يلتئم بعد خمسة أيام . وفى آخر يوم من ذلك الشهر برحت المستشفى .

وفى أوائل الصيف استعدت لاعتناق الديانة المسيحية الكاثوليكية ، وكانت فى تلك الفترة يتعاورها الأمل واليأس ، وكانت لحظات اليأس عميقة . فهى تعلم أنها ستظل عاجزة أبداً ، ولم يأت خطيبها قط ، ولم يبق لها ماتعمله إلا القراءة وأن تشرف من دارها بجانب تل كوى على خرائب المدينة التى هلك فيها أبوها وأمها وأخوها . وصارت عصبية ، فاذا حدثت ضجة مفاجئة رفعت يديها فى الحال إلى حلقها . وكانت رجلها لا تزال تؤلمها ، فكانت لاتنفك تدلكها كثيراً وتربت عليها كأنما هى تعزيها .

لم يعد مستشفى الصليب الأحمر إلى حالته العادية قبل مرور ستة أشهر ، ولم يعد الدكتور سازاكى إلى حالته إلا بعد مدة أطول من ذلك . وكان المستشفى يظلع فى سيره على مولد كهربائى من مولدات الجيش اليابانى ، وضعه فى الفناء الخلفى ، إلى أن أعيدت محطة توليد القوة الكهربائية بالمدينة . وكانت مناضد العمليات وآلات أشعة إكس وكراسى علاج الأسنان وكل ماهو معقد وضرورى من أدوات ، قد جاءت شيئاً فشيئاً هبة من مدن أخرى . ويعتبر الوجه فى اليابان شيئاً هاما حتى فى المعاهد . ولذلك بدأ مديرو المستشفى حتى قبل العودة إلى مستواه فى أجهزته الطبية الأساسية فأقاموا واجهة جديدة من الآجر الأصفر اللامع ، فصار أجمل بناء فى هورشيما ، إذا رئى من الشارع .

وكان الدكتور سازاكى فى الاشهر الأربعة الأولى ، الجراح الوحيد فى المستشفى فلم يغادره قط. ثم أخذ يعود إلى الاهتمام بحياته الخاصة ، فتزوج فى شهر مارس وعاد إليه بعض ما نقص من وزنه ، ولكن شهيته للطعام ظلت ضعيفة . وكان قبل إلقاء القنبلة يأكل أربع كرات من الأرز فى الأكلة. أما بعد ذلك بسنة فكان لا يستطيع أن يأكل أكثر من كرتين من الأرز . وكان يشعر بالتعب طول الوقت على أنه قال : « ولكننى على يقين بأن السكان جميعاً متعبون . »

بعد سنة من إلقاء القنبلة صارت الآنسة سازاكى من ذوى العاهات ،والسيدة نكامورا معدمة ، والأب كلاينسورج فى المستشفى ، ودكتور سازاكى غير قادر على العمل كما كان يفعل من قبل ، ودكتور فوجى قد فقد المستشفى ذا الثلاثين حجرة الذى عمل سنين فى إنشائه ، وكنيسة مستر تانيموتو قد تخربت ولم يعد هو إلى ما كان فيه من حيوية . فحياة هؤلاء الستة الذين يعدون من أسعد أهل هيروشيما حظا ، لن تكون كما كانت ، ولم يكونوا فيما مر من محن ولا فى استعمال القنبلة الذرية على رأى واحد . ولكن يظهر أنهم كانوا مشتركين فى شعور واحد ، هو نوع عجيب من روح الجماعة فيه شئ من الزهو يقارب شعور أهل لندن بعد الهجوم الجوى الخاطف عليها ، هو افتخارهم بالطريقة التى واجهوا بها هم وزملاؤهم من الأحياء تلك المحنة الفظيعة .

ولقد كتب مستر تانيموتو قبل ذكرى هذا الحادث بقليل إلى أحد الأمريكيين رسالة فيها عبارات تدل على هذا الشعور : « ياله من منظر كئيب كان فى الليلة الأولى ! لقد نزلت فى نحو منتصف الليل إلى شاطئ النهر ، وكان عدد الراقدين على الأرض كبيراً حتى إنى لم أستطع أن أشق طريقى إلا بأن أطأ بعضهم ، وكنت أكرر « معذرة » وأنا حامل آنية مليئة بالماء ، وأقدم كوباً منه لكل واحد منهم . فكانوا يرفعون أجسامهم فى بطء ويتقبلون الكوب فى انحناء ويشربون فى هدوء ويريقون ماتبقى ويعيدون إلىّ الكوب وهم يعربون قلبيا عن شكرهم . وقد قال أحدهم : « إنى لم أستطع مساعدة أختى التى كانت دفينة تحت أنقاض الدار لأنه كان على أن أساعد أمى التى جرحت جرحاً عميقاً فوق عينها . ولم تلبث الدار أن اشتعلت بها النيران ولم نكد ننجو . أنظر ! لقد فقدت دارى وأسرتى وأصبت أخيراً إصابات شديدة ، ولكنى لاأزال

محتفظاً بعقلى ، لكى أهب ما لدى لاتمام الحرب فى سبيل بلادنا ». هكذا كانوا يقولون لى حتى النساء والأطفال كانوا يفعلون مثل هذا . ولما كنت قد تعبت تعباً شديداً فقد ارتميت بينهم على الأرض ، ولكنى لم أستطع النوم مطلقاً . وفى الصباح التالى ألفيت الكثير من الرجال الذين أعطيتهم الماء فى الليلة السابقة قد ماتوا. على أن ما أثار دهشتى الكبيرة أنى لم أسمع أحداً منهم يصرخ فى جزع واضطراب مع أنهم كانوا يتألمون ألماً مبرحاً ، وماتوا ساكتين غير ساخطين . وقد أطبقوا أسنانهم ليتحملوا هذا الألم ، كل هذا من أجل الوطن!

« لقد دفنت القنبلة الدكتور هيرايوا الأستاذ بجامعة هيروشيما للآداب والعلوم وأحد أعضاء كنيستى ، تحت منزله المؤلف من طابقين ومعه ابنه الطالب فى جامعة طوكيو ، وكان الاثنان لا يستطيعان التحرك قيد أنملة إذ كان عليهما ضغط كبير ، ثم شبت النار فى البيت ، فقال الابن : « ليس أمامنا يا أبت إلا أن نوطن أنفسنا على تقديم حياتنا فى سبيل الوطن ، فلنرفع بنزاى (التحية) للامبراطور . » فتبع الأب ابنه :« تينو هايكا ، بنزاى ، بنزاى ، بنزاى ! » ويقول دكتور هيرايوا من العجيب أنى شعرت أخيراً بالهدوء وبالانتعاش وامتلأ قلبى بروح السلام عند ما رددت بنزاى للامبراطور . وحدث بعد ذلك أن استطاع الابن الخروج وظل يحفر حتى أخرج أباه ، وهكذا أنقذا . ويكرر دكتور هيرايوا حين يفكر فى محنة ذلك الزمن : « ما أسعدنا إذ نحن يابانيون ! فتلك أول مرة تنسمت فيها رَوْحاً جميلا عند ما اعتزمت أن أموت فى سبيل إمبراطورنا . »

« وكانت الآنسة كايوكو نبوتوكى ، وهى طالبة بهيروشيما جازابوين مدرسة البنات العالية وإحدى بنات كنيستى ، تستريح مع صديقاتها إلى جانب السور الثقيل للمعبد البوذى . وعندما ألقيت القنبلة سقط عليهن السور . وكن لا يستطعن أن يتحركن تحت هذا السور الثقيل ، ثم نفذ الدخان من الشقوق واختنقت أنفاسهن . فأخذت إحدى البنات تغنى كيمى جايو النشيد الوطنى . وشاركها الأخريات فى الغناء ومتن معاً . إلا أن واحدة منهن وجدت ثغرة وحاولت جهدها أن تخرج . ولما حملت إلى مستشفى الصليب الأحمر ذكرت كيف ماتت صديقاتها ، وكيف كن ينشدن معاً النشيد الوطنى . وكانت أعمارهن لا تتجاوز الثالثة عشرة .

« أجل إن أهل هيروشيما ماتوا ميتة الرجال عند ضربها بالقنبلة الذرية وهم يعتقدون أنهم يموتون من أجل الامبراطور . »

وقد ظل عدد كبير يدعو إلى الدهشة من أهل هيروشيما لا يكترثون للناحية الأخلاقية فى استعمال القنبلة . ومن المحتمل أنهم ذعروا من هذه القنبلة حتى أصبحوا لا يريدون مجرد التفكير فى أمرها ، بل لم يهتم إلا القليل منهم بمعرفة شكلها . ويمكن أن تتخذ فكرة السيدة نكامورا عنها — وخوفها منها — مثالا لذلك . فهى تقول حين تسأل عنها : إن القنبلة الذرية فى حجم علبة عيدان الكبريت ، وكانت حرارتها تبلغ ستة آلاف مرة حرارة الشمس ، وقد انفجرت فى الهواء وفيها شئ من الراديوم ، ولا أعلم تماماً كيف تعمل ، ولكن عندما يختلط الراديوم بنفسه تنفجر القنبلة . وكانت تقول إذا ما سئلت عن استعمالها : إنها الحرب ويجب أن نتوقعها ، ثم تضيف إلى ذلك قولها : « شيكاتا جاناى » وهى عبارة يابانية تجرى بها ألسنتهم فى العادة ، وهى تشبه كلمة « نيشفيو » الروسية أى : مالم يمكن تلافيه ، فليكن ، إنه أمر سئ . وقال الدكتور فوجى مثل هذا تقريباً عن استعمال القنبلة للأب كلاينسورج ذات مساء إذ قال له بالألمانية : « ليس لدينا مما نستطيع أن نعمله . »

على أن عدداً كبيراً من أهل هيروشيما ظل يكره الأمريكيين كراهة لا تمحوها الأيام . وقال الدكتور سازاكى مرة : « أراهم يحاكمون مجرمى الحرب فى طوكيو الآن ، وأظن أنه يجب أن يحاكموا الرجال الذين قرروا استعمال القنبلة ويقتلوهم جميعاً . »

وكان الأب كلاينسورج وغيره من القسس اليسوعيين الألمان ، وهم أجانب فينتظر أن يكون حكمهم سليما بعض الشئ ، كثيراً مايتناقشون فى الناحية الأخلاقية لاستعمال القنبلة . وكتب أحدهم إلى الكرسى البابوى فى روما وهو الأب سيمس ، وكان متغيباً فى نجاتسوكا عند إلقاء القنبلة : « يرى بعضنا أن القنبلة هى من طبقة الغاز الخانق وهم يعارضون فى استعمالها ضد الأهالى من المدنيين ؛ ويرى بعضنا أنه فى الحرب الاجماعية كما هى الحال فى اليابان لا يجب التمييز بين المدنيين والعسكريين ، وأن القنبلة هى قوة فعالة تؤدى إلى إنهاء إراقة الدماء وتنذر اليابان بالتسليم لتتقى الدمار الكلى . وقد يكون

من المعقول أن الذى يؤيد الحرب الاجماعية فى المبدأ لا ينبغى له أن يشكو حين تصيب المدنيين . والعقدة فى المسألة هى مشروعية الحرب الاجماعية بصورتها الحاضرة ولو كانت فى سبيل الحق . أليست لها مضار مادية وروحية تزيد على ماينتظر منها من خير ؟ ومتى يمدنا الباحثون فى الأخلاق بالجواب الواضح عن هذه المسألة ؟ »

قد يكون من المستحيل معرفة الفظائع التى نقشت فى عقول الأطفال الذين عاشوا فى يوم إلقاء القنبلة على هيروشيما . لقد كانت ذكرياتهم فى مظهرها بعد أشهر من هذه الكارثة عبارة عن مغامرة عجيبة . فمثلا توشيو نكامورا الذى كان فى العاشرة من عمره عند إلقاء القنبلة كان يستطيع أن يتكلم عن هذه المحنة فى حرية بل فى مرح ، وكتب قبل بضعة أسابيع من يوم الذكرى موضوعا إنشائياً صريحاً ، لمدرسه فى مدرسة نبورى تشو الابتدائية وفيه يقول : « ذهبت فى اليوم السابق للقنبلة للسباحة فى الماء . وفى صباح ذاك اليوم كنت آكل شيئاً من الفول السودانى فرأيت ضوءاً وقد ارتطمت بالمكان الذى كانت تنام فيه أختى الصغيرة . ولما أنقذنا لم أكن أرى إلى أبعد من الترام . وأخذت أنا وأمى نجمع حاجاتنا . وكان الجيران يسيرون حولنا وهم حرقى تنزف منهم الدماء . وطلبت منى هاتايا سان أن أفر معها ، فقلت إنى أريد أن أنتظر أمى . وذهبنا إلى الحديقة . وجاءت عاصفة وفى الليل احترق خزان للبترول . ورأيت انعكاس ضوئه فى النهر . ولازمنا الحديقة ليلة . وفى اليوم التالى ذهبنا إلى جسر تايكو وقابلنا صديقتىّ كيكوكى وموراكامى وهما تبحثان عن أخيهما ولكن كانت أم كيكوكى جريحة . أما أم موراكامى فقد ماتت ويا للأسف » .

فى هيئة الامم المتحدة

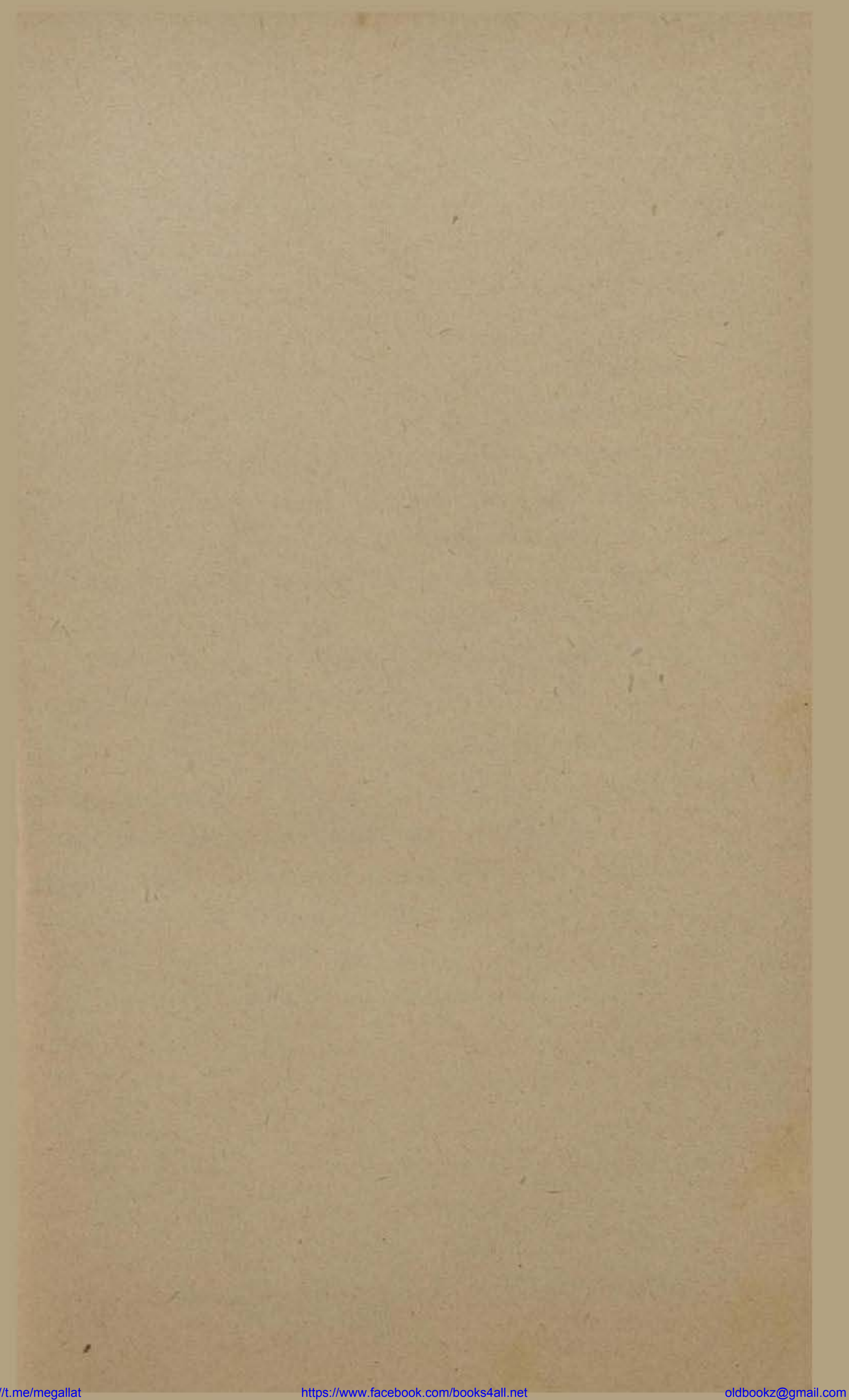
الطاقة الذرية والإشراف عليها

كان استعمال القنبلة الذرية نذيراً بالشر للانسانية . فهنالك جماعة من الدول تملك سر هذا السلاح الهائل ، بل يمكن أن يقال إن هنالك دولة واحدة تملك السر بأكمله . وامتلاك هذا السر مما يهدد الدول الأخرى . بالخطر ؛ فهو مبعث شك لدى الدول الأخرى التى لا تعرف السر . ولوأذيع السر لتضافرت الدول فى الانتفاع بهذا الكشف العلمى العظيم ، ليعم النفع ويعود بالخير على الانسانية ، ولما كانت هنالك ضمانات تكفل ألا يساء استعمال هذه القوة .

لذلك ألفت لجنة تابعة لهيئة الأمم المتحدة لبحث المشاكل الناشئة عن الطاقة الذرية والسيطرة عليها . وهذه اللجنة مازالت تسير على مهل وسط المصاعب . أما تاريخ تأليفها وما بذل من جهود حتى الآن فاننا نؤثر أن ننقل بحثاً للأستاذ شوتويل الأمريكى رئيس اللجنة التى ألفها معهد كارنجى ، وهو معهد يعمل فى سبيل السلم : (١)

ابتدأ تاريخ السيطرة الدولية على الطاقة الذرية بأن فرضت على الأمة التى اخترعت القنبلة اتجاهاً خاصاً لسياستها . ولكن الولايات المتحدة لم تحاول فى مبدأ الأمر التعاون فى ذلك مع الحكومات الأخرى إلى اليوم السابع والعشرين من شهر أكتوبر سنة ١٩٤٥ ، حين أعلن الرئيس ترومان برنامج الحكومة فى ذلك . وقد تحدث الرئيس بمناسبة يوم البحرية ، فأكد الحاجة المستمرة إلى التسلح الدولى ، ثم أعرب عن اهتمامه بمعالجة المشاكل الدولية ، « بأكثر سرعة وبأشد عزماً وبأكبر دراية » مما حدث فى الماضى . وقال إن الجواب على المشاكل التى نشأت عن إطلاق الطاقة الذرية يجب أن يدبر ، « بالاشتراك » مع شعوب الأمم المتحدة

(١) أنظر *International Conciliation*, Carnegie Endowment, September 1946



جميعاً . ولما كان نظام الأمم المتحدة لم يتم وقتئذ ، فان الولايات المتحدة ستقدم على البحث فى أمر القنبلة الذرية مع بريطانيا العظمى وكندا أولا ، توفيراً للوقت وضماناً للتقدم فى تنظيم السيطرة عليها . وستكون هذه المفاوضات مقدمة لغيرها .

ثم أشار إشارة مقنعة ، إلى التفكير فى المفاوضة مع اتحاد الجمهوريات السوفيتية أيضاً ، قبل اجتماع الأمم المتحدة فى يناير سنة ١٩٤٦ ؛ وقد نفذ هذا القول فى مؤتمر موسكو الذى اجتمعت فيه الدول الثلاث الكبرى من ١٦ إلى ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٤٥ .

وكانت الخطوة الأولى فى تنفيذ هذا البرنامج اجتماع وزيرى خارجيتى بريطانيا وكندا ، وهما مستر أتلى ومستر كنج ، بالرئيس ترومان بواشنطون فى الأسبوع الثانى من نوفمبر سنة ١٩٤٥ . وفى هذا المؤتمر رسم خط واضح بين تبادل المعلومات العلمية تبادلا حرا لأغراض سلمية ، وبين « إذاعة المعلومات بين المختصين لاستعمال الطاقة الذرية استعمالا عملياً قبل تدبير ضمانات لاستعمالها ، بحيث تكون الضمانات فعالة ومتبادلة وتنفذ على جميع الأمم وتقبلها هذه الأمم » . وهذا التمييز بين النوعين وضعت له عدة اقتراحات لتقدم إلى هيئة الأمم المتحدة. وأول هذه المقترحات يقضى بأن تتبادل المعلومات العلمية الأساسية لأغراض سلمية بين الدول على نطاق واسع . أما الاقتراح الثانى فيقضى بطبيعة الحال « بالاشراف على الطاقة الذرية إلى الحد الضرورى لضمان استعمالها فى أغراض سلمية فقط » . ويعالج الاقتراح الثالث القسم الآخر من المشكلة ؛ فهو ينص على « أن يحرم فى التسليح الدولى استعمال الأسلحة الذرية وغيرها من الأسلحة الكبرى التى تستعمل فى الفتك بجماهير من الناس . » وذكر بعد هذا التحريم طرق « اتخاذ ضمانات فعالة عن طريق التفتيش وغيره من الوسائل لحماية الدول الموافقة على هذه الاتفاقات من أخطار خرق النظم أو الاحتيال عليها » .

ويسير العمل لتحقيق هذه الأغراض بما يوافق طبيعة المشاكل التى ذكرت ؛ إذ يجب أن يسير عمل اللجنة على أطوار منفصلة ؛ ونجاحها فى إتمام أى طور منها سيبعث الثقة الضرورية فى العالم قبل أن تبدأ فى الطور التالى .

فهذا البرنامج الذى وضع فى مؤتمر واشنطون ، ووفق عليه حرفياً فى مؤتمر موسكو الذى عقد بعد ذلك بشهر واحد ،

قد صارت محتوياته هى النصوص التى ترجع إليها لجنة الأمم المتحدة .

على أنه كان فى بلاغ مؤتمر واشنطون عبارة لم تتكرر فى بلاغ مؤتمر موسكو ولا فى الوثائق التالية . فقد أوضح بلاغ مؤتمر واشنطون الأطوار المختلفة التى تسلكها اللجنة فى عملها ، وذكر فى عبارات عامة ترتيب هذه الأطوار الذى يجب أن تتبعه اللجنة :

« ويمكن أن يقال تحديداً بأن على اللجنة أن تهتم أولا بتبادل العلماء والمعلومات العلمية على نطاق واسع . وفى الطور الثانى تهتم بجمع معلومات كاملة عن الموارد الوطنية للمواد الخام . »

وهذا الترتيب المقترح فى بلاغ مؤتمر واشنطون للسير فى طريق التعاون الدولى للاشراف على الطاقة الذرية ، أشير إليه أيضاً فى النصوص المتقدمة على هذا النص فى هذه الوثيقة . ففيها يعلن رؤساء الحكومات الثلاث أنهم « ليسوا مقتنعين بأن إذاعة معلومات المختصين فيما يتعلق بالاستعمال العملى للطاقة الذرية ، قبل وضع ضمانات فعالة ومتبادلة ونافذة تقبلها جميع الأمم ، مما يساعد على الوصول إلى حل انشائى لمشكلة القنبلة الذرية » . ومع ذلك أعرب المجتمعون فى المؤتمر عن استعدادهم لإشراك الدول المتحدة الأخرى على أساس التبادل ، فى المعلومات التفصيلية عن الاستعمال العملى للذرة ، بمجرد وضع الضمانات الفعالة النافذة لكيلا تستعمل فى أغراض « تدميرية » . ولم يعترض رئيسا وزارتى بريطانيا وكندا على هذا الاجراء لأنهما كانا مقتنعين بأن حكومة الولايات المتحدة لا تسىء استعمال « السر » خلال الفترة التى يجرى فيها تبادل المعلومات . ولكن ظهر فيما بعد واضحاً للعيان أن روسيا السوفيتية لا تشاطرهما كل هذه الثقة .

وقد كان الغرض من مؤتمر موسكو الذى عقد بعد مؤتمر واشنطون بشهر واحد ، واجتمع فيه وزراء خارجية جمهوريات الاتحاد السوفيتى و بريطانيا والولايات المتحدة ، البحث فى معاهدات الصلح فى شرق أوربا وشرق آسيا ، ولم يتناول المؤتمر مسألة الطاقة الذرية إلا فى نهاية عمله .

على أنه لم يبد خلاف خطير أو آراء متعارضة عند ما فحص مسيو مولوتوف وأعوانه نتائج مؤتمر واشنطون . وكانت هذه هى على الأقل الفكرة التى خرج بها مستر بيرنز وزير خارجية الولايات المتحدة ؛ إذ ألقى بعد عودته من موسكو تصريحاً عاما

فى ٣٠ ديسمبر وصف فيه تفصيلات هـــذه المفاوضات :

« لقد ذهبنا نحن والبريطانيون إلى موسكو بمقترحات محدودة هى : أن تؤلف هيئة الأمم لجنة للبحث فى الطاقة الذرية والأمور المتعلقة بها ، بناء على التصريح الذى أعلنه رئيس الولايات المتحدة ووزيرا خارجية بريطانيا وكندا فى مؤتمر واشنطون . ولقد وضع هــذا الاقتراح فى آخر قائمة أعمال المؤتمر الحاضر بناء على طلب حكومة السوفييت . وكانت المناقشات مقصورة على هذا الاقتراح ولم تتعرض للمسائل الفنية والعلمية قط . ولم تسألنا حكومة السوفييت قط عن السلاح الجديد . وكنت سعيداً إذ وجدت أن حكومة السوفييت تشعر كما نشعر بأن هــذا السلاح الخاص يحدث بطبيعته ثورة ، حتى صار من الضرورى البحث فى طرق للاشراف الدولى عليه بلجنة تؤلف من الأمم المتحدة .

« ويجب أن يكون من المفهوم أن واجب اللجنة هو البحث فى المشاكل التى تنشأ عن كشف الطاقة الذرية وما يتصل بها ، وأن تضع المقترحات الخاصة بذلك . وليس لمجلس الأمن ولا للجنة السلطة فى أن تفرض عـلى الحكومات العمل بمقترحاتها .

«ولا يقصد بذكر الأغراض الأربعة التى وضعت فى قرار إنشاء اللجنة أن تدل على ترتيب بحثها . ومن المفهوم البين بوجه خاص أن مسألة الضمانات تنطبق على مقترحات اللجنة فى أى وجه من الوجوه ، وفى أى دور من أدوارها. والواقع أن أساس المسألة بأكملها هو وضع الضمانات الضرورية .

« ولا ينتظر أن نشارك نحن أو أية أمة أخرى فيما لدينا من أسرار التسليح حتى نتأكد من وضع ضمانات فعالة من شأنها أن تؤدى إلى حمايتنا المتبــادلة .

« ولم تدخل حكومة السوفييت غير تعديلات قليلة على المقترحات التى قدمناها . وترمى هذه التعديلات إلى إيضاح علاقات اللجنة بمجلس الامن ، وقد قبلنا هذه التعديلات بعد مراجعة بعضها .

«وإذا فحصت هذه التعديلات بدقة فانه يتبين أنها لا ترمى إلى أكثر من تمكين مجلس الأمن من أن يقوم بتبعاته الأولى فى المحافظة على السلم والأمن .

« ويمكن مجلس الأمن أن يوجه اللجنة ويمنع نشر التقارير التى قد تضر بالسلم والأمن ، على أن يكون هذا الاجراء بموافقة جميع أعضائه

الدائمين . وإذا عجز مجلس الأمن عن العمل فذلك لا يقف عمل اللجنة .

«وقد دعت الحكومات الثلاث كلا من فرنسا والصين وكندا للاشتراك معناً فى تقديم هذه المقترحات للجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة . »

ومع ذلك فقد أعرب عدد من أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكى قبل عودة مستر بيرنز إلى واشنطون ، عن اهتمامهم بالبرنامج الذى وضع فى موسكو ، خشية ألا يكون فيه الضمان الكافى لحماية سر السلاح الذرى ؛ إذ لم ترد إشارة مباشرة لهذا الجزء الأساسى من المشكلة فى بلاغ موسكو.

ولكنهم بعد الاتصال بالرئيس ترومان ووكيل الخارجية اتشسون ، سمعوا ما أرضاهم ، وأذاع السناتور فاندنبرج التصريح الآتى :

« لا أستطيع أن أوافق على تناول المشكلة فى أدوار منفصلة غير متصلة ، وإنى بوجه خاص أعتقد بما أظن أنه الرأى السائد فى دوائر البرلمان الأمريكى ، وهو أن أية إذاعة لسر القنبلة الذرية يجب أن يكون جزءاً من مشروع كامل يقضى بالتفتيش والاشراف فى جميع أنحاء العالم .

لذلك حاولت أن أحصل على أنباء إضافية رسمية اليوم فيما يتعلق بالبرنامج الذى أعلن فى بلاغ موسكو .

« فعلمت من وزارة الخارجية أنه إذا كان البلاغ قد وضع أربعة أغراض ذاكراً أن الغرض الأخير هو التفتيش والاشراف ، فانه لم يكن يرمى إلى تناول هذه الأغراض بالترتيب الذى ذكر ، بل يجب أن تقرأ هذه الأغراض معاً ، وأن يتم كل منها مع الضمانات الضرورية ، وكل ذلك يكون خاضعاً لموافقة البرلمان الأمريكى . »

وعاد مستر بيرنز إلى الموضوع نفسه فى ٧ يناير وهو على أهبة الرحيل لاجتماع تعقده الأمم المتحدة فى لندن ، فأبدى تأكيدات تبعث على زيادة الاطمئنان . وهذا نص تصريحه :

« إن مقترحاتنا بشأن الاشراف على الطاقة الذرية ستحال بلا ريب كما هى العادة على لجنة فرعية . وسيكون لدى ممثلنا الوقت الكافى للتأكد من عدم وجود أى لبس بالنسبة لأغراض اللجنة ودائرتها وسلطتها .

« ووجوه المشكلة التى يجب أن تفحصها اللجنة هى الوجوه التى

نشأت عن كشف الطاقة الذرية المشار إليها فى العبارة الأولى من المقترحات . فالمشكلة المشار إليها ليست هى كيف تعمل الطاقة الذرية و إنما هى كيف يكون الاشراف عليها فى سبيل خدمة السلم . ولست أدرى كيف يمكن تفسير العبارة التى استعملت بحيث يكون للجنة السلطة فى الوقوف على المعلومات غير المعروفة عامة ، أو المعلومات التى تمد بها عن طيبة خاطر .

« وليس فى ميثاق الأمم المتحدة مايمنح الجمعية العمومية أو اللجنة التى تنشئها السلطة بأن تفرض على أية دولة عملا ما . ولغة المقترحات تبين فى وضوح أن ليس للجنة إلا أن تبدى مقترحات فقط حتى فى موضوع تبادل المعلومات العلمية الأساسية لأغراض سلمية .

«و إذا كان للوفد الذى يمثلنا فى الجمعية العمومية بهيئة الأمم أن يؤيد تأليف لجنة لدراسة المشاكل الدولية التى نشأت عن كشف الطاقة الذرية ، فليس هذا مما يخول هذه اللجنة السلطة فى تقرير نوع المعلومات التى تضعها الولايات المتحدة أو أية دولة أخرى تحت تصرف اللجنة .

« فاذا اقترحت اللجنة الممثلة فيها الولايات المتحدة تبادل معلومات معينة فان هذا الاقتراح يعرض على مجلس الأمن . ولا ينفذ مجلس الأمن شيئاً إلا بموافقة الأعضاء الخمسة الدائمين ومنهم الولايات المتحدة . فلا يمكن إذن أن ينفذ اقتراح إلا بموافقة الولايات المتحدة .

« و إذا أقرت الولايات المتحدة الاقتراح ووافق عليه مجلس الأمن ، فانه يجب على حكومة الولايات المتحدة وعلى البرلمان الأمريكى أن يحددا إلى أى مدى ينفذ هذا الاقتراح . فاذا كان هذا العمل لا ينفذ إلا بمعاهدة فان ذلك يتطلب ثلثى أصوات أعضاء مجلس الشيوخ للموافقة على هذه المعاهدة . فيرى من مجموع هذه الأحوال أن مصالح الولايات المتحدة مصونة كل الصون . »

ويتبين من فحص هذا التصريح أن ترتيب سير العمل فى لجنة الطاقة الذرية اعتبر فى الظاهر أمراً ثانوياً فى مؤتمر واشنطون . وكان أهم ماعنى به الحصول على موافقة الحكومة السوفيتية على إنشاء لجنة الطاقة الذرية التابعة لمجلس أمن الأمم المتحدة . وكانت المناقشة قائمة على علاقة لجنة الطاقة الذرية بمجلس الأمن .

ولم يشر مستر بيرنز فى هـذا

التصريح إلى المشكلة الخاصة بما يجب أن تعالجه اللجنة من مسائل أولا. ومن الطبيعي أن يعتقد أنه من المسلم به أن وضع « ضمانات فعالة » يجب أن يسبق المشاركة « فى أسرار تسليحنا ». ولكن هذا التفسير لمفاوضات موسكو لم يكن هو التفسير الذى استنتجته الحكومة السوفيتية. ولقد ظلت هنالك مسألة لا جواب عليها، وهى: هل تكون الضمانات الفعالة كلها أو على الأقل الجزء الأكبر منها دولية؟ أم هل يبقى الجزء الأكبر منها تحت إشراف كل من الأمم الموقعة؟

إنشاء لجنة الطاقة الذرية للأمم المتحدة

لم يكن فى ميثاق الأمم المتحدة ما يدل على الطريقة المثلى لمعالجة الاشراف على الطاقة الذرية، إذ لم تكن هذه المشكلة قائمة عند وضع هذا الميثاق. ولم يكن العلماء المطلعون يومئذ على شئ من سر القنبلة الذرية، يعلمون أهم ينجحون أم لاينجحون، إلى أن حدثت تجربة الانفجار فى لوس ألاموس فى ١٦ يوليه سنة ١٩٤٥. وظل العالم فى جهل إلى ما بعد انفجار قنبلة هيروشيما فى ٥ (٦ أغسطس). لذلك كان على الأمم المتحدة أن تنشئ هيئات فرعية جديدة للاشراف على الطاقة الذرية، وأن تكون تابعة للهيئة القائمة بحيث تستطيع العمل تحت إشراف الجمعية العمومية ومجلس الأمن، ولها مع ذلك من الحرية فى العمل ما يمكنها من المراقبة الفعالة.

وقد نفذ مؤتمر موسكو إلى قلب المسألة بأن اعترف بالطبيعة الثنائية للاشراف الذى تقوم به الأمم المتحدة على الطاقة الذرية من حيث إنها سلاح حربى، ومن حيث إنها أداة للسلم ذات نفع لخير البشرية. وتعمل اللجنة بالضرورة على أنها هيئة من هيئات مجلس الأمن عندما تعالج الاشراف على الاستعمالات الخطيرة للطاقة الذرية أو القضاء عليها، ولكنها بالطبيعة تخدم أغراض الجمعية العمومية للأمم المتحدة والمجلس الاقتصادى، والاجتماعى حين تعمل لتقدم الاستعمالات السلمية للطاقة الذرية. وكان من المسلم به أن الحاجة الأولى الملحة هى القضاء على خطر السلاح الذرى وأن نشاطها الأول يكون على ذلك متعلقاً بمجلس الأمن.

ولكى يحقق هذا الغرض وضع مؤتمر موسكو ما يبدو من أول نظرة أنه إجراء معقد بعض الشيء؛ فقد أقرت الدول الثلاث فى المؤتمر — وهى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية والمملكة المتحدة، والولايات المتحدة — أن تتخذ الخطوة الأولى فى دعوة الدول الأخرى التى تتمتع بالعضوية الدائمة فى مجلس الأمن، وهى فرنسا والصين ومعهما كندا (لما كان لها من حظ فى التطورات الأولى لإخراج القوة الذرية) كى تؤيد اقتراحاً فى الاجتماع الأول لهيئة الأمم بانشاء لجنة القوة الذرية للأمم المتحدة. وبذلك يرجع الفضل فى إنشاء هذه اللجنة إلى الأمم المتحدة جميعها، لا إلى الدول الكبرى وحدها. ولكن يجب على اللجنة فى مجال العمل أن تقدم تقاريرها ومقترحاتها أولا لمجلس الأمن، وهو الذى يقرر ما يتخذ بشأنها وهل تبقى هذه التقارير والمقترحات سرية أوتنشر على الناس، وفى «الأحوال المناسبة يبلغ مجلس الأمن هذه التقارير للجمعية العمومية ولأعضاء الأمم المتحدة فضلا عن المجلس الاقتصادى والاجتماعى وغيرها من الهيئات الداخلة فى نظام هيئة الأمم المتحدة.» وهذه الاجراءات فى الحقيقة بسيطة نسبياً وإن كان من المحتمل أن يكون تنفيذها صعبا. فالاقتراحات ذات الصفة الحربية الخالصة تبقى من اختصاص مجلس الأمن وحده، أما غيرها من المقترحات فيمكن مناقشتة فى الهيئات المناسبة.

ولخص مستر بيرنز وزير الخارجية الطريقة التى عرضت بها قرارات مؤتمر موسكو على الاجتماع الأول للجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة فى تقريره إلى رئيس جمهورية الولايات المتحدة عن أعمال الوفد الأمريكى فى الجمعية العمومية:

«على أثر الاتفاق الذى تم فى ديسمبر سنة ١٩٤٥ بمؤتمر موسكو، حيث اجتمع وزراء خارجية المملكة المتحدة والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى، والمفاوضات التى تلته، قدمت الحكومة البريطانية بالنيابة عن الأعضاء الخمسة الدائمين فى مجلس الأمن وكندا، فى ٤ يناير، اقتراحاً بأن يوضع القرار الخاص بانشاء لجنة للاشراف على الطاقة الذرية واستعمالها، وهو الذى ووفق عليه فى موسكو، ضمن برنامج الجمعية العمومية.»

وأشار مستر أتلى إلى أهمية إنشاء هذه اللجنة المقترحة فى خطبته التى رحب فيها بالجمعية العمومية فى ١٠ يناير.

وقال مستر بيرنز رئيس وفد الولايات المتحدة فى افتتاح المناقشة العامة بشأن تقرير اللجنة التحضيرية فى الجلسة العامة التى عقدت فى ١٤ يناير ما يأتى:

« إن أمامنا واجبا آخر عظيم الشأن وهو إنشاء لجنة تبحث المشاكل التى نشأت عن كشف الطاقة الذرية وهى ذات اتصال وثيق بمشكلة الأمن. وهذه المسألة هى من أهم المسائل لدى الدول جميعاً . ويجب ألا نخفق فى إيجاد الضمانات الضرورية ، لنتأكد من أن هذا الكشف العظيم سيكون لخير الانسانية ، لا أداة عنيفة الفتك والتدمير فى حرب طاحنة . »

وقد قررت الجمعية العمومية إحالة هذا الاقتراح إلى لجنتها للسياسة والمحافظة على الأمن . وفحصت اللجنة هذا الاقتراح فى جلستها الثانية والثالثة فى ٢١ ، ٢٢ يناير ، وفتح المناقشة السناتور كونالى ممثل الولايات المتحدة فى اللجنة ، وفى آخر الاجتماع فى يوم ٢١ يناير تمت الموافقة عليه ، من غير تغيير ، بأصوات ستة وأربعين عضواً من المؤيدين ، ولم يعارض أحد ، وامتنع صوت واحد عن الاقتراع . وبعد مناقشة قصيرة فى اليوم التالى وافقت اللجنة الأولى فى ٢٣ يناير بالاجماع على تقرير المقرر بشأن إنشاء اللجنة .

وفى ٤ يناير وافقت الجمعية العمومية على التقرير والقرار الخاص بانشاء لجنة الطاقة الذرية ، ولم يعترض أحد عند أخذ الأصوات

تقرير ليلينثال

مضت عدة أشهر على إنشاء لجنة الأمم المتحدة للطاقة الذرية قبل أن تعين الدول الممثلة فى هذه اللجنة مندوبين لها . ولم يصدر الرئيس ترومان قراراً بتعيين مستر برنارد م. باروخ ممثلا للولايات المتحدة باللجنة إلا فى ١٨ مارس سنة ١٩٤٦ . وفى هذه الأثناء كانت حكومة الولايات المتحدة قد سارت خطوات بمشروعاتها التى ترمى إلى وضع برنامج للاشراف الدولى على الطاقة الذرية . ويقابل ذلك عمل لجنة مكماهون التى ألفها مجلس الشيوخ للاشراف الداخلى . وفى ٧ يناير ألف مستر بيرنز قبيل سفره إلى لندن لجنة حكومية للطاقة الذرية برياسة دين اتشسون وكيل الخارجية .

وأعضاء هذه اللجنة هم: دكتور فانيفر بوش، ودكتور جيمس كونانت من إدارة البحوث العلمية وتقدمها، وماجـور لزلى جروفز رئيس مشروع منهاتان وهى الادارة التى صنعت القنبلة، ومستر جون ماكلوى وزير الدفاع سابقاً.

وفى ٢٣ يناير عينت اللجنة هيئة استشارية أعضاؤها:

مستر دافيد ليلينثال رئيس سلطة وادى تنسى، وقد عين رئيس الهيئة الاستشارية.

مستر شستر برنارد رئيس شركة تليفونات بل بنيوجرسى.

مستر روبرت أوبنهايمر من المعهد الفنى بكاليفورنيا وجامعتها.

مستر شارلز ألن توماس وكيل رياسة شركة مونسانتو الكيميائية ومديرها الفنى.

مستر هارى ون وكيل رياسة شركة الكهرباء العامة ومدير سياستها الهندسية.

وقد نشرت الحكومة تقرير هذه الهيئة الاستشارية فى ١٦ مارس بمقدمة من وزير الخارجية أثنى فيها على «العمل الضخم الذى تدل عليه هذه الوثيقة والميزات العالية التى يتمتع بها الرجال المشتركون فيها». ثم قال إنها تعتبر «نقطة ابتداء صالحة للمناقشة العلنية بين ذوى الاختصاص، وهى من العوامل الضرورية للوصول إلى سياسة رشيدة. ولقد أعلنت هذه الوثيقة لا لتكون تصريحاً لسياسة بل لمجرد أن تكون أساساً للمناقشة». ومع هذا القول اعتبر «تقرير ليلينثال» بوجه عام أنه يحمل سلطة الحكومة، وهو أمر أدى إلى الانتقاص من حرية مستر باروخ فى اختيار المقترحات التى يعرضها على لجنة الأمم المتحدة.

وأهم ما جاء فى وثيقة ليلينثال هو الاقتراح بانشاء سلطة للتقدم الذرى، تمتلك جميع معدن اليورنيوم والثوريوم فى العالم، وتشرف على أنواع النشاط فيما يتعلق بصفاتها الاشعاعية. واختتم التقرير بقسم خاص بالانتقال من الحالة الحاضرة إلى الحالة التى يكون فيها لهذه السلطة الاشراف التام؛ فرسم سلسلة من الخطوات التى بها يحتفظ «بالتفوق الأمريكى الحاضر» فى حين تعمل الأمم الأخرى لحل المشاكل العلمية والصناعية المتعلقة بهذا الموضوع.

ويعترف التقرير بأن هذه المسائل تعد من «أعلى موضوعات السياسة العليا والعلاقات الدولية»، ولكنه يقترح أن تبدأ هذه السلطة عملها

بمسح جيولوجى للمواد الخام وغيره من المسائل العلمية والفنية وأن « السر » (على أن التقرير لم يستعمل هذه الكلمة) لا يكشف عنه إلا بعد قيام إشراف دولى فعال .

ويهمنا فى هذه المناسبة أن نلفت الأنظار إلى هذين المقترحين الهامين اللذين جاءا فى تقرير ليلينثال. ولكن المفاوضات الخاصة بالاشراف على الطاقة الذرية فى لجنة الأمم المتحدة تأثرت إلى حد كبير بهذه الوثيقة الهامة .

لجنة الأمم المتحدة فى العمل

عقدت لجنة الأمم المتحدة للطاقة الذرية بعد أن تم تأليفها اجتماعها الأول فى ١٤ ينايرسنة ١٩٤٦ بمركز مجلس الأمن بكلية هنتر بمدينة نيويورك . ومن الأمور ذات المغزى أن مندوبى الدول الاثنتى عشرة الممثلة فى اللجنة كانوا ، ما عدا قلائل ، من السياسيين أو رجال الأعمال لا من العلماء . وكانت المشكلة التى بحثوا فيها هى الأمن الدولى والحرب والسلم ، وكيف يكون الاشراف على القوة الذرية ، لا كيف يكون انتاجها .

وقد اتبعت التقاليد الديبلوماسية ، فتولى ممثل الولايات المتحدة رياسة اللجنة ، ثم صارت الرياسة تعقد بالدور لمدة شهر لممثلى الدول المختلفة حسب الترتيب الأبجدى لاسم الدول بقدر الامكان .

وقد شمل الخطاب الافتتاحى لمستر باروخ جميع ميدان الطاقة الذرية فى شرح واف وواضح . وهو خطاب سيكون له مكان بارز بين أدب المناقشات الدولية ، وقد حمل هذا الخطاب بالاذاعة اللاسلكية إلى سائر أنحاء العالم ، فكان نداء لضمير الانسانية يحوى إنذاراً لابد منه ، وهو أن تختار بين « السلم العالمى أو الدمار العالمى » :

« إننا نستطيع أن نقيم ضمانات وافية فى وجه رذائل الحرب، وهذا هو الهدف الذى نرمى إليه . ففى ميدان هذه النصوص التى نرسمها هنا ، سيجد من يريد البحث ، العناصر الأساسية لبلوغ غايتنا ، وسيرى غير هؤلاء فراغاً . أن كلامنا يحمل مرآته التى ينعكس عليها الأمل أواليأس الأكيد — الشجاعة أو الجبن .

«إن العالم اليوم يعانى القحط،وهو يجيع بطون الناس ؛ ولكن هنالك قحطاً أشد ، هو جوع العقول . وهذا الجوع يمكن علاجه بالتغلب على الخوف وأن يستبدل به الأمل الذى تنبثق منه العقيدة — عقيدة كل منا فى الآخر ، العقيدة بأن نعمل معاً فى سبيل النجاة والعزم على معاقبة الذين يهددون السلم والأمن . »

وقد وضع مستر باروخ مشروعاً من أربع عشرة نقطة عملية لضمان السيطرة الدولية على التقدم الذرى ، وهو مشروع فيه تفصيلات كثيرة فلا يمكن مناقشته هنا .

على أنه بوجه عام يشبه برنامج تقرير ليلينثال ، ولكن فيه مواد اقتبسها من مشروعات قدمتها هيئات غير رسمية ، ومن المناقشات العامة فى الولايات المتحدة أثناء الأشهر السابقة . فالسلطة الدولية للتقدم الذرى أشمل فى مقترحاته منها فى تقرير ليلينثال الذى أصر على القول بالتملك الدولى. على أن النقطة الأولى فى مشروع باروخ توسع هذا الفكرة حتى تجعلها تشمل جميع أنواع الاشراف : « وعلى السلطة أن تضع مشروعاً وافياً للاشراف على ميدان الطاقة الذرية الجديد بالوسائل العديدة ، من امتلاك وتسلط وترخيصات وإدارة وتفتيش وبحث وإدارة بوساطة موظفين كفاة . »
فأول عمل لهذه السلطة هو معرفة جميع موارد العالم من اليورانيوم والثوريوم ، وأن تحتكر احتكارا تاما جميع المواد المتفجرة ، وأن تشرف على البحث فى ميدان المتفجرات الذرية . وهى التى ترخص للسلطات الأخرى بالاستغلال السلمى غير الخطر . ويقضى المشروع بالتفتيش الدولى ، وبحرية الدخول لممثلى السلطة إلى أى جهة من جهات الدول فى الوقت الذى تراه السلطة ضروريا . ويجب تنفيذ النظام على أدوار . ولا تقوم الولايات المتحدة باذاعة ما لديها من معلومات ، ما عدا الضرورى لفهم المقترحات التى تؤيدها ، إلا بعد أن يسير مشروع الاشراف سيراً مرضياً .

ومما يعادل هذا البرنامج المؤلف من أربع عشرة نقطة فى الخطورة التصريح القاطع بأن قوة وقف القرارات التى منحتها الدول الكبرى فى مجلس الأمن ، لا تستعمل فى حالة اتهام أمة بأنها خرقت هذه المعاهدة ، بأن امتلكت أو استعملت قنبلة ذرية بطريقة غير مشروعة أو استعدت لصنع قنبلة ذرية. فيجب ألا يكون لأية أمة القدرة

على تقييد السلطة الدولية ؛ إذ « يجب ألا يكون هنالك حق وقف القرارات (فيتو) لحماية أولئك الذين يخرقون عهدهم المقدس بألا يعملوا على تقدم القوة الذرية أو استعمالها لأغراض تدميرية . »

وكان صدى مقترحات مستر باروخ لدى الرأى العام أن قوبلت بالتأييد العظيم لا لموضوع المقترحات فحسب ، بل للرغبة كذلك فى تأييد ما أصبح بياناً للسياسة الوطنية وسط مفاوضات صعبة . ولم يكد الجدل يقوم حول النقط الأربع عشرة نفسها ، ولكن الاقتراح بالتخلص من حق وقف القرارات الذى تتمتع به الدول الكبرى فى مجلس الأمن ، قوبل بالتأييد القوى من أنصار فكرة الحكومة العالمية ، وبالمعارضة الشديدة من أولئك الذين رأوا عدم إثارة هذا الأمر بتلك الطريقة القاطعة فى الوقت الحاضر .

على أن ما كان أكبر شأنا من تأثير المقترحات فى الرأى العام بالولايات المتحدة هو تأثيرها فى الحكومات المتفاوضة . فلقد قبلت جميع الدول، ما عدا روسيا وبولندة ،مبادئ مشروع باروخ أساساً للمناقشة . على أن معارضة روسيا لم تكن فى النهاية عقبة لا يمكن التغلب عليها فى سبيل قبول المشروع من الجميع . ولقد بدت الفكرة المعارضة واضحة كصفاء البلور فى المشروع الذى قدمه مستر أندرى ا. جروميكو ممثل السوفييت فى الجلسة الثانية للجنة وهى التى عقدت فى ١٩ يونيه .

ويختلف المشروع السوفييتى اختلافاً أساسيا عن مشروع الولايات المتحدة . فقد ابتدأ بتحريم استعمال السلاح الذرى فى الحال ، وتدمير كل ما هو مختزن من السلاح الذرى فى مدى ثلاثة أشهر . فهو فى هذا الصدد يقترح عكس الطريقة المقترحة فى مشروع باروخ تماماً ؛ فالمشروع الأخير لا يقضى بذلك إلا بعد وضع ضمانات فعالة . ولم ينص المشروع السوفييتى على إنشاء هيئة دولية جديدة لها السلطة بفحص ما قد يجرى فى الدول المختلفة ، وتتولى السيطرة على جميع أنواع النشاط « الخطر » فى مجال الذرة . فبدلا من هذه الهيئة الدولية التى رغبت جميع الدول فى فحص اختصاصاتها ، ترك المشروع السوفييتى تنفيذ تحريم السلاح الذرى على عاتق المستوى الأخلاق ، كما فعل ميثاق بريان وكيلوج (ميثاق باريس) حين حرم الحرب نفسها . فقد ذكر المشروع مرة أخرى أن خرق هذه المعاهدة يكون « جريمة خطرة

على الانسانية » ، وأن تتعهد كل أمة بمعاقبة أى واحد من مواطنيها يعمل لخرقها .

ولم يرد فى المواد الثانى للمشروع السوفييتى أى ذكر محدد لمنع التفتيش الدولى . ويظهر أن مستر جروميكو كان فى القسم الثانى من مشروعه يذهب إلى أن المشروع النهائى سيحتوى على « طرق لمنع إنتاج أسلحة تعتمد على استعمال الطاقة الذرية » . وهو نص لا معنى له إلا إذا كانت الطرق تؤدى إلى التعاون الدولى ؛ ومع ذلك فقد عارض مسيو جروميكو فى بيان تال الفكرة المقترحة باستعمال التفتيش الدولى ، واعتبره خرقاً لسيادة الدولة . وهذا البيان إذا فسر حرفيا يدل على إنكار الضمانات التى نصت عليها وثيقة الأمم المتحدة نفسها . فلو أن كل أمة ظلت هى الحكم على نفسها بنفسها ، دون أن تخضع لسلطات الأمم المتحدة ، فليس ثمة فائدة للبناء الذى أقيم فى سان فرانسيسكو . ومن الواضح أن بيان مسيو جروميكو يجب ألا يفسر بهذه المعارضة البعيدة لأعمال الأمم المتحدة ؛ لأنه فى الوقت نفسه تقريباً ، الذى كان يسجل فيه اعتراضه على تدخل موظفى السلطة الذرية ، كان المارشال ستالين يكرر فى موسكو التأكيدات باخلاصه المستمر لميثاق الأمم المتحدة .

ومن المستحيل فى حدود هذه الخلاصة القصيرة أن نتكلم عن جميع المقترحات والملاحظات التى أبداها ممثلو الأمم الأخرى فى هذه اللجنة ، والعضو الوحيد من أعضاء اللجنة ، غير مسيو جروميكو ، الذى قدم مشروعاً تفصيليا هو دكتور هربرت إيفات ممثل أستراليا . وهذا الرجل الذى أيد بشدة حقوق الدول الصغرى فى مؤتمر سان فرانسيسكو كان بوجه عام على اتفاق مع مستر باروخ . وقد أشار إلى مصلحة الدول الصغرى فى إيجاد نظام عام لا يمنح الدول الكبرى امتيازات خاصة عند إعطاء الأصوات .

ولقد بدا من الواضح أنه لا يمكن التقدم تقدماً كبيراً فى طريق الاتفاق إلا إذا درست المشكلة فى تفصيلاتها دراسة أوفى ، وكان من نتيجة ذلك أن لجنة الطاقة الذرية فى الأمم المتحدة اجتمعت أولا اجتماعاً خاصا بوصفها لجنة للعمل . ثم أنشأت لجاناً لتعالج المظاهر المختلفة للمسائل الفنية المتصلة بها . ولما كانت هذه اللجان تحتفظ بسرية أعمالها ولم تصدر تقريرات عامة عن عملها ، فمن المستحيل إعطاء بيان واف عن أعمالها .

وقد كان الدكتور هربرت إيفات

رئيساً للجنة الطاقة الذرية فى الشهر الأول من انعقادها بصفته ممثلا لاستراليا واسمه فى أول قائمة الدول الممثلة فى اللجنة . وكان بصفته هذه رئيساً للجنة العمل التى مثلت فيها جميع الدول التى لها ممثلون فى اللجنة العامة . وعقدت هذه اللجنة اجتماعها الأول فى ٢٨ يونيه ، فقررت إنشاء لجنة فرعية رقم ١ ، تألفت من ممثلى فرنسا والمكسيك والاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة وبريطانيا ويرأسها ممثل أستراليا . وكان عمل هذه اللجنة الفرعية تحضير قائمة بالمقترحات التى تنظر فيها لجنة العمل . وقد عقدت هذه اللجنة الفرعية خمس جلسات وقدمت نتيجة أعمالها إلى لجنة العمل ، التى ألفت بعد ذلك ثلاث لجان فرعية لموالاة دراسة التفصيلات . وبما أنه قد ظهر أثناء اجتماع اللجنة الفرعية رقم ١ ، أن الدول غير الممثلة فيها ترغب فى حضور جلساتها ، وأنها تحب بعد ذلك إبداء آرائها ، فقد اتفق على أن تؤلف اللجان التى تدرس المسائل الهامة والعامة فى المستقبل من سائر أعضاء اللجنة الأصلية، وليس اثنا عشر عضواً بالعدد الضخم الذى يصعب تنظيمه .

وقد سميت أولى اللجان الفرعية الثلاث التى ألفت بعد ذلك بلجنة رقم ٢ إذ لم يجدوا اسما قصيراً يصح إطلاقه عليها . والغرض من هذه اللجنة الفرعية دراسة المشاكل العامة فيما يتعلق بالسيطرة على الطاقة الذرية . وأنشئت أيضاً لجنة استشارية تشريعية لتفحص المسائل القانونية التى تنشأ عن المناقشات ، ولتشير بآرائها ، وفى الوقت المناسب تقدم المشورة التشريعية عند وضع اتفاق دولى . وقد لاحظ مستر جروميكو بهذه المناسبة أن عملها فى ذاك الوقت سابق لأوانه ؛ لأن الأمور السياسية لم تبلغ مرحلة الاتفاق التى يطلب فيها رأيها القانونى . ولذلك قررت هذه اللجنة فى الأيام الأولى من أغسطس أن تقف نشاطها مؤقتاً .

وقد ألفت اللجنة الفرعية الثالثة ، وهى اللجنة العلمية والفنية لتشير بما تراه فى الأمور الفنية على اللجنة الأصلية، وتتفحص مسألة تبادل المعلومات العلمية . وكانت المسألة الأولى التى أخذ فيها رأيها هى : هل يمكن فرض رقابة فعالة من الوجهة الفنية الصرفة؟ وقد وقفت اللجنة الفرعية رقم ٢ أعمالها انتظاراً للتقرير الكامل لهذه اللجنة الأخيرة ؛ إذ قد يتضح مما تسفر عنه بحوث هذه اللجنة تحول جديد فى المناقشات السياسية . على أن التقرير نفسه لم يأت بمقترحات جديدة فيما

يتعلق بطبيعة الرقابة أو التفتيش الذى يفرض ، ولكنها قصرت عملها على فحص واقعى لكل دور من أدوار الانتاج الذرى ، مبتدئة بالمواد الخام واحتمال تحويلها إلى أغراض حربية . وكانت للجنة فى تحضير تقريرها خبرة العمل مع علماء دوليين من علماء الدول الاثنتى عشرة الممثلة فى لجنة الطاقة الذرية . ولذلك أصبح من الراجح أن يكون هذا التقرير بملحقاته هو البرنامج الذى تتخذه اللجنة الفرعية رقم ٢ قاعدة لبحوثها . وإن تحليل عناصر المشكلة لهى خطوة أولى نحو إيجاد حل ملائم .

ولما كانت رياسة اللجنة دورية فقد خلف الدكتور ايفات فى الرياسة ، بعد انتهاء الشهر الذى قضاه رئيساً نشيطاً للجنة الطاقة الذرية ، الكابتن الفارو ألبرتو داموتا سيلفا ممثل البرازيل ؛ وتبعه الجنرال ا. ح. ل. مكنوتن ممثل كندا ، ثم الدكتور ك. ل. هسيا ممثل الصين .

مناقشات غير رسمية ومقترحات

كانت مقترحات مستر باروخ للسيطرة الدولية على الطاقة الذرية ، عظيمة الشأن فى مبادئها حتى إن الناس لم يلتفتوا إلا قليلا ، أو لم يلتفتوا قط ، إلى الطريقة التى استعملها فى تقديم مقترحاته .

فقد لجأ فى أدق المفاوضات وأصعبها إلى أصعب الوسائل ، وهى طريق الديبلوماسية العامة ، ولو أن هنالك ميداناً تبدو فيه استحالة تطبيق قول وودرو ولسن — « اتفاقات علنية ، يتم الوصول إليها علناً » — فذاك هو ميدان سر السلاح الذرى . ومع ذلك لم يكتف مستر باروخ باعلان مقترحاته للجنة الطاقة الذرية للأمم المتحدة فى جلسة علنية ، بل دعا إلى مناقشات هذه المقترحات فى الصحف والراديو ومنابر الخطابة .

أجل ! هنالك سوابق فى الالتجاء إلى الديبلوماسية العامة فى المؤتمرات السابقة لنزع السلاح ، ومن أشهرها المؤتمر البحرى بواشنطون الذى عقد برياسة مستر هيوز ، ومؤتمرات جنيف لنزع السلاح ، إلا أن السيطرة على التسليح الذرى هى مشكلة من نوع جديد . وإذا كانت المؤتمرات السابقة تعنى بالمقارنة بين مقاسات معروفة من أنواع الأسلحة ، فان الغرض من الديبلوماسية

اليوم السيطرة على سر . وكان مستر باروخ على علم بمخاطر فتح ميدان للجمهور لايزال قسم منه مغلقاً أمامهم . على أنه أعلن منذ اللحظة الأولى أن مشكلة السيطرة تختلف عن المعرفة بعلم الهندسة ذى العلاقة بالقنبلة الذرية . فالمسألة السياسية ليست من العلم أو الهندسة فى شئ بل هى مسألة نفسانية ، والسلامة الوطنية هى مسألة أدبية لا مادية ، وهى التعبير السياسى لثقة أمة فى استمرار السلم لديها . وهذه الثقة لا يمكن كسبها وبقاؤها إلا بالذهاب رأساً إلى مصدرها ، وهو الرأى العام فى كل أمة من الأمم .

وقد عجزت الجهود السابقة التى بذلت فى سبيل نزع السلاح عن إيجاد هذه الثقة ؛ لأن المقترحات لم تذهب إلى المدى الذى تشمل فيه جميع أنواع السلاح من جهة ، ولأن قوى المحور تآمرت وعملت للاخفاق ، باستعداداتها للحرب فى أوربا وآسيا من جهة أخرى .

ولم يعد خطر دول المحور يستطيع أن يسد الطريق فى وجه مجهود قوى واسع المدى للوصول إلى قدر كاف من نزع السلاح الذرى . ولذلك أصر مستر باروخ على أن يجد تأييداً من الرأى العام لبلوغ هذه الغاية ، واتخذ مستر باروخ مثلا من لنكولن الذى اقتبس عنه عبارات مؤثرة فى نهاية خطبته ، ومن ولسن الذى اتبع طريقته حتى فى عدد المسائل الأربع عشرة . فوجه نداءه إلى شعوب العالم أكثر مما وجهه إلى حكوماته ، وكان فى عباراته الافتتاحية صدى حديث لنداء جفرسون الذى وجهه للانسانية فى إعلان استقلال الولايات المتحدة . وقد قال فى بيان واضح إنه لا يوجه كلماته « لزملائه الأعضاء » فى لجنة الطاقة الذرية فحسب ، بل كذلك « لزملائه سكان هذا العالم » . وقال إن الحكومات وحدها لا تضمن الأمل فى حياة جديدة خالية من المخاوف التى ينقبض لها القلب والتى تحيط الآن بالعالم . . . إن الجوع الروحى للناس يمكن علاجه بالتغلب على الخوف ... وبثقة الناس بعضهم ببعض ، والثقة فى أن نعمل معاً فى سبيل النجاة . ومثل هذه العبارات المتناثرة فى مبدأ خطبته ونهايتها وجدت أقصى إجمال لها فى قوله « إن نوع هذه النجاة يجب أن يعمل فيه الجميع من أجل الجميع » .

على أن مجهود مستر باروخ للحصول على تأييد المفكرين من جميع البلاد لمشروع السيطرة على أكبر مصدر للقوة فى العالم ، كان له تطبيق خاص فى الولايات المتحدة الأمريكية ؛

لأن الحكومات الأخرى تعلمت من عبر الماضى ألا تثق بثبات الأمريكيين على أغراضهم فى العلاقات الدولية . فاذا كان الأمريكيون قد نسوا ، فان الدول الأخرى لم تنس الطريقة التى أيدت بها الولايات المتحدة عصبة الأمم والمحكمة الدولية ثم عادت فتخلت عن هذا التأييد . وكانت هذه الدول تريد أن تتأكد من أن أية مشروعات لتنظيم دولى تتفاوض فيه السلطة التنفيذية ، لا يلغيه المجلس النيابى الأمريكى تحت ضغط الرأى العام المتغير أو غير المهتم . ولقد صار من الواضح أن الاستمرار على سياسة خارجية واحدة يتوقف على درجة الفهم والوصول إلى المعلومات الصحيحة التى تعالج بها أمة مشاكلها . وإذا كان الدور الأول من المناقشة العامة للمسائل الكبرى قد يؤدى إلى الفوضى وتبلبل الآراء ، فان الرأى العام لا يمكن أن يشحذ ويصير سلاحاً سياسيا نافعاً إلا على ضوء المناقشة العامة . وكان مستر باروخ على علم بذلك ، فشجع قبل بيانه فى لجنة الأمم المتحدة للطاقة الذرية مجهودات الهيئات غير الرسمية التى تدرس الطاقة الذرية ، وأصر على أن طريق الاتفاق فى المفاوضات الدولية يكون أوسع وأثبت ، إذا كانت هنالك حرية مطلقة فى الاعراب عن الرأى بشأن أى مشروع أو اقتراح للسيطرة على الطاقة الذرية، بالتحبيذ كان أو بالانتقاد.

وكان مستر باروخ يعلم بلا ريب قبل تعيينه ممثلا أمريكيا فى لجنة الأمم المتحدة بزمن مديد ، أن هنالك عدة لجان تبحث فى مشاكل الطاقة الذرية ، وأول هذه اللجان هيئة من علماء الطبيعة عرفت باسم اتحاد العلماء الأمريكيين . وهذه الهيئة تضم نحو سبعة آلاف من رجال العلم يشتغلون بالبحث فى مشروع منهاتان وما يتبعه . واهتمامهم منصرف على الأكثر إلى مشكلة الاشراف على الطاقة الذرية داخل الولايات المتحدة . ويلقون المساعدة من هيئة مدنية كما هو مذكور فى قانون مكماهون . ولم يتخذ هذا الاتحاد موقفاً حاسما فى الميدان الدولى إلا بعد نشر تقرير لجنة ليلينثال ، إذ قبله دليلا على الاتجاه السياسى . ولكن بعد أن نشرت مقترحات باروخ أيدها الاتحاد تأييداً تاما شاملا . ومما يتصل اتصالا وثيقاً بعمل هذا الاتحاد تلك الحملة الواسعة فى أنحاء الأمة لتربية الناس وإمدادهم بالمعلومات ، وهى التى قامت بها اللجنة الوطنية للمعلومات الذرية ؛ وهذه اللجنة أيضاً شجعت مناقشة الموضوع فى الهيئات المحلية

فى أجزاء مختلفة من البلاد .

ولقد صار من الواضح فى أثناء هذا العمل أن المشاكل السياسية والقانونية والاقتصادية التى تنشأ عن السيطرة على الطاقة الذرية مما يخرج عن ميدان علماء الطبيعة ، وأنها فى حاجة لمناقشتها ودراستها بوساطة علماء سياسيين واجتماعيين . والغريب أنه لم يظهر نسبياً ما يدل على اهتمام بهذا الموضوع بين العلماء السياسيين والاجتماعيين فى الجامعات . فمجلس بحوث العلوم الاجتماعية وهو الهيئة التى تضم المشتغلين بالعلوم الاجتماعية ، كان آخر الهيئات التى برزت فى هذا الميدان ، لتتولى إدارة البحث فيما تسفر عنه السيطرة على الطاقة الذرية من مشاكل اجتماعية واقتصادية . فلم يعن هذا المجلس بهذه المشاكل إلا فى ربيع سنة ١٩٤٦ وأوائل صيفها ، حين أنشأ إدارة برئاسة الأستاذ وينيلد ريفلر من معهد الدراسات العليا للبحث فى النتائج الاقتصادية النهائية للسيطرة على القوة الذرية ، ولم تبدأ هذه الادارة أعمالها إلا أخيراً . ولكن هذا التأخير يسوغه أن الميدان الذى تعمل فيه لم يفتتح افتتاحاً كافيا للبحث .

مثل هذا التاريخ القصير لا يمكن أن يحصى الأعمال المفيدة التى تقوم بها جماعات عدة من الهيئات التعليمية ، بعقد اجتماعات الجمعيات العلمية وبنشر بحوث ، وتنظيم برامج إذاعة . على أنه لا بد من ذكر بعض وجوه النشاط الذى تبديه هيئات كمجلس العلاقات الأجنبية ، وجمعية السياسة الأجنبية ، ولجنة دراسات تنظيم السلم ، والجمعية الأمريكية للأمم المتحدة . وهنالك هيئات تعقد فى مراكز مختلفة ، من أهمها سان فرنسيسكو لجهات شاطئ المحيط الهادى ، وفى جامعة دينفر ، وهى تنظم إذاعات عن السيطرة على الطاقة الذرية . ولقد صارت هذه المشكلة موضوع برامج خاصة لهيئات ، كالجمعية الأمريكية للعلوم الطبيعية ، والجمعية الفلسفية الأمريكية . ومن بين برامج محطات الاذاعة الكبرى ألقيت فى إذاعة شركة كولومبيا سلسلة من الاذاعات قام بها علماء مختصون تحت إدارة دكتور ليمان برايسون ، وقد ضمنت لجنة مكماهون تقريرها فهرساً وصفيا شاملا لمصادر البحث التى أخرجتها هذه الهيئات .

على أن هنالك ثلاثة مراكز أساسية وضعت برامج للسياسة المستقبلة وأعدت مشروعات للتنظيم الدولى للسيطرة على الطاقة الذرية . وهذه المراكز الثلاثة هى جامعة ييل وجامعة

شيكاغو ومعهد كارنجى للسلم الدولى . ففى جامعة ييل نشر معهد الدراسات الدولية بادارة الأستاذ فريدريك دن نتائج دراسات ومباحث أعضاء المعهد التى استمرت شهوراً فى كتاب عنـوانه « السلاح المطلق » وقد أعد هذا الكتاب قبل بيان باروخ ، ولكنه ظل مع ذلك تحليلا قيما وهاما للمشكلة بأجمعها . والنتائج التى يصل إليها هذا الكتاب لا تبعث على التفاؤل ، وهو يوافق على النقط الأساسية فى تقرير ليلينثال ولكنه يذكر القارئ بصعوبة التغلب على قوى التاريخ والسياسة التى كانت لها السيطرة حتى الآن والتى قد تقضى على خـير المشروعات إذا سير فيها بسرعة ومن غير اهتمام بالتطورات المختلفة فى مختلف البلاد . ويفرق الكتاب بين المشاكل التى تتطلب عملا سريعاً وبين المشاكل التى تطبق فى المستقبل .وقد أعرب عن هذه النتيجة الحذرة فى العبارات الآتية :

«ليس فى أيدينا الآن حل كامل وبارز لتلك المشكلة الخطيرة المعقدة التى هى السيطرة الدولية على الأسلحة الذرية . وليس معنى ذلك أنه حكم علينا بأن نظل مكتوفى الأيدى أمام تلك الكارثة المحققة ؛ فقد رسم تقرير اللجنة الاستشارية طريقة يظهر أنهـا جريئة ويمكن تحقيقها ، ويمكن أن تتخذ خطوة أولى فى ذلك السبيل . وهذا التحليل الحاضر قد اقترح خطوة أخرى يمكن اتخاذها الآن ، وهى المفاوضة فى اتفاق عام على مقاومة إجبارية تتخذ تدابيرها فى الحـال لمقاومة المعتدى بسلاح ذرى . وهاتان الخطوتان ليستا بعيدتين بعضهما عن بعض فكلتاهما تؤيد إطالة السلم إلى مدى بعيد إن لم تكن تضمنه .

ويجب أن يكون أول ما يهتم به هو المشكلة الانتقالية التى تقضى بترك ميدان المستقبل مفتوحاً إلى أن يوطن الناس أنفسهم على النظم الضرورية التى تقضى بها حياة المدنية فى العصر الذرى . ولن نكف عن ترديد القول بأن الحلول « الدائمة » التى تخاطر بحرب ذرية الآن فى سبيل الحصول على سلم دائم لا تعـد حلولا مطلقاً ، لأنها لا تجنبنا الحرب التالية . وإذا كانت الحرب العالمية الثالثة هى آخر الحروب العالمية ، فليس معنى ذلك أننا جنبنا أية حرب من الحروب .

وضرورة إيجاد حلول لهذه المشكلة الانتقالية ربما كانت عذراً فى أن المؤلفين الحاليين لم يعالجوا ما ستسفر عنه الأحوال فى آخر الأمر ؛ فقـد وجهوا اهتمامهم إلى إيجاد طرق لتهيئ

للذكاء الانسانى الوقت الذى يحتاج إليه ليجد الحلول المناسبة للمشاكل البعيدة الأمد .

ولقد نشأت فى جامعة شيكاجو هيئتان هامتان : إحداهما جماعة عرفت باسم علماء الذرة فى شيكاجو ، وهى تصدر « نشرة علماء الذرة » التى يحررها جولد سميث ورابينوفتش وهى خير مجلة فى هذا الميدان ، وتجد فيها نصوص جميع الوثائق الهامة بمجرد ظهور هذه الوثائق . والهيئة الأخرى هى مكتب الاستعلامات عن الاتجاهات الاجتماعية للطاقة الذرية لجامعة شيكاجو ، برياسة الأستاذ روبرت ردفيلد . وهذه الهيئة قد نادت بمشروع وضعه الأستاذ كوينسى رايت للسيطرة الدولية على الطاقة الذرية وأيدته .

ويقضى مشروع الأستاذ رايت بانشاء وكالة للطاقة الذرية الدولية مؤلفة من ثلاث لجان . تكون اللجنة الأولى منها استمرار اللجنة المنظمة الحاضرة ، ويعهد إليها بواجب وضع مقترحات نهائية لمجلس الأمن أو للجمعية العمومية لهيئة الأمم ، لكى تعدل من مشروعها الأصلى ، ولكى تضمن السير إلى النجاح . وتكون الهيئة المركزية لهذا النظام لجنة إدارية تتألف من تسعة أعضاء ، وهى فى أعمالها تماثل سلطة التقدم الذرى التى ذكرت فى مشروع ليلينثال التى تملك أو تشغل مناجم اليورانيوم والثوريوم والمصانع لتكريرها . ويقام مكتب للدراسات الذرية ، ويكون له سلطة الترخيص باستغلال اليورانيوم والثوريوم لأغراض سلمية ، وتكون هنالك لجنة للتفتيش لها سلطة الوقوف على مصادر المادة الخام والمصانع التى تخرج مواد مفرقعة . فالمشروع من هذه الجهة يختلف اختلافاً واضحاً عن مشروع ليلينثال . ومما يميز هذا المشروع أنه يقترح أن تضع كل دولة قانون جنايات لمعاقبة الأشخاص الذين يخرقون هذا الاتفاق ؛ وينص على تأليف محكمة جنائية للأمم المتحدة على قاعدة النظام المقترح فى اتفاق جنيف سنة ١٩٣٧ . وفى هذا الباب من المشروع اكتسب الأستاذ رايت خبرته من محاكمة مجرمى الحرب الألمانيين بنورمبرج . وهذا الاقتراح يفتح ميداناً مهماً فى تقليد السيادة الدولية .

واقترح الأستاذ رايت ، كنقطة هامة يبدأ بها لتنفيذ هذا المشروع الواسع المدى ، أن تدمر فى الحال جميع الأسلحة الذرية الموجودة بمجرد تنفيذ هذا الاتفاق ؛ وأن ينقل جميع ما هو مخزون

من المـــواد المفرقعـــة إلى اللجنـــة الادارية ؛ وأن يوقف العمل فى مصانعها حتى يتم تشكيل إدارة السيطرة الدولية وتسير فى عملها . فمشروع شيكاجو من هذه الجهة يماثل مقترحات السوفييت . ولكن إدارة السيطرة تقضى بأن تكون السلطة الدوليـة واسـعة ، وبتقييد السيادة الوطنية تقييداً ثابتاً .

وأخيراً توجد لجنة الطاقة الذرية لمعهد كارنجى ، وقد أنشئت فى أوائل ديسمبر سنة ١٩٤٥ . والغرض من إنشائها البحث والتثقيف فى المشـاكل الخاصة بالسيطرة على الطاقة الذرية . وهذه اللجنة تتألف من أربعين عضواً اختيروا من بين علماء الطبيعة والعلماء السياسيين وأصحاب التجربة فى الأعمال العامة . وكانت هذه الهيئة كثيراً ما تجتمع للمناقشة وللنظر فى التقارير التى تقدمها لجان فرعية من الخبراء الذين يدرسون مشاكل خاصة .

وكانت المشكلة الأولى التى بحثت تفصيلا هى التفتيش الدولى على إنتاج المعادن ذات الاشعاع . وكانت اللجنة الفرعية التى تعالج هذا الموضوع مؤلفة من إخصائيين فى ميدان طبقـات الأرض والمعادن ، ويرأسها الأستاذ بول كر من جامعة كولومبيا . وكان تقريرها عن إمكان هذا التفتيش هو أن « السيطرة الفنية على المواد الخام يمكن تنفيذها بقدر كاف يهيئ لمحاولة جدية لاقامة نظام للسيطرة ... ويمكن التفتيش على المناجم المعروفة بعدد صغير نسبياً من الموظفين ، ويمكن أن يكون هذا التفتيش فعالا تماماً » ولكن معرفة المكتشفات الجديدة لا يمكن أن تتحقق دون مساعدة سياسية من الأمة التى لها صلة بهذا الاكتشاف .

وقد عهد إلى لجنة فرعية قانونية برياسة مستر جورج فينش الذى يعمل بقسم القانون الدولى بمعهد كارنجى ، فى وضع مشروع عام للسيطرة الدولية على الطاقة الذرية . وبعد أن قضت هذه اللجنة سبعة أشهر فى درس ومناقشة أصدرت آراءها فى شكل مشروع اتفاق لذلك : « وليست الفكرة هى السبق إلى النصوص النهائية لمعاهدة تعقد بين الحكومات ، بل وجدنا أن هذه طريقة واقعية لتحديد المشاكل السياسية فى هذا الباب واقتراح طرق معالجتها » ، وقد وافقت لجنة معهد كارنجى على هذا المشروع فى ١١ مايو سنة ١٩٤٦ ونشر فى ١٧ يونيه .

والمشروع الذى اقترحته لجنـة معهد كارنجى يدخل فى ميثاق الأمم

المتحدة ، ولا يثير المشكلة الشائكة التى هى حق وقف القرارات . فهو يرى إنشاء لجنة دولية لها السلطة فى اتخاذ كل الاجراءات المانعة فى وقت السلم التى تكون ضرورية ضد دولة تدبر حرباً ذرية . فاذا التجأت دولة إلى الحرب فعلا دعى مجلس الأمن إلى القيام بالحراسة الموكولة إليه ، وليس ذلك فحسب ، بل إن المادة ١٥ من الميثاق التى تؤكد « حق الدفاع الطبيعى بالنسبة للفرد أو الجماعة أو لحماية النفس » تؤيد وتقوى ، لكى يكون اتخاذ تدابير إجماعية ضد الدولة المعتدية إجبارياً . وفضلا عن ذلك فأنه فى أثناء التفتيش على دولة عزى إليها تدبير القيام بحرب ذرية تمتنع الدول الأخرى عن تزويد الدولة المتهمة بالأسلحة الذرية والمواد وغيرها من آلات الحرب (المادة ٢٩) . وهذه الاجراءات للتفتيش والتنفيذ بسيطة ومستقيمة ، وهى لا تنتظر المناقشة بل تنفذ فى الحال ومن تلقاء نفسها بمجرد تهديد السلم .

ولم يرد فى المشروع ذكر بأن تمتلك لجنة دولية جميع اليورانيوم والثوريوم فى العالم ، وتتولى إدارة مصانع القوة الذرية . فمثل هذا الامتلاك وهذه الادارة تكون فى يد لجنة وطنية فى كل دولة ، كما اقترحت لجنة مكماهون المؤلفة من أعضاء مجلس الشيوخ . وهذه اللجان الوطنية تكون خاضعة للمراقبة الدقيقة للجنة الدولية (أو السلطة الدولية) . ويوجد نص اختيارى يسمح لأية دولة أن تحيل موادها الأساسية ومصانعها إلى اللجنة الدولية إذا رغبت فى ذلك .

ويحرم على الدول أن تملك أسلحة ذرية أو تصنعها لاستعمالها ، ولكن مجلس الأمن قد يرخص للدول المتحدة بأن تنتج من الأسلحة الذرية وتخزن ما تحتاج إليه فى أعمال الحراسة . وفى رأى واضعى المشروع أنه يجب ألا يكون المقدار كبيراً ، وقد يمكن مع الوقت الاستغناء عن صنعها إطلاقا .

هذا تاريخ تأليف لجنة الأمم المتحدة للطاقة الذرية . أما الأعمال التى قامت بها حتى أواخر الشهر الثالث من سنة ١٩٤٧ فيمكن إجمالها من أقوال شوتويل[1] أيضاً الذى قسم تاريخ هذه الفترة إلى سبعة أدوار :

فى الدور الأول كانت الجلسات الافتتاحية ، وأخذ كل مندوب يعلن

(١) راجع International Conciliation, Carnegie Endowment, April 1947

السياسة الرسمية لبلاده . ففى ١٤ يونيه أعلن مستر باروخ مقترحات الولايات المتحدة . وفى ١٩ يونيه كان دور كندا التى رحبت بالوجهة الانسانية التى عطف عليها مندوب الولايات المتحدة ،وقبلت مشروعه أساساً للبحث . أما مندوب بريطانيا فكان مثالا للحذر السياسى ، ولكنه رحب بهذا الأساس الذى اقترحته الولايات المتحدة ،وأكد ضرورة توقيع عقوبات شديدة على المخالفين للتعهد . ثم تقدم مستر جروميكو بمقترحات الاتحاد السوفييتى . وأيد كل من الصين والبرازيل ومكسيكو مقترحات الولايات المتحدة .

ولما عادت اللجنة للانعقاد بعد أسبوع حاول مندوب فرنسا التوفيق بين مشروعى الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، وقال إنه ليس من الضرورى الانضمام إلى أحد المشروعين منذ البداية والبت فى المسائل التى أثيرت فى كليهما . وحبذ مندوب بولندة ما جاء فى المشروعين من محاسن وإن مال إلى جانب المشروع السوفييتى . وقال مندوب هولندة إن مرمى المشروعين الانشاء . وأيد مندوب مصر مقترحات الولايات المتحدة فى المبدأ ، وكذلك فعل ممثل استراليا .

وقبلت فى ديسمبر مقترحات مستر باروخ أخيراً ؛ إذ تعلقت الآمال بأنها خير وسيلة لصون الأمن فى وجه الكارثة الذرية ، مع مراعاة الحالة الحاضرة للعلاقات الدولية . ومع ذلك كان الحذر بارزاً فى أقوال المندوبين وفى أقوال الصحف ، مما دل على أن المقترحات قبلت من حيث المبدأ فقط لا فى تفصيلاتها .

وكان من أهم المسائل التى كانت عقبة فى سبيل الاتفاق مسألة حق وقف القرارات (الفيتو) . وربما كان أهم اعتراض هو إنشاء سلطة دولية للسيطرة والتفتيش . ولا شك فى أن عدم اطمئنان الاتحاد السوفييتى إلى العالم الخارجى ، له ما يسوّغه فى المحاولات التى بذلت فى السنوات الأولى من إنشاء هذا النظام ، للقضاء عليه بقوة السلاح ، ثم بالمقاطعة السياسية الطويلة . فصارت حكومة السوفييت تشك فى الهيئات الدولية التى ينشئها الغرب ، بل إن محالفات الدول الثلاث الكبرى واجتماعاتها أثناء الحرب كانت متأثرة بهذه الريبة .

وعلى ذلك انتقلت المسألة إلى دورها الثانى حين تقرر فى اجتماع ٢٥ يونيه سنة ١٩٤٦ ،وهو الاجتماع الثالث للجنة ، تأليف لجنة للعمل وهى تكاد تكون اللجنة الكبرى نفسها، وتجتمع فى

جلسات سرية . وأخذت هذه اللجنة تبحث المسائل المختلفة المتشعبة وألفت عدة لجان فرعية ، منها اللجنة الفرعية رقم ١ ولم يكن نجاحها فى عملها كبيراً .

أما اللجنة الفرعية رقم ٢ فهى تمثل الدور الثالث من أدوار المناقشات الكثيرة ، وقد عقدت خمس جلسات ، وقدم رئيسها مستر ايفات تقريراً يظهر أنه كان خطوة فى سبيل حل المسائل التى عرضت على هذه اللجنة التى كانت تنظر هل من الأفضل أن توضع معاهدة خاصة تحرم الأسلحة الذرية أو أن يوضع مشروع يجبر على التخلى عن هذه الأسلحة بأن يتضمن وسائل فعالة لضمان ألا تستعمل الطاقة الذرية إلا فى أغراض سلمية . وفى هذه الحالة يبحث نوع السيطرة الدولية وعلاقتها بهيئة الأمم المتحدة . وكانت المناقشات فى هذه اللجنة طويلة ومتشعبة ؛ إذ كان ممثل السوفييت يرى وضع معاهدة تحريم فى الحال ، ليصل بذلك إلى منع استعمال القنابل الذرية وصنعها . ولا يمكن أن يقال إن هذه اللجنة وصلت إلى نتيجة كبيرة ، وإن كان العمل الذى قامت به مفيداً .

وأخذت اللجنة العلمية والفنية على عاتقها فى أواخر يوليه سنة ١٩٤٦ النظر فى احتمال الرقابة والسيطرة الفعالة ، وكان هذا هو الدور الرابع من أدوار البحث فى السيطرة على الطاقة الذرية . وقد واجهت هذه اللجنة المشكلة بأن طرحت المسائل السياسية جانباً ، وأخذت تبحث فى أطوار صنع الأسلحة الذرية إجمالا ، وأين يكون الخطر فى تحويل الطاقة الذرية إلى أغراض حربية منذ الابتداء باستعمال المواد الخام ، وعالجت كل خطوة فى إنتاج الطاقة الذرية . ومن الطبيعى أنها لم تعرض لسر السلاح الذرى . ولا شك فى أن عمل هذه اللجنة كان مفيداً .

ودخل البحث فى دوره الخامس عندما اقترح جنرال ماكنوتن مندوب كندا على أن تتبع الطريقة التى سارت عليها اللجنة العلمية والفنية فى أعمال اللجنة رقم ٢ . وقررت هذه اللجنة ذلك فى اجتماع ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٦ . وكان الغرض درس الضمانات التى تحول دون توجيه الطاقة الذرية إلى صنع السلاح الذرى فى كل خطوة من خطوات العمل . وهذه الخطوات هى أولا : مناجم اليورانيوم والثوريوم . ثانياً : مصانع جمعها . ثالثاً : مصانع التكرير . رابعاً : المصانع الكيميائية والمعدنية . خامساً : مصانع المواد الأولى المؤثرة وما يتبعها من معامل

لفصل المواد . سادساً : مصانع فصل الايسوتوب .سابعاً : المؤثرات الثانوية.

وظلت هذه اللجنة تعمل مدى شهرين فى جو من الوئام ، وانتهت إلى الاتجاه نحو تأييد مقترحات الولايات المتحدة ونحو الاعتقاد بأن مشروعها فى مبدئه ملائم للسيطرة المرغوبة .

وكان الدور السادس هو تقديم تقرير لمجلس الأمن وقد قدم اقتراح بهذا المعنى فى الاجتماع السادس للجنة الطاقة الذرية الذى عقد فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٤٦ من رئيسها (البكباشى خليفة) مندوب مصر الذى اقترح أن يقدم هذا التقرير فى آخر السنة . وكانت المناقشة فى هذا الأمر حادة ، واتخذ مندوب الاتحاد السوفييتى موقف العناد بعد التعاون الذى كان بادياً من جانبه ، ومع ذلك فقد تقرر الاقتراح وتمت الموافقة عليه .

ولذلك عادت المناقشة فى جلسة ٥ ديسمبر فاتخذت وجهة سياسية ،وعادت معارضة مندوب السوفييت حول حق وقف القرارات (الفيتو)تظهر ، وبدا خلاف فى وجهات النظر حتى بين المندوبين الذين كانوا يؤيدون الولايات المتحدة فى طريقة معالجة المسائل .

على أن نتيجة أخذ الأصوات على « التقرير الأول المرفوع لمجلس الأمن» أدت إلى الموافقة عليه ، وأن عشراً من الدول الاثنتى عشرة تؤيد محتوياته .

وفى نهاية تلك السنة ، وهو الدور السابع من أدوار هذه المشكلة ، خرجت ثلاث دول من اللجنة ، وهى مصر والمكسيك وهولندة ، وحل محلها البلجيك وكولمبيا وسوريا . وأدى ذلك إلى البطء فى الأعمال كى يطلع الأعضاء الجدد على ما تم ، ومن الطبيعى أن العمل لم يسر بالنشاط الذى ظهر فى سنة ١٩٤٦ إذ عقدت اللجنة خمسة وثلاثين اجتماعاً فى السنوات الثلاث الأخيرة .

وفضلا عن ذلك حدثت تغييرات لم تكن متوقعة ؛ فقد استقال فى ٤ يناير مستر باروخ وزملاؤه . وكان تغيير وزير خارجية الولايات المتحدة ، مستر بيرنز ، مما جعل التردد يبدو فى أعمال اللجنة إلى أن عين مستر وارن أوستن عضو مجلس الشيوخ ممثلا للولايات المتحدة فى هيئة الأمم المتحدة ولجنة الطاقة الذرية .

ولم يكن المركز الذى وجده مندوب الولايات المتحدة ملائماً ؛ فقد كانت اللجنة تجد عراقيل من ممثل السوفييت ، وكانت الولايات المتحدة تعمل لسير الأمور ، فاذا بها تضطر

أمام التغييرات التي حدثت إلى أن تطلب تأجيل المناقشة في مجلس الأمن في نحو منتصف يناير. وقد بدا أن مستر أوستن يعمل لحل مسائل الخلاف ومحاولة التوفيق بقدر الامكان . ففى مسألة حق وقف القرارات ظهر أنه يميل إلى تأجيلها ، ومع ذلك لم يبد مايدل على التقهقر في أية مسألة متعلقة بالمبادىء .

وعاد موضوع الطاقة الذرية إلى الظهور في ٤ فبراير سنة ١٩٤٧ عندما عرض في مجلس الأمن : هل تكون اللجنة الجديدة التي ألفت للنظر في التسليح مختصة أيضاً بتقديم مقترحات في ميدان الطاقة الذرية ؟ وقد تقرر أن ذلك ليس من حقها بل لجنة الطاقة الذرية هي المختصة ، وقد امتنع مندوب السوفييت عن إعطاء صوته .

وفي اجتماع مجلس الأمن في ١٣ فبراير سنة ١٩٤٧ عرض التقرير الأول للجنة الطاقة الذرية ، فوجه الجنرال ماكنوتن سؤالا للمستر جروميكو مندوب السوفييت والمندوب البولندى أن يبديا اعتراضاتهما ، فأبدى مندوب السوفييت هذه الاعتراضات في اجتماع ١٤ فبراير . وأهم اعتراض له هو عدم عقد معاهدة في القريب تحرم استعمال الطاقة الذرية حربياً ، ووجود نصوص تعارض مبدأ الاجماع في القرارات ، وتعهد بتقديم تعديلات وقدمها فعلا في ١٨ فبراير .

ولم تكن هذه التعديلات خالية من القيمة كما ذكرت الصحف ، بل كان منها ما يستحق العناية . وقد اقترحت بريطانيا وفرنسا في اجتماع مجلس الأمن في ٢٠ فبراير إعادة التقرير إلى اللجنة ومعه التعديلات المقترحة لتعمل للتوفيق بينها وبين مقترحات التقرير . وبعد مناقشات عدة ومداورات تقرر في ١٠ مارس رد هذا التقرير إلى لجنة الطاقة الذرية ومعه صورة المناقشات التي دارت في مجلس الأمن ، وأن يطلب إلى اللجنة وضع مقترحات على ضوئها ، وتقدم تقريراً قبل اجتماع الجمعية العمومية في شهر سبتمبر .

وهكذا عادت المشكلة إلى ما كانت عليه وإن كانت قد خطت خطوة صغيرة جدا .

من هنا وهناك

وثنية إخوان الصفاء . . . أيضاً

واليوم أعود مرة أخرى إلى ما نشره الأديب جبور عبد النور عن معالم الوثنية فى رسائل إخوان الصفاء [1] تعقيباً على ما نشرته فى الرد عليه [2] ويؤسفنى أن أقول إن الأديب أبى أن يفهم ما كتبته كما أبى أن يفهم نصوص رسائل إخوان الصفاء . بل قل إن هذا الكاتب من طبيعته — كما ظهر فى مقاليه — أن يعمد إلى تشويه النصوص التى أمامه ، فعل ذلك عندما أراد أن يستشهد ببعض نصوص إخوان الصفاء ، وفعل ذلك فى رده علىّ . وعجبى أن يذهب هذا الكاتب إلى أن الدراسات العلمية لا تنكر اقتطاع النص والاستشهاد بجزء منه وطرح بقيته . فمتى كانت الدراسات العلمية غير أمينة فى نقل النصوص ؟ وأى منهج من مناهج البحث العلمى ، الذى يراد به الحق قبل كل شئ ، يبيح مثل هذا الخطأ العلمى الخطير ؟ فالبحث العلمى ومناهجه أحرص على الأمانة العلمية من أن نجزئ النص حسب أهوائنا ، فنأخذ من النص الواحد ما نشاء ونطرح ما لم نشاء ، والأمانة العلمية تقتضى أن نأتى بالنص كاملا غير محرف ولا مشوه ، ذلك إذا أردنا أن نحكم حكما صحيحاً أو قريباً من الصحيح ، دون أن يفسد حكمنا هوى أو نزعة من النزعات حتى لا نكون متعسفين فى أحكامنا . فاذا كان اقتطاع النص مستساغاً فى رأى الكاتب وأنه ليس بمنكر لديه ، فانى أرثى لقرائه وتلاميذه أن يلتمسوا علمهم عند رجل يشوه النصوص ، ويزعم أن البحث العلمى لا ينكره ، ولست أدرى من أين جاء الكاتب « بأنى أتجنى على معالم الوثنية عندما ألح أن نحكم على الاخوان من ظاهر كلامهم » . فلو كان الكاتب دقيقاً فى قراءة ما نشر ، حريصاً على فهم ما ورد فى مقالى الأول

---

(١) مجلة « الكاتب المصرى » عدد ٢١ (يونيه ١٩٤٧) ص ١١٦ .
(٢) مجلة « الكاتب المصرى » عدد ١٩ (أبريل ١٩٤٧) ص ٥٦٥ .

دون أن يعمد إلى تشويهه أو تحريفه ؛ لعلم أن الذى نشر بالحرف الواحد هو « أضف إلى ذلك كله أن بالرسائل بعض الرموز التى يصعب الوصول إلى معرفتها وفك أسرارها إلا إذا اطلع على التأويل الباطنى الاسماعيلى ، فلا شك أن هناك علاقة وثيقة بين الاسماعيلية و إخوان الصفاء ، ومعرفة أسرار الاسماعيلية تؤدينا إلى معرفة وفهم نصوص رسائل إخوان الصفاء » . هذا ما نشر لى فى مجلة « الكاتب المصرى » ، وشتان بين ما فهمه الأديب جبور وبين ما نشر . ثم إنى أوردت فى مقالى بعض تأويلات اسماعيلية أشرح بها بعض ما خفى من نصوص إخوان الصفاء ، ولكن الكاتب يأبى دائماً إلا أن ينحرف عن الصواب فى سبيل فكرة اختمرت لديه ، وحاول أن يثبتها بشتى الطرق ولو خالف فى ذلك مناهج البحث العلمى . فالاخوان ذكروا أنهم علويون ، ويأبى الكاتب إلا أن يجعلهم يتخذون ميلهم العلوى تقية و إخفاء للواقع ! ويصرح الاخوان أن هرمس هو النبى إدريس شأنهم فى ذلك شأن غيرهم من كتاب المسلمين. ولكن الكاتب أبى إلا أن يكون هرمس الاخوان هو « هرمس فحسب » ويذهب أكثر كتاب المسلمين الذين سبقوا إخوان الصفاء ومن جاء بعدهم إلى تأثير الكواكب العلوية فى عالم الكون والفساد فلم يرمهم أحد بالوثنية ، ولكن الكاتب يلح فى القول بأن الإخوان وثنيون لذهابهم هذا المذهب إلى غير ذلك من هذه الأحكام التى لا يقرها منطق أو بحث علمى يقوم على التدقيق والتمحيص . وما أكثر ما زهى الأديب جبور عند ما نقل عن عبدالقاهر البغدادى ما ذكره عن الباطنية ، ولو كان الكاتب قرأ ما كتبناه عن أصحاب كتب الفرق وعن غيرهم ممن تحدثوا عن الباطنية [1] لعرف أن هؤلاء — ولا سيما البغدادى والباقلانى — كتبوا بوحى تعصبهم المذهبى قبل أن يكتبوا كتابة تاريخية يقبلها البحث الحديث . فقد ذكرت فى مقدمة كتاب « المجالس المستنصرية » بعض العلماء الذين طعنوا فى مذهب الباطنية ، فقلت إنهم بين رجل متعصب لمذهبه ، وبين رجل أراد الحق فخلط

(١) المجالس المستنصرية . ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة . راحة العقل . السيرة المؤيدية . مع ملاحظة أن الاسماعيلية تشعبت إلى عدة فرق وكلامنا الآن ينصب على الاسماعيلية الذين حكموا عدة بقاع إسلامية باسم « الدولة الفاطمية » وهى الشعبة التى وصلتنا كتبهم وعقائدهم ، أما غيرها من الشعب فلا نكاد نعرف من أمرها شيئاً .

بين الباطنية وبين غيرها من الفرق . والقاضى العادل إذا أراد أن يحكم بين خصمين فعليه أن يستمع إلى أقوالها جميعاً ، أما أن يأخذ برأى جانب واحد فقط فلا قضاء ولا عدل ؛ وهذا ما فعله صاحبنا الأديب جبور عندما استشهد برأى البغدادى الذى تظهر فى كتاباته روح العصبية المقوتة عند المحدثين .

ولا يتوهم الكاتب كما توهم من قبل أنى أدافع عن الباطنية أو أنى أقول بأنهم لم يخرجوا عن التقاليد الحنفية . فالذى استطعت أن أثبته بعد دوام قراءة ما كتبه دعاة الاسماعيلية أنهم فى عبادتهم العملية التى أطلقوا عليها اسم العبادة الظاهرة ، لا يكادون يختلفون عن العبادة العملية عند كافة المسلمين فهم يقومون بجميع فرائض الدين من طهارة وصلاة وزكاة الخ ولكن تأويلهم الباطن هو الذى يخالف ما عليه إجماع المسلمين . وقد شرحنا شيئاً من ذلك فى كتبنا (١) ولو أراد الكاتب أن ندله على الوثنية فى آرائهم وفى رسائل إخوان الصفاء لاستنفد ذلك عدة مقالات ، ولخرجنا عن موضوع المناظرة التى بينه وبينى ، والتى أريد بها أن أبين أن نصوصه التى يستشهد بها على وثنية الاخوان لا تثبت وثنية الاخوان بأى حال من الأحوال ، فليبحث عن نصوص أخرى لعله يهتدى ويوفق .

أما قول الكاتب إننا نجد فى تضاعيف الرسالة ما نشاء من المذاهب الدينية والفكرية . . . الخ ، فهذا ليس بجديد ، وقد سبق أن ذكر أستاذنا الدكتور طه حسين بك ذلك كله فى مقدمته لرسائل إخوان الصفاء ، وذكر ذلك كل المستشرقين الذين بحثوا رسائل الاخوان . وأحب أن أقول الآن إن مذهب الاسماعيلية كله — لا فى رسائل إخوان الصفاء فقط — أخذ عقائده عن المذاهب الفلسفية اليونانية القديمة ، وعن الأفلاطونية الحديثة ، وعن الفارسية القديمة ، والحرنانية المخمسة ، وبالاختصار عن كل المذاهب التى عرفها العالم قبل الاسلام وبعده ، حتى عصرهم ، وأن الاسماعيلية اتفقوا مع المعتزلة فى مسائل وهاجموا المعتزلة فى مسائل أخرى ، واتفقوا مع الشيعة الاثنى عشرية فى أمور وخالفوهم فى أمور ، وأخذوا عن غلاة الشيعة أشياء

(١) راجع تعليق واحد فى الصفحة السابقة .

وهاجموا الغلاة فى أشياء . وهكذا كان الاسماعيلية — ومنهم إخوان الصفاء — سبباً فى أن تدخل بعض المذاهب القديمة فى الاسلام ، وقد ذكرنا ذلك كله فى بحث لنا نشر بمجلة « الراوى الجديد »عدد أول نوفمبر سنة ١٩٤٣ ، وفى المقدمة التى كتبناها فى نشر «ديوان المؤيد» داعى الدعاة وأتينا فى البحثين بنصوص صحيحة غير مشوهة ولا محرفة ولا ناقصة تؤيد القضية التى سقناها .

ونعود بعد ذلك إلى ما كتبه عن فصل الدين عن الدنيا ، فقد أرشد الله الأديب جبور إلى الصواب فأقر بما حاول ألا يقر به فى بحثه الأول . فالنتائج التى انتهى إليها فى مقاله بمجلة «الكاتب المصرى » تختلف عما أراده وما نشره فى مجلة « الأديب » البيروتية ، وهو لم يصل إلى هذه النتائج إلا بعد أن أتى بنصوص الاخوان كاملة بدلا من هذه النصوص الممسوخة التى أتى بها من قبل ، فأهنئ الأديب الكاتب لرجوعه إلى الحق . ولكن هناك مسألة أحب أن ألفت إليها نظر الكاتب وهى نظرية الاسماعيلية ومنهم الاخوان فى الخليفة . فالاسماعيلية يفرقون بين الامام والخليفة، فالامام هو صاحب الحق الشرعى المنصوص عليه من نسل النبى الكريم، والخليفة هو الذى استولى على الملك دون حق ومنع صاحب الحق حقه . فاذا كان الامام هو صاحب السلطة الدنيوية فهو إمام وخليفة . فمثلا نرى فى كتب الدعاة فى العصر الفاطمى أن صاحب الأمر فى مصر كان يسمى بالامام وبالخليفة معاً ، ولكن بعد أن انقسمت الدعوة بعد المستنصر الفاطمى سنة ٤٧٨هـ ، لم يعترف النزاريون بامامة المستعلى بن المستنصر فسموه بالخليفة . وبعد أن انتقل مركز الدعوة إلى اليمن بعد وفاة الآمر بن المستعلى وعرفت هناك باسم الدعوة الطيبية ، كانوا ينظرون إلى الحافظ والظافر والفائز والعاضد — آخر خلفاء الدولة الفاطمية — نظرتهم إلى الخليفة الذى اغتصب ملك الأئمة الشرعيين . وعلى ذلك يستطيع الأديب جبور أن يغير من رأيه فى تأويل الخليفة عند إخوان الصفاء وعند الاسماعيلية ؛ فان الخلفاء عندهم هم الملوك من أصحاب الدنيا ، و اذن لم يخالف إخوان الصفاء ما عليه مؤرخو المسلمين وما جاء فى القرآن الكريم من التفريق بين صاحب الدين وصاحب الدنيا . أما أن الاخوان كانوا يأخذون بنظام الفيثاغوريين لتحقيق مبادئهم ، فواضح من رسائلهم أنهم متأثرون بالفيثاغوريين فى مبادئهم

الفلسفية ، ولا سيما فى فلسفة الأعداد . فلا غرابة أن يتبع الاخـــوان الفيثاغوريين ونظمهم للوصول إلى غايتهم وهى إخضاع العالم الاسلامى لعقائدهم ولسلطان إمامهم العلوى الاسماعيلى .

أما ما ذهب إليه الأديب من « أن القول بأن التنجيم من الأمور التى ألفها الناس فى حضارة العرب كما أنها عرفت فى الحضارات القديمة ولا يزال بعض الناس يؤمنون بها فهو قول فاسد » فهذا يضطرنى إلى أن أسوق للأديب ما قاله العلامة جورج زيدان فى كتابه « تاريخ التمدن الاسلامى »: « وأول من عنى بالتنجيم والنجوم فى النهضة العباسية أبو جعفر المنصور ، فترجموا له السندهند واقتدى به خلفاؤه وأصبح للتنجيم شأن كبير عندهم حتى فى إبان العصر العباسى ، وكان المنجمون فئة من موظفى الدولة كما كان الأطباء والكتاب والحساب ولهم الرواتب والأرزاق وكان الخلفاء يستشيرونهم فى كثير من أحوالهم الادارية والسياسية . فاذا خطر لهم عمل وخافوا عاقبته استشاروا المنجمين فينظرون فى حال الفلك واقترانات الكواكب ثم يشيرون بموافقة هذا العمل أو عدمه ، وكانوا يعالجون الأمراض على مقتضى حال الفلك ، وكانوا يراقبونها ويعملون بأحكامها قبل الشروع فى أى عمل حتى الطعام والزيارة ، على أن علماء الشرع الاسلامى كانوا يبينون فساد هذا الاعتقاد ويخطئونه ويردونه ، والناس على اعتقادهم ولا يزال بعضهم على ذلك إلى اليوم [1] . » ولعل الكاتب يتذكر قصة فتح عمورية وقصيدة أبى تمام التى مطلعها :

السيف أصدق إنبــاء من الكتب
فى حده الحد بين الجد واللعب

ولعله قرأ تلك القصص العديدة عن أبى معشر البلخى المتوفى سنة ٢٧٢ وكيف كان يتكسب بالتنجيم ، إلى غير ذلك من الأدلة العديدة التى لا حصر لها على أن علم التنجيم كان يسير مع علم الفلك جنباً إلى جنب فى تاريخ الحياة عند المسلمين . وكنت أحب أن يتم الأديب جبور نص ما اقتبسه عن الأستاذ نالينو ولا يقتطع منه حتى تتم الفائدة . فقد ذكر أستاذنا نالينو ما ترجمته : « وقد أجمع المتكلمون والفقهاء والفلاسفة على إنكار التنجيم

(١) ج ٣ ، ص ١٨٦ (الطبعة الثانية) .

ولم يشذ عنهم إلا نفر قليل كالكندى وإخوان الصفاء وفخر الدين الرازى . ولم يكن لهذا الانكار من أثر فى الواقع ؛ ذلك أن التنجيم كان له شأن فى قصور الخلفاء والسلاطين وبين العامة ، وظل كذلك إلى القرن الماضى فكان فى دخول الحضارة الغربية عامة ومذهب كوبرنيقوس خاصة القضاء المبرم على التنجيم ، بيد أنه لا يزال موجوداً فى البلاد التى لم تصب من الحضارة الغربية إلا قليلا .[1] » فكيف نتعسف فى أحكامنا ونرمى إخوان الصفاء وحدهم بالوثنية لأنهم ذهبوا هذا المذهب ؟ وكيف يكون قولنا فاسداً لأننا قلنا إن التنجيم كان معروفاً سائداً فى البلاد الاسلامية ؟ هذا ما لم أعرف تعليله .

وقد قلت فى مقالى السابق إن التأويل الباطنى للعبادة الفلسفية هو العبادة الباطنية التى دان بها الاسماعيلية ومنهم إخوان الصفاء . ولكن الأديب جبور عاد واتخذ ظاهر كلام الاخوان وفسره تفسيراً ظاهريا أيضاً دون أن يفطن إلى أسرارهم ويدرك تأويل كلامهم ، فذهب إلى أن العبادة الفلسفية هى العبادة الوثنية الحرانية ، ولا أجد الآن متسعاً من الوقت للتدليل على ما ذهبت إليه ولا سيما أنى أعمل الآن فى نشر كتاب « راحة العقل » ففى هذا الكتاب بالذات ما يشفى غلة الأديب جبور ويطلعه على بعض أسرار العبادة الفلسفية، وسيرى أن هذه العبادة ليست بوثنية حرانية ! بل هى صبغ الآراء الفلسفية القديمة والمذاهب الدينية المختلفة بالصبغة الاسلامية . فلتنتظر صدور هذا الكتاب الذى سيميط اللثام عن كثير من أسرار الاخوان .

وأختم كلمتى بأن أسال الأديب جبور هل ثبت لديه أن مؤلفى الرسائل هم هؤلاء الذين وردت أسماؤهم فى كتاب المقابسات وفى أخبار الحكماء للقفطى حتى يذهب إلى أن الذين عرفوا بمساهمتهم فى الرسائل رموا بالخروج عن المألوف فالاخوان إذن وثنيون ؟ وما علاقة الحكيم المجريطى برسائل إخوان الصفاء ؟ فاذا استطاع الأديب أن يأتى لنا بشئ جديد عنهم فيكون قد فتح لنا فتحاً جديداً فى هذا اللون من الدرس بعد أن أعيانا البحث فى ذلك .

محمد كامل حسين
مدرس بكلية الآداب

(١) راجع الترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية مادة التنجيم .

من وراء البحار

أندريه مالرو وناقدوه

فى مجلة « سكروتنى » عدد الربيع بحث هام بقلم مستر ميسون الأديب والناقد الانجليزى عن أندريه مالرو الأديب الفرنسى الذى قامت حوله ضجة فى هذه الأيام ، وعن الناقدين الفرنسيين الذين تعرضوا له بالمدح أو الذم .

ويعد هذا المقال أيضاً بمثابة وصف لحالة النقد الفرنسى فى فرنسا . ويظهر أن مستر ميسون يرى أن النقد الأدبى فى فرنسا متأخر . فهو يقول إنه نظر فى المجلات الفرنسية الشهرية التى تعنى بالنقد، فأمكنه أن يتذكر فى الحال أسماء خمس عشرة مجلة كبيرة لكل منها جماعة من الناقدين ، ولكن الفحص لهذه الكمية الكبيرة من الكتابات النقدية يؤدى إلى نتيجة غريبة ؛ فهو يدهش إذ يرى أنه لم يجد منها المساعدة التى كان ينتظرها ، إذا بحث عن كاتب حديث كألبير كامو مثلا . وهو يرى أن هذا الاهمال فى تتبع الأعمال الأدبية ونقدها ، ليس علة من العلل التى ظهرت فيها بعد الحرب ، بل هو يظن أن تفكيره فى المجلة الفرنسية الجديدة .N.R.F التى كانت تصدر قبل الحرب ، يؤدى به إلى أن يقول إنه لم يجد فيها إلا القليل مما يتخذ نموذجاً فى النقد الأدبى .

فمثل هذا البحث البسيط يدل على مشكلة لها شئ من الأهمية ، ويبعث على الريبة فى نوع الاهتمام الكبير الذى يجده الأدب فى هذه الأيام . ولعل من أهم مظاهر الأدب الفرنسى فى هذه الأيام ، الاحترام الكبير للروائيين الأمريكيين . فلقد ابتدأ الفرنسيون منذ سنة ١٩٣٠ ينقلون روايات فولكنر وهمنجواى وكلدويل ودوس باسوس وشتاينبك إلى لغتهم . ولعل هذا العمل هو أهم الحوادث فى تاريخ الأدب الفرنسى المعاصر . وهو يقول أنه ليس بين يديه إحصاءات ، ولكن نظرة يلقيها على دليل أحد الناشرين تظهر له تفوق الروايات الأمريكية على المنتجات الأدبية الوطنية . ويكتب كبار الأدباء الفرنسيين المقدمات لهذه

الروايات أو يعلقون عليها تعليقاً طويلا فى المجلات ، ويقول مسيو سارتر إن «ثلثى المؤلفات المخطوطة التى يقدمها الشبان للمجلة التى يديرها هى تقليد لكالدويل أو همنجواى أو دوس باسوس » .

وتأثير السياسة فى الأدب هو الآن قوى كما كان دائماً قويا فى تاريخ فرنسا . فالمناقشة حول الماركسية التى شغلت عالم الأدب الانجليزى قبل الحرب ، وانتهى الأدباء منها ، لاتزال مستعرة فى المجلات الفرنسية . ويجب لكى نقف على المثال الذى يحتذى فى هذا الجدل أن نتجه إلى روسيا بدلا من انجلترا أو أمريكا . على أن هذا النموذج من الجدل معروف ؛ ففى السنوات السابقة للحرب رأينا الاستعراض الذى عرضه جيد . ولكى نجد نوعا مما يجرى بعد الحرب فقد نختار النزاع الأدبى الذى يقوم حول أندريه مالرو ؛ فقد رحب الكثير من الأدباء الشيوعيين بقصصه الأولى على أنها أدوات مفيدة فى خدمة القضية الشيوعية . ويظهر أن مالرو نفسه ظل بعض الوقت يبذل مجهوداً ليكتب ما يلائم الأدب اليسارى ؛ ولكنه فى أثناء الحرب ابتعد عن الشيوعيين . والآن يقال إنه على علاقة وثيقة بالزعيم دى جول ؛ وعلى ذلك قد صار هدفاً لحملات النقاد من الشيوعيين .

ويمكن الوقوف على نوع هذا الجدل بالرجوع إلى مقال نشره أخيراً مسيو كلود مرجان فى مجلة « الآداب الفرنسية » . فقد أراد مسيو مرجان أن يجيب على أسئلة القراء الذين سألوه : لماذا يحمل دائماً على مالرو وهو «مؤلف مهما يقل فيه فهو من كبار الكتاب اليساريين » . وهو يعترف بأن هذا هو رأى جمهور الناس ؛ ولكنه يزعم بأن مالرو قد حصل على هذه الشهرة لأنه فى أثناء بحثه عن المغامرات التى قد تؤدى به إلى أن يلعب دوراً هاما ، حدث أن صار يساريا لوقت ما . ولكن مالرو الحقيقى — على قوله — هو مترجم حياة ت. ا. لورنس الذى يعمل لتقليد ذلك الانجليزى ، وهو الوزير فى وزارة دى جول . ويقول مسيو مرجان أن مالرو ظهر فى ثوبه الحقيقى عندما قال لطلاب السربون فى بحث عن التقاليد : « إن المشكلة الحقيقية ليست هى نقل الحضارات فى أنواعها ، ولكن هى معرفة كيف أن كل صفة من الصفات الانسانية التى تصور كل حضارة ، قد وصلت إلينا ؛ وكيف صارت قيمتها لنا » . والعبارة التى أثارت سخط الشيوعيين فى هذه المحاضرة

هى : « إنه لا يهم مطلقاً أن يكون من بينكم أنتم أيها الطلاب فريق من الشيوعيين أو الذين يخاصمون الشيوعية أو أحرار أو أى شئ آخر (وأحدثت هذه الكلمات ضجة) لأن المشكلة الحقيقية الوحيدة هى معرفة ما فوق هذه الأبنية ، وبأى نوع نستطيع أن يفيد خلق الانسان من جديد . » وقد اختتم مسيو مرجان مقاله بقوله : « إنه بعد أن ظهرت هذه الأدلة على طبيعته الحقيقية لا أفهم أن يكون فى فرنسا أو فى الخارج رجل مثقف من رجال اليسار يدافع عن مالرو » .

ويقول مستر ميسون إن فحص الصحافة الأدبية الفرنسية ، التى يهب فيها النزاع حول مالرو من جميع الجهات، يدل على أن النقاد الفرنسيين لا يهتمون إلا قليلا بالقيمة الأدبية للمؤلفات ، ولما يجب من التمييز الضرورى بين المؤلف ومؤلفاته ،وبين الرسالة التى يمكن استخلاصها من ملاحظات أحد أشخاص الرواية ، والتأثير العام للرواية التى يظهر فيها هذا الشخص . فالناقد الفرنسى يلقى وراء ظهره ، إذ يأخذ فى كتابة نقده ، جميع القواعد الأولية التى لا يكون النقد باهمالها صحيحاً .

ويفحص مستر ميسون رأيين ظهرا أخيراً فى كتابين عن أندريه مالرو ، ليظهر هذا النقص فى النقاد الفرنسيين . وأحد الكتابين ألفه مسيو جايتان بيكون ، والآخر ألفه مسيو كلود مورياك .

ولقد قال مسيو مورياك فى مقدمة كتابه إنه عندما يكتب عن مؤلف مات ، أو لا يستطيع أن يتطور بعد ذلك ، يحاول أن يجد « فكرة مركزية تبيح له وتنظم عمل المؤلف فى مجموعه » . ويظهر أن مسيو مورياك التجأ إلى هذه الطريقة فى كتابيه السابقين عن جوداندو وكوكتو . على أنه ليس من المعقول أن عدداً من الروايات التى تؤلف مجموعة من العمل الأدبى ، يمكن أن تستخلص منها فكرة مركزية واحدة ، من غير أن تبتعد عن موضوعاتها ، ومن غير أن تخل بما فى كل منها من صفات شخصية ، هى التى تجعل لها قيمة ؛ فليس فى نسج الخيال ما يمكن تنظيمه وترتيبه على هذه الطريقة . والمحاولة لايجاد مثل هذه الفكرة المركزية لا تنجح إلا إذا تجاهلنا ما نسميه المميزات الأساسية . ويعتذر مسيو مورياك عن كثرة الاستشهاد بعبارات مقتبسة من مؤلفات مالرو بأن ذلك يؤدى إلى استخلاص

« أسرار المؤلف واكتشافها » .

ويسائل مستر ميسون أى نوع من النقد ينتظر من مثل هذه المبادىء، وأية أسرار يمكن أن نعثر عليها ! فمثلا نرى مسيو مورياك يلاحظ أن « تشين » فى قصة « الحالة البشرية » يكرر حركة كأنه يريد أن يشوه نفسه ، فى كل مرة يقدم فيها على القتل ، والمؤلف نفسه هو الذى ينبهنا إلى ذلك. ومع ذلك يفرض مسيو مورياك أن المؤلف هو الذى يكرر ذكر هذه المسألة ، دون أن يشعر ، ويستخلص منها ما يستخلص من شذوذ جنسى فى طبيعة المؤلف ، مستشهداً بمقتبسات من رواياته من هنا وهناك . ولاريبَ فى أن مسيو مالرو لا يبعث على الشعور القوى بالحب الطبيعى ، ولا ينحى باللائمة فى أى مكان من مؤلفاته على الأعمال الشاذة التى توجد فى الأشخاص الذين يرسمهم . ومن الحق أن نقول إنه يصف مناظر فظيعة ، وأعمالا تقشعر لها الأبدان ، دون أن يكون لها شأن فى موضوع رواياته . ولكن الطريقة التى تبعها مسيو مورياك مما يخرج به عن النقد الأدبى .

والعجيب أن مسيو مورياك يقول إنه لا يهتم بروايات مالرو ، وإنما يهتم بكشف أفكار مالرو الداخلية ، وهذا النوع الكريه من النقد هو دائماً من صفات النقد الفرنسى .

أما مسيو بيكون فهو يبتدىء أيضاً ببيان القواعد التى سيستعملها فى نقده؛ وهو يدافع عن النقد الذى يتناول الأحياء من الأدباء ، ويرى أن الواجب الأول على الناقد الحقيقى هو الاهتمام بأدب عصره . وهو يتهم المعاصرين من النقاد بالخوف والعبودية . وهو يلاحظ ، وفى ملاحظته الكثير من الصدق ، أن أكثر الكتب الباحثة فى الأدب المعاصر إن هى إلا غابة من الأسماء لا تظهر فيها محاولة للتمييز بين الغث والسمين ؛ وإذا تكلم ناقد عن أديب معاصر فهو يفعل ذلك من أجل الصداقة لا من أجل الحكم له أو عليه.

ويقول مسيو بيكون إن جيل مالرو يتضاءل إذا قورن بجيل بروست وبجى وكلوديل وابولينير وجيد وفاليرى .

ويلاحظ مستر ميسون عرضاً ، أنه قد حان الوقت لاعادة تقدير هذه الأسماء الشهيرة بميزان جدى .

ويرى بيكون أن مالرو ليس فناناً ، ومع ذلك فهو أكبر كاتب فى عصره . وهو يقول إنه لا يستطيع الحكم على روايات مالرو حكما منزها ؛ ومع ذلك فهو لايسلم لمالرو تسليما كاملا . فهو يرى فى مالرو ما رآه جيل

سابق فى جيد ، أى « إننا لا نستطيع اختيار طريقنا دون أن نحسب حساباً لطريقه » . والحقيقة أن مسيو بيكون يلجأ فى تقديره إلى العاطفة أكثر مما يلجأ للنقد الصحيح . فهو يبرئ مالرو من تقلبه بين الشيوعية وبين ديجول بقوله : « ليس من الولاء . . . أن نفصل بين مالرو وأولئك الذين يريد أن يتحد معهم » . وهو لا يفهم لماذا كتب فرنسوا مورياك فى يومياته « إن نقطة الضعف فى مالرو أنه يحتقر الانسان » ولا يحاول تفسيراً جديداً للروايات الأولى التى يظهر فيها صحة هذا القول .

ونتيجة هذه النظرة البعيدة عن النقد ، أنه يتبع التأكيدات الغامضة باعترافات خطيرة . فهو بعد أن يكتب الصفحات عن الاخوة والرجولة فى موضوعات قصصه ، يعود فيقول « إن مالرو فى الواقع لا يشعر شعوراً قويا نحو الفرد ولا نحو الجمهور » .

ومن صفات هذا الاتجاه العاطفى أن يحل بريق العبارات محل النقد . وهذه صفة يتصف بها الكثيرون من النقاد الفرنسيين الذين يكتبون فى المجلات والصحف الأدبية .

ويتناول مستر ميسون جوانب من أقوال مسيو بيكون ليظهر فيها كيف أن هذا الكاتب يتذبذب فى رأيه نتيجة لسلوكه الطريقة العاطفية ، بدلا من اتجاهه نحو النقد الصحيح .

فهرس المجلد السادس

يونيو — سبتمبر ١٩٤٧

كتب معربة

عدد ٢٣ [أغسطس ١٩٤٧]

زديج أو القضاء لڤولتير

ترجمة طه حسين

عدد ٢٤ [سبتمبر ١٩٤٧]

هيروشيما لجون هرسى

ترجمة حسن محمود

دراسات أدبية

حسن محمود

رسائل لفولتير ٤٣٧

رفائيل بطى

معروف الرصافى ٨٥

ريمون فرنسيس

ثلاث شخصيات فى مسرحيات سوفوكليس ٩٤

محمود تيمور

عبد العزيز فهمى ٢١٩

طه الحاجرى

العتبى ٢٤٧

طه حسين

ملاحظات ٩

إجازة ١٩٥

دراسات فلسفية

جبور عبد النور، معالم الوثنية فى رسائل إخوان الصفاء ١١٦

دراسات اجتماعية واقتصادية

سلامه موسى
فلسفة للحياة وديانة للضمير ٢٧٦

هنري برلين
* إعادة بناء هولندا (١) ٢٩١

دراسات تاريخية

حسن محمود
أمير تركى فى قصر البابا ٧١

محمد عبد الله عنان
قصة الموريسكيين ٢٦٨

دراسات سياسية

سليمان حزين
رابطة الماء فى وادى النيل ٥١
رابطة الجنس والثقافة فى وادى النيل ٢٢٨

محمد رفعت
مصر والسودان ٢٢
إيطاليا والبحر المتوسط......... ٢٠٧

محمد عبد الله عنان تطور الدبلوماسية الأمريكية......... ٦٣

دراسات فنية

بشر فارس
جولة مستطلع فى الموسيقى والمسرح ٣٠١

هيلديه زالوشر
* الفن البدوى (٢) ١٠٣

* كل مقال أمامه هذه العلامة كتب خاصة للمجلة بقلم كتاب أوربيين أو أمريكيين .

(١) *The Reconstruction of Holland*, by Henry Baerlein

(٢) Hilde Zaloscer, *L'art nomade*

دراسات علمية

حسن محمود
الطاقة الذرية والاشراف عليها ٦١٧

محمد كامل حسين
علمان ضالان ٢٥٩

قصص

ستفانو ترا
* الاجازة (١) ٢٨٥
* الجرح فى البطن (٢) ٢٨٨

محمود تيمور
شيخ الخفر ٣٧

يحيى حقى
وراء الستار ٢٤٣

شعر

ابراهيم محمد نجا
حيرة شاعر ٢٦٦

خليل مطران
غاية الفن ٤٩

على الخطيب
فى الأرض ١٣٢

محمد مهدى الجواهرى
يوم البطل جعفر أبو التمن ٨١

محمود إدريس قمر على رمال الساحل ٣٠٧

من هنا وهناك

إميل غالى
نشأة الصحافة الفرنسية فى مصر ١٣٤

محمد توفيق
آثار الدولة المعينية فى جوف اليمن ٤٥٠

دومنيك أربان
رأى شاعر فرنسى كبير فى أحد معاصريه من الكتاب ٣٠١

محمد كامل حسين
إخوان الصفاء ... أيضا ٦٤٤

(١) Stefano Terra, *La licenza*

(٢) Stefano Terra, *La ferita nel ventre*

شهرية السياسة الدولية

محمود عزمى يونيه ١٤٠

شهرية المسرح

رشدى كامل ركود ١٤٥

شهرية السينما

رشدى كامل صورة ماريا كانديلاريا ١٤٨ ، لمحات ٣١٣

شهرية العلم

محمد كامل حسين العلوم عند العرب ٤٥٧

شهرية الاجتماع

الأزمة الاقتصادية فى بريطانيا ٤٦٣

من كتب الشرق والغرب

إتيامبل
* الحياة اليومية فى مصر فى أيام الرماسة (١) ١٥٢
* الوطن يخلق كل يوم (٢) ٣١٩

---

(١) Etiemble, *La vie quotidienne du temps des Ramsès*

(٢) Etiemble, *La patrie se fait tous les jours*

من وراء البحار

أوربا المتحدة أو المنقسمة ١٥٥ ، اتجاه فى السياسة الدولية ١٥٩ ، أسطورتان سياستان ١٦١ ، إسبانيا ووراثة العرش ٣٢٤ ، الأدب الأمريكى فى سنى الحرب ٣٢٦ ، ماذا تريد روسيا ٣٢٩ ، ألمانيا وموقفها السياسى فى الوقت الحاضر ٤٧٤ ، أندريه مالرو وناقدوه ٦٥٠

ظهر حديثاً

ابراهيم المصرى
قلوب النـاس ٣٣٨

احمد محمد شاكر
سند أحمد ١٦٨

السيد عبد الحسين شرف الدين
أبو هريرة ١٦٨

انجلز (فردريك)
ترجمة راشد البراوى
التفسير الاشتراكى للتاريخ ١٦٦

بشر فارس
صورة جديدة تمثل النبى العربى. ٣٣٧

رياض شمس
حرية الرأى ٤٨٤

ستندال
تعريب عبد الحميد الدواخلى
دير بارم ٣٤٣

سلامه موسى
عقلى وعقلك ٤٨٠

عبد الحليم الجندى
جرائم واغتيالات القرن العشرين. ١٦٥

عبد الرحمن زكى
مصر الظافرة ١٦٧

محمد عزة دروزة
عصر النبى عليه السلام وبيئته
قبل البعثة ١٦٨

مورياك (فرانسوا)
تعريب محمد عبد الحميد عنبر
وعبد المجيد عابدين
والدة ١٦٤

ميريميه (بروسبير)
تعريب محمد غلاب
كولومبا ٤٨٢

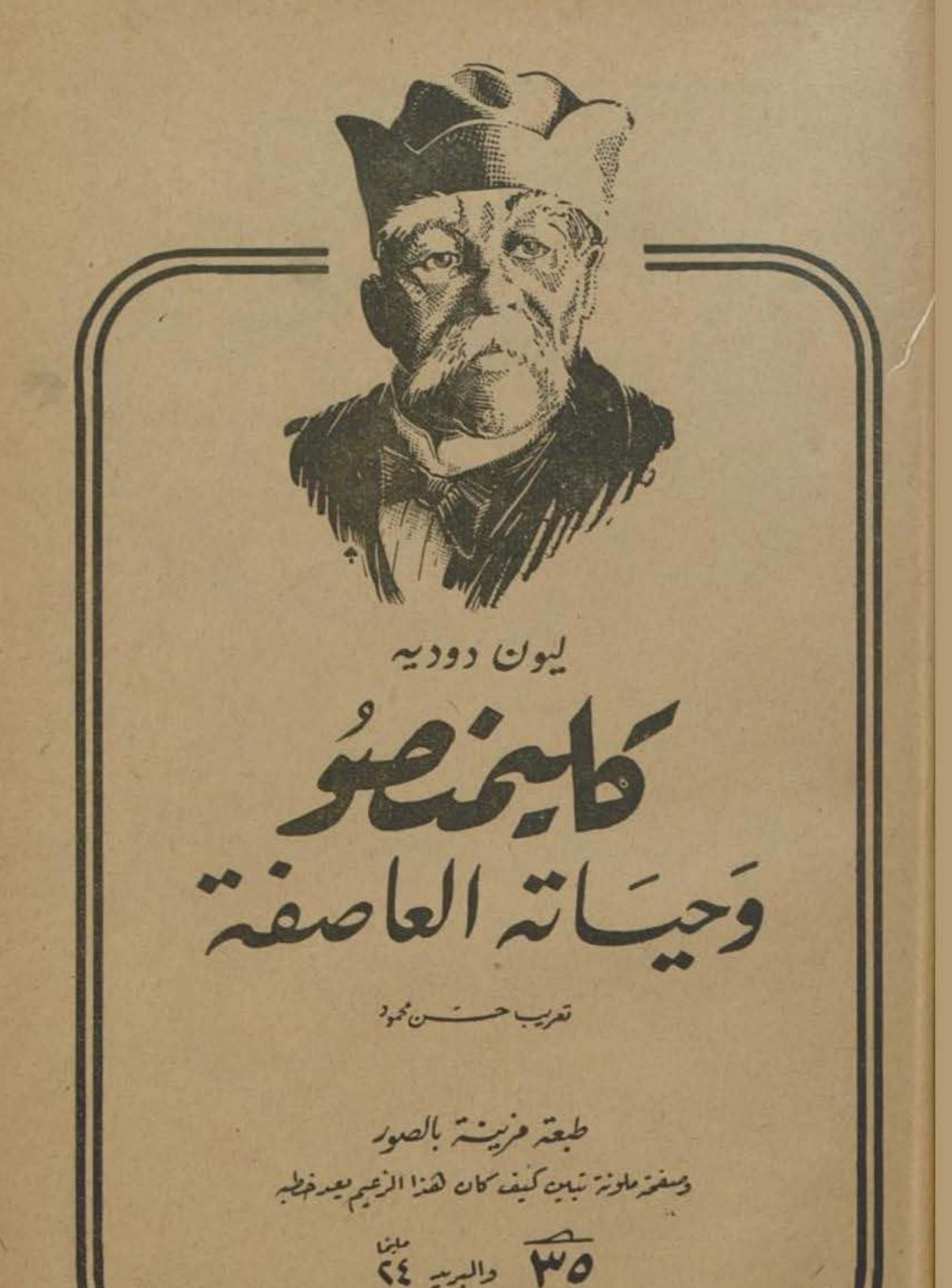
هكسلى (أولدس)
تعريب محمود محمود
العالم الطريف ٣٣٥

فى مجلات الشرق

من العراق ١٧٤ ، ٣٤٧ ، ٤٨٧ ، من لبنان ١٧٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٤٩٠ ،
من سوريا ٣٤٩ ، من الحجاز ٤٨٦ ، من فلسطين ٤٩١ .

فى مجلات الغرب

من باريس ١٨٢ ، ٣٥٢ ، ٤٩٧ ، من لندن ١٨٧ ، ٣٥٣ ، ٥٠٣ ،
من الجزائر ١٨١ ، من روما ٣٥٥ ، من الولايات المتحدة ٤٩٣ .


ليون دوديه
كليمنصو
وحياته العاصفة
تعريب حسن محمود
طبعة مزينة بالصور
وصفحة ملونة تبين كيف كان هذا الزعيم يعد خطبه
٣٥ مليما والبريد ٢٤



الباب الضيق

تأليف أندريه جيد

تعريب نزيه الحكيم

مع رسالة من أندريه جيد الى المترجم

ورد طه حسين الى أندريه جيد

« ترجمة كتبى الى لغتكم ؟ . . .
الى أى قارىء يمكن أن تساق ؟
وأى الرغبات يمكن أن تلبى ؟ ذلك
أن واحدة من الخصائص الجوهرية
فى العالم المسلم فيما بدا لى ، أنه وهو
الانسانى الروح يحمل من الأجوبة
أكثر مما يثير من أسئلة . أمخطىء أنا ؟ »

أندريه جيد

« لم تخطىء أنت ، وإنما دفعت
الى الخطأ . لقد خالطت كثيراً من
المسلمين ولكنك لم تخالط الاسلام . . .
فلو قد تعمقوا الدين تعمقاً دقيقاً
لأظهروك على ما يشير القرآن من
مسائل وما يعرض لها من جواب . »

طه حسين

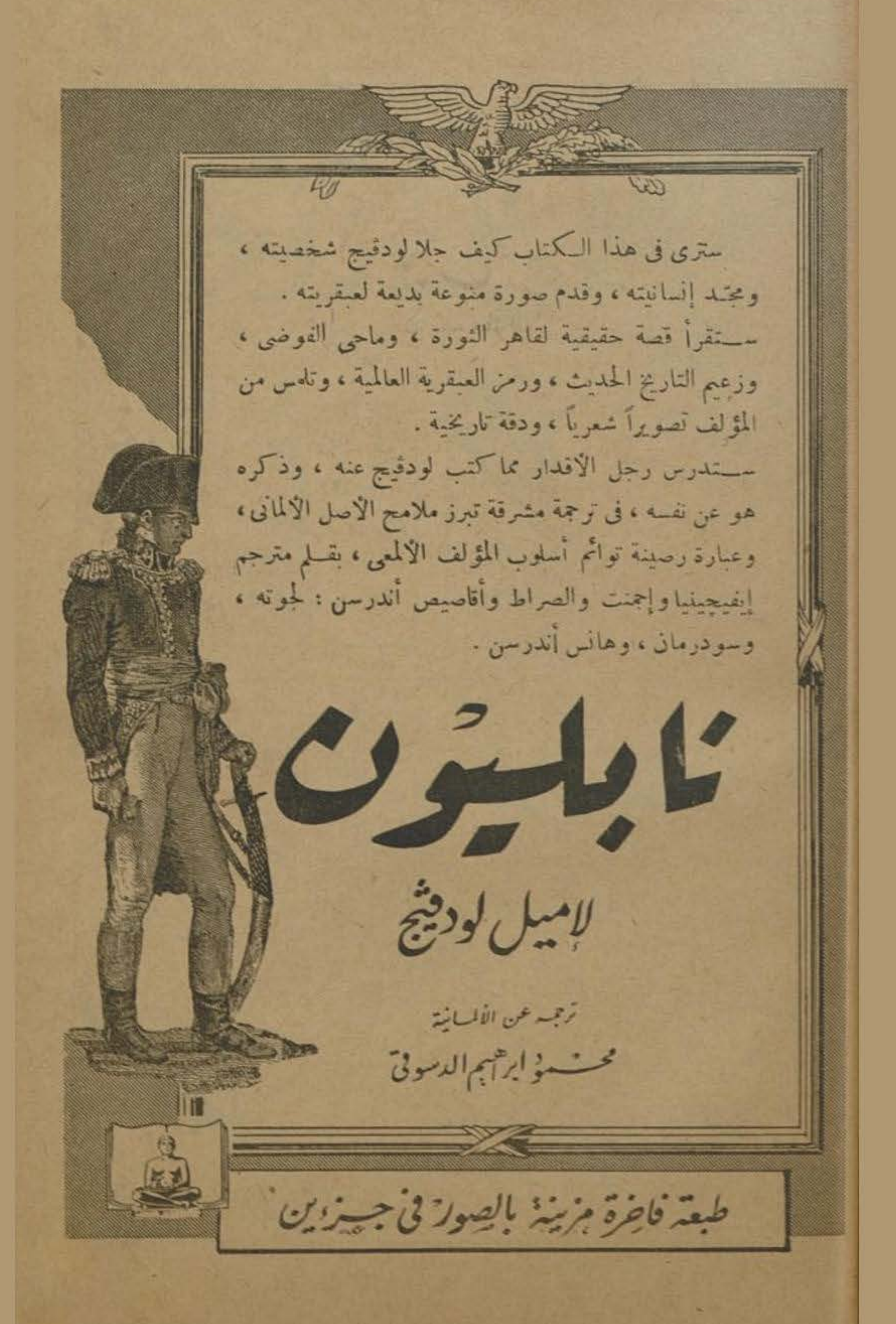
[من مقدمة كتاب « الباب الضيق »]

١٤٦ صفحة

الثمن ١٨ قرشاً (البريد ١٢ مليما)



رجل الأقدار
في هذا الكتاب الفذ، لمؤلفه الفذ، يبدو نابليون عظيما في
رفعته، عظيما في محنته، يثير الاهتمام اليوم، كما أثاره قبل اليوم،
ويثيره بعد اليوم: شخصية ضخمة يتعدل فيها الرأى كل يوم.
فنابليون السائس، ونابليون القائد، ونابليون المفكر، قد
كان إلى ذلك رباً من أرباب القلم، ومالكا قديراً لناصية الكلم.
في هذا الكتاب يحدثنا نابليون عن نفسه، ويعيش في حاضرنا
كما عاش في حاضره، ويعرض صور عصره حية متحركة.
نابليون الواسع العلم، المحدق بالعالم، المحيط بتاريخه، وهو
ما يزال غض الإهاب، في شرخ الشباب.
نابليون الذى وضع أذنه دائماً على قلب الجماهير شأن
الطبيب الفاحص، لا المحب الواله، فعرف اتجاهها،
وسيرها في اتجاهه.
نابليون الذى تفوق في أعماله الحربية بصفاته
الذهنية، وكان سلاحه النظر، والحساب،
والتصميم، والفصاحة، ومعرفة الناس.
نابليون الذى اعتز بلقب عضو
المعهد أكثر مما اعتز بلقب الفاتح.
هل كان رجل جلاد، مبيداً
للعباد، عاملا لشخصه، بانياً لمجده؟
نابليون
دار الكاتب المصري
ثمن الجزء ٤٥ والبريد ٣٦ مليما



سترى فى هذا الكتاب كيف جلا لودفيج شخصيته ، ومجّد إنسانيته ، وقدم صورة منوعة بديعة لعبقريته .
ستقرأ قصة حقيقية لقاهر الثورة ، وماحى الفوضى ، وزعيم التاريخ الحديث ، ورمز العبقرية العالمية ، وتلمس من المؤلف تصويراً شعرياً ، ودقة تاريخية .
ستدرس رجل الأقدار مما كتب لودفيج عنه ، وذكره هو عن نفسه ، فى ترجمة مشرقة تبرز ملامح الأصل الألمانى ، وعبارة رصينة توائم أسلوب المؤلف الألمعى ، بقلم مترجم إيفيجينيا وإجمنت والصراط وأقاصيص أندرسن : لجوته ، وسودرمان ، وهانس أندرسن .
نابليون
لاميل لودفيج
ترجمه عن الألمانية
محمود ابراهيم الدسوقى
طبعة فاخرة مزينة بالصور فى جزءين

مِن حَولنا

قصص مصرية

تأليف محمد سعيد العريان

جيل من الناس فى أفراحه وآلامه، يرى كل قارئ فى مرآته صورة من نفسه، أو صورة من حوله، فى إطار قصصى رائع فى بيانه وفى فنه.

٢٦٠ صفحة

الثمن ٢٥ قرشاً (البريد ٢٠ مليما)



٢٥٠ صفحة

الثمن ٢٥ قرشاً (البريد ٢٤ مليما)

قلوبُ الناسِ

قصص تحليلية

تأليف إبراهيم المصرى

قصص جديدة للكاتب المعروف

إبراهيم المصرى

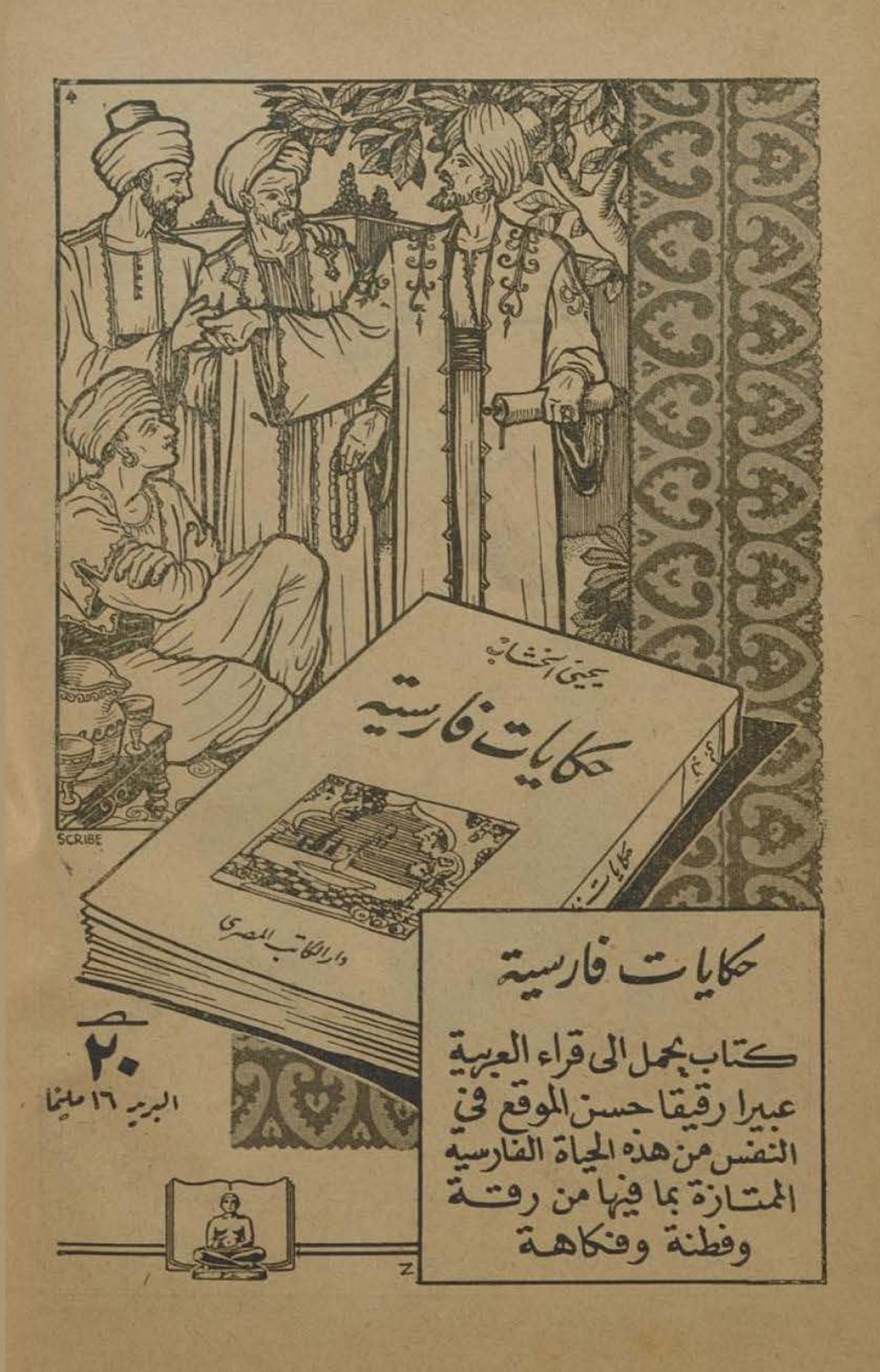
يصور فيها بيئتنا المصرية الحديثة

فى أسلوبه السهل الجذاب



١٤٤ صفحة

الثمن ١٥ قرشاً (البريد ١٨ مليما)


يحيى الخشاب
حكايات فارسية
دار الكاتب المصري
حكايات فارسية
كتاب يحمل الى قراء العربية
عبيرا رقيقا حسن الموقع في
النفس من هذه الحياة الفارسية
الممتازة بما فيها من رقة
وفطنة وفكاهة
٢٠
البريد ١٦ مليما
SCRIBE



ثمن الجزء ٣٠ قرشاً (بريد الجزأين ٤٠م)





٣٢٠ صفحة

الثمن ٣٠ قرشاً (البريد ٢٤ مليما)




كتاب يعد فتحا جديدًا فى الأدب
أرض البشر
للكاتب الطيار انطوان دى سانت اكسوبرى
رائد من الرعيل الأول
للطيارين ينظر إلى الكون خلال
تجربته نظرة الشاعر الفيلسوف،
يصلنا بالآفاق الشاسعة
ويضعنا فى صميم الخطر
وفى صميم العمل ..
انطوان دى سانت اكسوبرى
أرض البشر
تعريب مصطفى كامل فوده
دار الكاتب المصرى
تعريب مصطفى كامل فوده
طبعة مزينة بالصور
٢٥ م
والبريد ٢٠ مليمًا



المقامر

تأليف فيدور دستويفسكى

تعريب شكرى محمد عياد

قصة شاب ممتحن بداء القمار لقى من هذا الداء فى حياته شراً عظيما. وهى قصة عنيفة تستأثر بحاجة القارىء إلى الاستطلاع.

١٦٩ صفحة
الثمن ١٨ قرشاً (البريد ١٦ مليما)

الحب الأول

تأليف إيڤان ترجنيف

تعريب محمود عبد المنعم مراد

قصة ساذجة تصور قلب شاب ناشىء يندفع إلى الحب فى غير احتياط ولا تحفظ وما يصيبه من يأس حينما يعلم أنه كان يحب عشيقة أبيه.

١٠٤ صفحة
الثمن ١٥ قرشاً (البريد ١٢ مليما)



آية فنية خالدة
للكاتب الشهير أوسكار وايلد
صورة دوريان جراى
صراع بين الإثم والضمير
صورة تهرم بينما صاحبها
محتفظ بشبابه
نقد للحياة الاجتماعية الانجليزية
فى مزاج من الهزل والجد
٣٠
والبريد ٤٠ مليما
اوسكار وايلد
صورة دوريان جراى
تعريب لويس عوض
اوسكار وايلد
صورة دوريان جراى
دار الكاتب المصرى
اوسكار وايلد
شبح كانترفيل
تعريب لويس عوض
شبح كانترفيل
١٨ قرشا
والبريد ١٦ مليما
مظهر آخر لفن اوسكار وايلد
مغامرات شبح يجول فى ابهاء قصر عتيق
موازنة بين العقل الانجليزى
المحافظ والعقل الأمريكى المجدد.
قصة فكاهية مرحة



عقلى وعقلك

تأليف سلامه موسى

أوفى كتاب فى علم النفس الحديث يبسط آخر المعارف عن هذا العلم بلغة واضحة ليس فيه جملة معقدة أو فكرة مبهمة تقرأه فتقف منه على أسرار النفس البشرية وحركة التفكير .

٢٠٠ صفحة

الثمن ٤٠ قرشاً (البريد ٢٨ مليما)

العقيدة والشريعة فى الإسلام

للمستشرق العظيم

إجناس جولدتسيهر

نقله إلى اللغة العربية وعلق عليه

محمد يوسف موسى

عبد العزيز عبد الحق

على حسن عبد القادر

٤٠٠ صفحة

الثمن ٨٥ قرشاً (البريد ٤٠ مليما)

تاريخ الفلسفة الأوربية فى العصر الوسيط

تأليف

الأستاذ يوسف كرم

مدرس الفلسفة بكلية الآداب

بجامعة فاروق الأول

٢٦٦ صفحة

الثمن ٥٠ قرشاً (البريد ٣٦ مليما)



مدونة جوستنيان

في الفقه الروماني

ألفه فقيه القياصرة في قسطنطينية

الأمبراطور جوستنيان

ونقله الى العربية امام القضاة في مصر

معالى عبد العزيز فهمى باشا

أخرجته

دار الكاتب المصرى

في طبعة ممتازة

وتجليد أنيق

الثمن
١٥٠ قرشا



البريد المسجل ١٠٠ مليما
وللخارج ١١٢

تحت الطبع

سافونارولا

قصة الراهب الثائر والمصلح الديني والسياسي والاجتماعي

للدكتور حسن عثمان

الضحك

للفيلسوف الفرنسي هنري برجسون

تعريب سامي الدروبي وعبد الله عبد الدايم

غانية أطلنطا

قصة رائعة للكاتب الفرنسي بيير بنوا عضو المجمع اللغوي الفرنسي

تعريب رشدي كامل

عقدة الافاعي

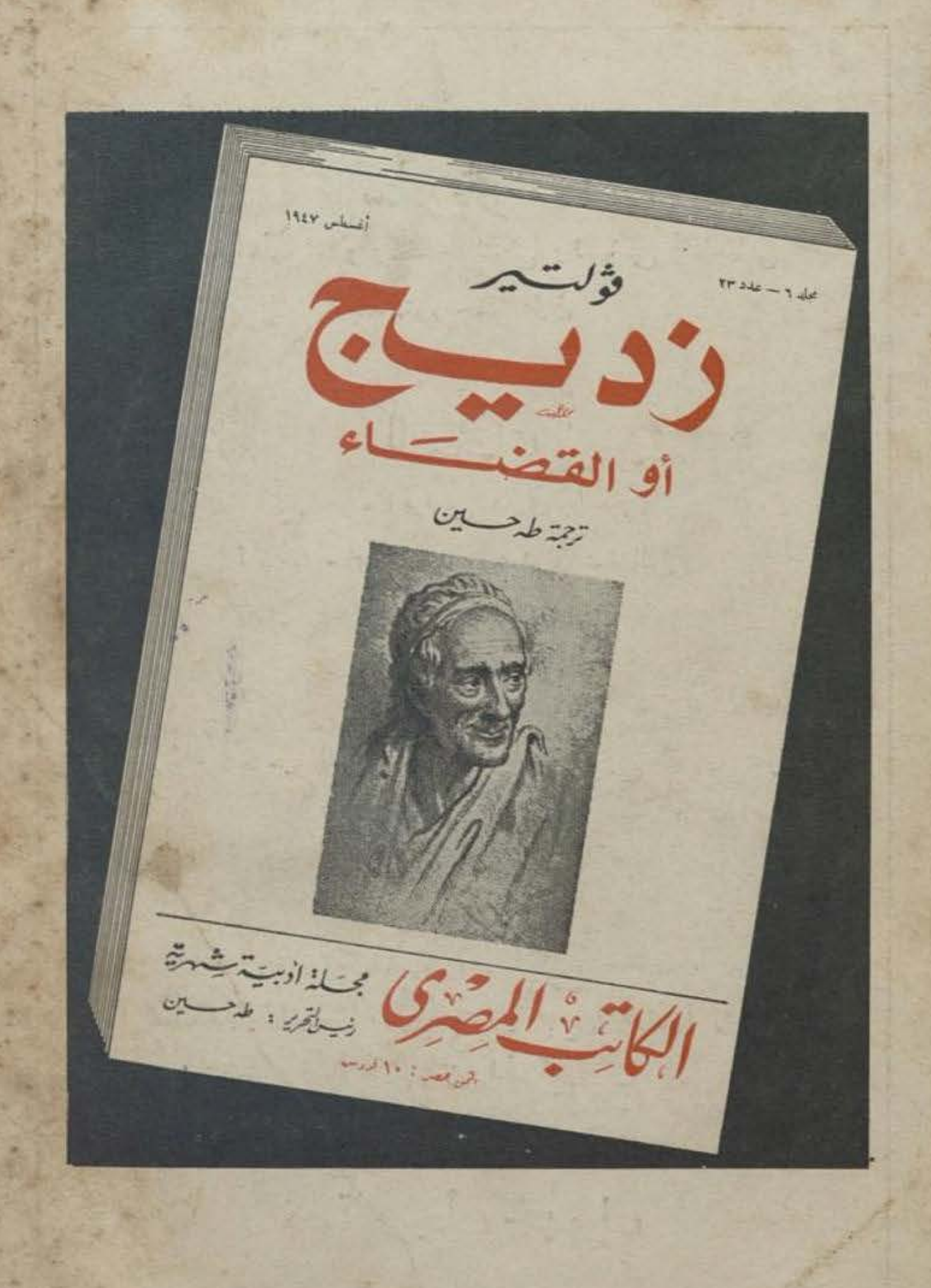
قصه تحليلية لفرنسوا مورياك عضو المجمع اللغوي الفرنسي

تعريب نزيه الحكيم

قصة رجل مجهول

للكاتب الروسي أنطون تشيكوف

تعريب محمود الشنيطي



أغسطس ١٩٤٧
مجلد ٦ — عدد ٢٣
ڤولتير
زديج
أو القضاء
ترجمة طه حسين
الكاتب المصري
مجلة أدبية شهرية
رئيس التحرير : طه حسين